



محاضرات مقرر
الاتجاهات المعاصرة
فى علم النفس

إعداد

أ.د. كريمة خطاب

استاذ علم النفس الإكلينيكي المتفرغ

كلية التربية بالغردقه

قسم علم النفس

العام الجامعى

2022 – 2021

بيانات الكتاب

الكلية : التربية بالگردقه

الفرقة : الأولى

التخصص : علم نفس

تاريخ النشر : 2021 - 2022

عدد الصفحات : 151

المؤلف : أ.د. كريمة خطاب

استاذ علم النفس الإكلينيكي المتفرغ

الصفحة	محتويات المقرر
8-4	الفصل الأول: النظرية فى الإتجاهات المعاصرة فى علم النفس
	الفصل الثانى: النظرية الكلاسيكية فى التحليل النفسى
14-9	1- سيجموند فرويد
29-15	2- أدلر
40-30	3- يونج
	الفصل الثالث: النظرية الحديثة فى التحليل النفسى
65-41	1- ايريك اريكسون
71-66	2- كارين هورنى
83-72	3- هارى ستاك سوليفان
86-84	4- هنرى موراي
	الفصل الرابع: النظرية المعرفية
94-87	1- نظرية جان بياجيه فى النمو المعرفى
96-95	2- جورج كيلي
	الفصل الخامس: النظرية الإنسانية
108-97	1- نظرية الذات لكارل روجرز
118-109	2- نظرية الشخصية لإبرهام ماسلو
122-119	3- ألبرت أليس
	الفصل السادس: النظرية الإجتماعية
132-123	نظرية التعلم الإجتماعى لباندورا
	الفصل السابع: النظرية السلوكية الكلاسيكية
135-133	1- جون واطسون
139-136	2- ثورانديك
	الفصل الثامن: النظرية السلوكية الحديثة
140-140	1- جاترى
143-141	2- كلارك هل
147-144	3- سكينر
150-148	4- تولمان
152-151	قائمة المراجع

الفصل الأول

النظرية فى الاتجاهات المعاصرة فى علم النفس

مقدمه:

يستخدم مصطلح نظرية مع تواتر مدهش فى اللغة اليومية، وغالبًا ما يستخدم فى التخمين أو الحدس أو الافتراض. وقد تسمع بعض الناس يرفضون معلومات معينة لأنها "مجرد نظرية". ومن المهم أن تلاحظ أثناء دراسة علم النفس والمواضيع العلمية الأخرى، أن النظرية فى العلوم تختلف عن الاستخدام العامى للمصطلح.

ماذا نقصد بالنظرية؟

تستند النظرية إلى فرضية مدعومة بالأدلة. وفى العلوم، النظرية ليست مجرد تخمين، وإنما النظرية هى إطار قائم على الحقائق لوصف ظاهرة ما . وتقدم النظرية مفهومًا أو فكرة قابلة للاختبار. كما يمكن للعلماء اختبار النظرية من خلال البحث التجريبي وجمع الأدلة التى تدعمها أو تدحضها. وقد أدرجت مجلة " **Scientific American** مصطلح النظرية" كواحدة من أكثر المصطلحات العلمية السبعة التى أسىء استخدامها، وهذا الفهم الخاطئ للمصطلح يدفع الناس إلى رفض موضوعات مثل "التطور" و "تغير المناخ" باعتبارها "مجرد نظريات"، على الرغم من وفرة الأدلة العلمية.

وتقدم النظرية العلمية شرحًا حول بعض جوانب السلوك البشري أو العالم الطبيعى القائم على الاختبارات والتجارب المتكررة. وهذا يعنى أن العلماء كرروا هذه التجارب وتكررت هذه النتائج، وبهذا جمعوا أدلة تدعم النظرية.

الغرض من النظريات فى علم النفس:

يتم استخدام النظريات فى علم النفس لدراسة وفهم الأفكار والإنفعالات والسلوكيات البشرية.

والنظرية النفسية لها مكونان رئيسيان:

1- وصف السلوك

2- تقديم تنبؤات حول السلوكيات المستقبلية

فعلى مر تاريخ علم النفس، تم اقتراح عدد من النظريات للشرح والتنبؤ بمختلف جوانب السلوك البشري. وبعض هذه النظريات صمدت أمام اختبار الزمن وظلت مقبولة إلى اليوم. أما البعض الآخر فلم يثبت قوته بعد تجارب علمية كثيرة، وربما تم رفضه تماماً أو تم قبوله جزئياً من قبل الباحثين المعاصرين.

وقد ساهمت كل نظرية في تكوين قاعدة معارف للعقل والسلوك البشري. فبينما لا تزال بعض النظريات، مثل التكيف الكلاسيكي، مقبولة بشكل جيد حتى اليوم، إلا أن بعض النظريات أخرى، مثل نظريات فرويد، لم تصمد بشكل جيد واستبدلت في الغالب بنظريات جديدة تشرح بشكل أفضل التطور البشري.

والقوة الكلية للنظرية العلمية تعتمد على قدرتها في شرح الظواهر المتنوعة. وما يجعل النظرية مختلفة تماماً عن مجرد تخمين أو حدس هو كون النظرية قابلة للاختبار. وعند إضافة أدلة وبحوث جديدة، يمكن عندئذٍ تنقيح النظرية أو تعديلها أو حتى رفضها إذا كانت لا تتوافق مع أحدث النتائج العلمية.

أنواع النظريات النفسية

هناك العديد من نظريات علم النفس، ولكن يمكن تصنيف معظمها على أنها واحدة من أربعة أنواع رئيسية:

أولاً: نظريات النمو:

توفر **نظريات النمو Developmental Theories** إطاراً للتفكير في النمو البشري والتطور والتعلم. فإذا سبق لك أن تساءلت عما يحفز الفكر والسلوك الإنساني، فإن فهم هذه النظريات يمكن أن يوفر لك فهماً جيداً للأفراد والمجتمع.

وتوفر نظريات النمو مجموعة من المبادئ والمفاهيم التوجيهية التي تصف وتشرح النمو البشري. وتركز بعض نظريات النمو على التفكير الأخلاقي، مثل نظرية كولبرج للتطور الأخلاقي. وبعض النظريات الأخرى على مراحل النمو طوال العمر، مثل نظرية إريكسون للنمو النفسي والاجتماعي.

ثانياً: النظريات الكبرى:

النظريات الكبرى **Grand Theories** هي تلك الأفكار الشاملة التي غالباً ما يقترحها كبار المفكرين مثل سيجموند فرويد وإريك إريكسون وجان بياجيه. وتشمل نظريات التطور الكبرى نظرية التحليل النفسي، نظرية التعلم، النظرية المعرفية. وتسعى هذه النظريات إلى شرح الكثير من جوانب السلوك البشري ولكنها غالباً ما تعتبر قديمة وغير كاملة أمام الأبحاث الحديثة. وغالباً ما يستخدم علماء النفس والباحثون النظريات الكبرى كأساس للاستكشاف لكنهم يفكرون أيضاً في النظريات الصغرى والأبحاث الحديثة أيضاً.

ثالثاً: نظريات الصغرى:

تصف النظريات الصغرى **Mini-Theories** جانباً صغيراً جداً من جوانب التطور. وقد تشرح النظرية الصغرى السلوكيات الضيقة نسبياً، مثل كيف يتكون تقدير الذات أو التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المبكرة. وغالباً ما تكون هذه النظريات متجذرة في الأفكار التي وضعتها النظريات الكبرى، لكنها لا تسعى لوصف وشرح كامل السلوك البشري والنمو.

رابعاً: النظريات الناشئة:

النظريات الناشئة **Emergent Theories** هي تلك التي تم إنشاؤها مؤخراً نسبياً وغالباً ما يتم تشكيلها من خلال الجمع بين عدد من النظريات الصغرى المختلفة. وتعتمد هذه النظريات غالباً على الأبحاث والأفكار من تخصصات مختلفة ولكنها لم تنتشر بعد على نطاق واسع مثل النظريات الكبرى. والنظرية الاجتماعية الثقافية التي اقترحها المنظر ليف فيجوتسكي هي مثال جيد لنظرية التطور الناشئة.

أمثلة لبعض النظريات في علم النفس

هناك العديد من نظريات علم النفس المعروفة على نطاق واسع والمرتبطة بفرع من فروع علم النفس. وتشمل:

أولاً: النظريات السلوكية:

علم النفس السلوكي، المعروف أيضًا باسم السلوكية، هو نظرية للتعليم تستند إلى فكرة أن جميع السلوكيات يتم اكتسابها من خلال التكيف. وتأسست على يد علماء نفس مشهورين، مثل **جون واتسون** و **بورهوس وفريدريك سكينر**. واليوم، لا تزال التقنيات السلوكية تستخدم على نطاق واسع في البيئات العلاجية لمساعدة العملاء على تعلم مهارات وسلوكيات جديدة.

ثانياً: النظريات المعرفية:

تركز النظريات المعرفية في علم النفس على الحالات الداخلية، مثل الدافع وحل المشكلات واتخاذ القرارات والتفكير والانتباه. تسعى مثل هذه النظريات إلى شرح العمليات العقلية المختلفة بما في ذلك كيفية معالجة الدماغ للمعلومات.

ثالثاً: النظريات الإنسانية:

بدأت نظريات علم النفس الإنساني تزداد شعبية خلال الخمسينيات من القرن الماضي، فبينما ركزت النظريات السابقة غالبًا على السلوكيات غير الطبيعية والمشكلات النفسية، إلا أن النظريات الإنسانية ركزت بدلاً من ذلك على الخير المتجدر في البشر. ومن بين المنظرين الإنسانيين الرئيسيين **كارل روجرز** و **أبراهام ماسلو**.

رابعاً: نظريات الشخصية

ينظر علم نفس الشخصية إلى أنماط الأفكار والمشاعر والسلوكيات التي تجعل الشخص فريداً. وبعض النظريات الأكثر شهرة في علم النفس مكرسة لموضوع الشخصية بما في ذلك نظرية سمات الشخصية، ونظرية السمات الخمس للشخصية، ونظرية إريكسون للتطور النفسي والاجتماعي.

خامساً: نظريات علم النفس الاجتماعي

يركز علم النفس الاجتماعي على مساعدتنا في فهم السلوك الاجتماعي وشرحه. وتتركز النظريات الاجتماعية عموماً على ظواهر اجتماعية محددة، بما في ذلك سلوك المجموعة والسلوك الاجتماعي الإيجابي والتأثير الاجتماعي والحب وغير ذلك من الموضوعات.

أسباب دراسة نظريات علم النفس

ما مدى ضرورة معرفة نظريات علم النفس المختلفة؟ خاصة تلك التي تعتبر غير دقيقة أو قديمة. ومع ذلك، فإن كل هذه النظريات توفر معلومات قيمة عن تاريخ علم النفس، وتطور الفكر في موضوع معين وفهم أعمق للنظريات الحالية.

أهمية دراسة نظريات علم النفس:

تهتم نظريات علم النفس بعلاج وفهم السلوك البشري، ومحاولة إحداث التغيير والتعديل اللازمين لهذا السلوك ؛ وهذا يعني ، معالجة الظواهر التي يجب فهمها ودراستها ، بالإضافة إلى الكشف عن الأسباب الكامنة لحدوثها ، وتظهر أهمية نظريات علم النفس من خلال جانبين:

- الجانب النظري: يدرس علم النفس في الجوانب النظرية للظواهر النفسية ، والأنماط السلوكية التي تظهر على الاستجابات السلوكية الخارجية للفرد بهدف التوصل إلى المبادئ والقوانين العامة التي تتحكم في ظهور ظاهرة معينة ، والآلية وكيف يبدو.
- الجانب التطبيقي: يتم استخدام علم النفس من خلال الدراسات التطبيقية التي لديها المبادئ والقوانين النظرية في عملية التوجه ، والسيطرة على وتغيير السلوكيات البشرية للأفضل. يصمم علم النفس معايير ومعايير تعتمد على التمييز بين السلوكيات الطبيعية والسلوكيات غير الطبيعية ، أي الحكم على السلوك إذا كان طبيعياً أم لا. من خلال هذه المعايير والمقاييس.

الفصل الثانى

نظريات التحليل النفسى الكلاسيكى

أولاً: سيجموند فرويد

شبه فرويد العقل بجبل من جليد يمثل الجزء الصغير الطافى منه على سطح الماء منطقة شعورية على حين يمثل الجزء الاكبر الذى لا يطفو على صفحة المياه منطقة اللاشعور وفى هذه المنطقة من اللاشعور توجد الدفعات الغريزية والشهوات والافكار والمشاعر المكبوتة التى تمارس سيطرة طاغية على افكار الانسان وافعاله الشعورية ولذلك يصبح علم النفس الذى يقتصر فى تحليله على الشعور غير كاف لفهم الدوافع الكامنة لسلوك الانسان.

بناء الشخصية عند فرويد

تتكون الشخصية لدى فرويد من ثلاثة انظمة اساسية

الهو

الانا

الانا الاعلى

اولاً: الهو:

يتكون الهو من كل ما هو موروث منذ الولادة بما فى ذلك الغرائز, فهى مستودع الطاقة النفسية كما انها تزود النظامان الاخران (الانا والانا الأعلى) بطاقاته ويطلق فرويد على الهو اسم (الواقع النفسى الحقيقى), فالهو لا قبل له بتحمل تزايد الطاقة التى تسبب له التوتر الغير مريح, لذلك يعمل بطريقة من شأنها تفريغ التوتر مباشرة وعودة الكائن الحى الى مستوى ثابت منخفض ومريح من الطاقة, ويسمى مبدأ خفض التوتر الذى يعمل الهو وفقه (مبدأ اللذة). ولكى يحقق الهو هدفه فى تجنب الالم وتحقيق اللذة يقوم بعمليتين تعملان تحت امرته (الافعال المنعكسة, والعملية الاولية).

ثانياً: الانا:

يخرج الانا الى الوجود لان حاجات الكائن البشرى تتطلب معاملات مناسبة ازاء عالم موضوعى، ان الانا تعمل وفق (مبدأ الواقع). الذى يرتكز على أن الخبرة حقيقية ام زائفه، اى هل لها وجود خارجى او لا. على حين يقتصر اهتمام مبدأ اللذة على احتمال ان الخبرة مؤلمة او سارة. الانا هو الجهاز الإرادى للشخصية لانه يسيطر على منافذ الفعل والسلوك ويختار من البيئة الجوانب التى يستجيب لها، فهدفه الوحيد المحافظة على حياة الفرد والعمل على تكاثر النوع.

ثالثاً: الانا الاعلى:

يمثل ما هو مثالى وليس ما هو واقعى وهو ينزع الى الكمال، والانا الاعلى بوصفه الحكم الأخلاقى، ينشأ استجابة للثواب والعقاب الصادرين من الوالدين ثم تحدث عملية استدخال او الاستدماج وبذلك يتكون الضمير الذى يعاقب الشخص بأن يجعله يشعر بالاثم عند عقابه او ان يجعله يشعر بالفخر عند الثواب، وبذلك تتكون الانا الاعلى ليحل محل الضبط الصادر عن الوالدين. وظائف الانا الأعلى الاساسية:

-كف دفعات الهو

-اقناع الانا بإحلال الاهداف الاخلاقية محل الاهداف الواقعية

-العمل على بلوغ الكمال

ديناميات الشخصية:

أولاً: الغريزة:

تعتبر الغرائز هى القوة الدافعة للشخصية وهى لاتحدد السلوك فقط بل هى تحدد الاتجاه الذى يأخذه السلوك. يرى فرويد ان ديناميات الشخصية يكون لها دور كبير على العكس من المنبهات الخارجية بالقياس الى الحاجات التى تفرض على الفرد مطالب اقل، كما تتطلب أشكالاً من التوافق اقل تعقيداً، وفى استطاعة الفرد دائماً الهروب من منبه خارجى على حين يستحيل عليه الهروب من حاجه داخلية. وتتميز الغريزة بأربع خصائص مميزة من حيث(مصدرها-هدفها-موضوعها-وقوتها الدافعة)

المصدر: الحاجة عند الفرد

الهدف: تتلخص فى الاستثارة او التهيج البدنى

القوة الدافعة للغريزة: هي شدة الغريزة التي تحددها شدة او قوة الحاجة المحركة لها

خصائص الغريزة:

الهدف الغريزى ذات طابع نكوصى

يمكن وصف الغريزة كعملية متكرره، وقد اطلق فرويد على هذا الجانب من الغريزة (التكرار)

عدد الغرائز وانواعها:

افترض فرويد ان جميع الغرائز تتدرج تحت فئتين عامتين (غرائز الحياة/غرائز الموت)

أولاً: غريزة الحياة:

غرضها الحفاظ على حياة الفرد وتكاثر الجنس وتتدرج تحت هذه الفئة (الجوع/العطش/الجنس) ويطلق على صورة الطاقة التي تستخدمها غرائز الحياة فى اداء عملها اسم الطاقة (طاقة الليبدو) وغريزة الحياة التى اعطاها فرويد اكبر اهتمامه هى الجنس، والحقيقة ان الغريزة الجنسية ليست غريزة واحدة بل غرائز متعددة اى ان هناك عددا من الحاجات البدنية تؤدى الى القيام بالرغبات الشبقية، ولكل من هذه الرغبات مصدره فى مناطق مختلفة من الجسم ويشار اليها بصيغة الجمع باسم(المناطق الشبقية) والمنطقة الشبقية جزء من الجاد او غشاء مخاطى شديد الحساسية.

ثانياً: غرائز الموت:

هى غرائز تدمير فتقوم بعملها بصورة اقل وضوحا بالمقارنة بغرائز الحياة ,وتتمتج غرائز الموت وغرائز الحياة ومشتقاتهما معا اى ان كل منهما يلزم الاخر.

إن ديناميات الشخصية تقوم فى نهاية المطاف على تفاعل وتشابك القوى الدافعة والشحنات والقوى المقيدة الكابحة والشحنات المضادة وجميع الصراعات فى الشخصية يمكن ارجاعها الى تعارض هاتين المجموعتين من القوى (قوى تلح وتدفع وقوى تصد وتضبط)

الحصر (القلق):

هو تحذير الشخص من خطر فالحصر هو حالة من التوتر فهو بدلا من ان يتشأ من اسباب داخلية ينشأ من اسباب خارجية وعندما ينشأ الحصر فإنه يدفع الشخص الى القيام بشىء ما

ليهرب من المنطقة التي تهدده ويطلق على الحصر الذى لا يمكن معالجته بالطرق المجدية اصطلاح (الصدمة).

يوجد ثلاثة أنماط للحصر:

(الحصر العصابى - الحصر الخلقى - الحصر الواقعى)

1-الحصر الواقعى: التوتر من الاخطار الواقعية من العالم الخارجى وهو الذى يشتق منه النمطان الاخران.

2-الحصر العصابى: هو التوتر من عدم القدرة على السيطرة على الغرائز الامر الذى يقود الشخص الى القيام بشىء يعاقب عليه ولذلك يعتبر الحصر العصابى اساسا من الواقع.

3-الحصر الاخلاقى: هو التوتر من الضمير ويميل الشخص الى الشعور بالاثم عندما يفعل او يفكر فى فعل شىء فلذلك هو اخلاقى ايضا.

تطور الشخصية:

تكتمل الشخصية عند فرويد فى نهاية السنة الخامسة من العمر، وما يلى ذلك يكون بناء على نهاية السنة الخامسة. والشخصية تتطور عند فرويد استجابة لاربع مصادر رئيسية:

- عمليات النمو الفسىولوجي
- الاحباطات
- الصراعات
- تزايد التوتر الناتج من هذه المصادر يجد الشخص نفسه ملزما بتعلم اساليب جديدة لخفض التوتر وهذا التعلم هو المقصود بتطور الشخصية.

التعين والازاحة طريقتان يتعلم الشخص عن طريقتهما حل احباطاته وصراعاته وما يعانیه من ضروب الحصر.

اولا : التعيين:

الطريقة التى يتمثل بوساطتها الشخص سمات شخص آخر ويجعلها مكونا لشخصيته ذاتها كما انه ليس من الضرورى ان يتعين شخص بشخص آخر من جميع الجوانب بل انه عادة ما يختار ثم يحدث الإستدماج.

ثانيا: الازاحة:

عندما يصبح اختيار الموضوع الاصلى للفرززة غير ممكن بفعل العوائق الخارجية او الداخلية فأن شحنة جديدة تتكون ما لم يحدث كبت قوى، فإذا ما أعيقت هذه الشحنة حدثت إزاحة أخرى حتى يتم العثور على موضوع يحقق قدرا من التخفف للتوتر المحتبس

ولذلك يتحدد الاتجاه الذي تأخذه الإزاحة بعاملين:

تشابه الموضوع البديل مع الموضوع الاصلى
التحريمات والقوانين التي يفرضها المجتمع

العمليات الدفاعية لنا:

برغم من ان الانا احيانا تقع تحت ضغط الحصر البالغ فهي تقوم لإتخاذ اجراءات متطرفة ويطلق عليها (اسم الميكانيزمات).

أولاً: الكبت:

يحدث الكبت عندما يلزم اختيار موضوع يستثير خوفا زائدا بالابتعاد عن الشعور الذى يثير ذلك، وقد يشق الكبت طريقه خلال شحنات مضادة معارضة او قد يجد طريقة للتعبير فى صورة ازاحة.

ثانياً: الإسقاط:

هو ان يبذل الخطر بخطر اقل شأنًا ويمكن الشخص الذى يستخدم الإسقاط أن يعبر عن دفاعاته تحت ستار الدفاع عن النفس ضد خطر الأعداء.

ثالثاً: تكوين رد الفعل:

هى الوسيلة الدفاعية إبدال مشاعر مثيرة للحصر فى الشعور بنقيضها، فمثلا تبديل الكراهية بالحب ويظل الشعور الاصلى موجود إلا أنها تغطى بواسطة تلك الوسيلة التى لا تسبب الحصر.

خامساً: التثبيت والنكوص:

وفيهما يصبح الشخص مثبتا علي إحدى مراحل النمو لإن الانتقال إلى المرحلة التالية يكون مشحونا بالحصر.

مراحل النمو عند فرويد:

يعتقد فرويد أن الطفل يمر عبر سلسلة من المراحل المتفاضلة ديناميا خلال السنوات الخمس الأولى، ويليهما مدة تستمر خمس أو ست سنوات تسمى فترة الكمون، بداية مرحلة المراهقة تتبع

القوة الدينامية مرة أخرى ثم تستقر بعد الانتقال من المراهقة إلى الرشد تتحدد كل مرحلة من مراحل النمو من حيث أساليب الاستجابة من جانب منطقة معينة من الجسم. فى خلال المرحلة الأولى تستمر قرابة العام يكون الفهم هو المنطقة الرئيسية للنشاط الدينامى ثم يلي مرحلة الإخراج (المرحلة الشرجية) من خلال العام الثاني ثم يتبعه المرحلة القضيبية حيث تصبح الأعضاء الجنسية المناطق الشهوية الأساسية ويطلق على هذه المراحل مراحل قبل تناسلية.

المرحلة التناسلية: وفيها يحصل الشخص على اللذة من التنبيه وتستهدف شحنته الآخرين، ففي مرحلة المراهقة يتجه الحب إلى اختيار موضوع أصلى، فالمرهق يشرع فى حب الاخرين ليس لمجرد أسباب أنانية أو نرجسية، وفى نهاية مرحلة المراهقة يحدث قدر من الثبات والاستقرار فى صورة أشكال معتادة من الإزاحة أو تسامى او تعيين ذاتى. إن التنظيم النهائي للشخصية يمثل محصلة إسهامات جميع هذه المراحل الأربعة.

التداعى الطليق وتحليل الاحلام:

ان بداية التداعى الحر عند فرويد كان يعتمد عملية التنويم المغناطيسى الا انه اكتشف ان هذه الطريقة لم تبدى فائدتها فى التحليل النفسى ولذلك اعتمد بالتداعى الطليق، إن جوهر طريقة التداعى الطليق هو ان يطلب من المريض ان يقول كل شىء يرد فى شعوره مهما بدا ذلك سخيفا او غير لائق. اما عن تحليل الاحلام فهو ليس طريقة منفصلة عن طريقة التداعى الطليق فهو نتيجة طبيعية لما يطلب من المريض الحديث عنه وعن كل ما يخطر بباله ويراه فى الأحلام.

ثانياً: نظرية أدلر

علم النفس الفردى

يعتبر علم نفس الفرد احد الانظمة العلاجية المبنية علي افكار ووجهات نظر ادلر، والتي تشكل في مجموعها نظرية للشخصية، و يعود تأسيس هذه النظرية إلي الوقت الذي كان فيه أدلر أحد أعضاء الجماعة الاولي لمدرسة التحليل النفسى التقليدية (الكلاسيكيه) التي اسسها فرويد. غير ان أدلر اختلف مع فرويد و بخاصة رفضه الاعتماد علي فكرة المراحل الجنسية كمؤثر هام في السلوك و إتجاهه إلي إدخال فكرة الليبدو ضمن العمليات التي يسعى الفرد عن طريقها إلي تحقيق التفوق . كما يلاحظ مشاركته فرويد في الاهتمام بفكرة التعويض، والتعويض الزائد عن الحد.

و قد تأثرت آراء أدلر (1870 - 1937) إلي الحد الكبير بوجهات النظر الاجتماعية التي تنادى بأن الانسان هو المخلوق الوحيد علي وجه الارض الذي لا يتأثر كثيراً بالدوافع الفطرية، وأن العوامل التي تؤثر في سلوكه بصورة اساسية هي الثقافة. والعلاقات بين الافراد، والبيئة الاجتماعية ككل لا يتجزأ، و قد أدى هذا الموقف إلي رفض أدلر التسليم بسيطرة العوامل الفطرية والاتجاهات اللاشعورية علي الفرد و تحكمها في توجيه سلوكه، و ذلك لأن لديه القدرة علي السيطرة علي نشاطاته السلوكية بطريقة شعورية ومقصودة، كما ان لديه الاستعداد ايضاً للعمل وتغلب المصلحة الاجتماعية دون حدوث أى تعارض بين ذلك وبين إرضاء حاجاته الاساسية أو تحقيق أهدافه.

و يبدو لنا من تحليل آراء أدلر أن الانسان ليس مجرد نتاج للعوامل الوراثية أو البيئة تفعل ما تشاء، إذ علي الرغم من التسليم بأهمية الدور الذي تلعبه الاستعدادات و القدرات الطبيعية التي يأتي الفرد إلي العالم مزوداً بها. إلا ان ما يجب التأكيد عليه وتوجيه الاهتمام الجدير به هو، ماذا يفعل الفرد بتلك القدرات والاستعدادات، و كيف يستخدمها من خلال مهاراته الابداعية والخلاقة.

وقد إتجه أدلر بعد إنفصاله عن مدرسة التحليل النفسي التقليدية إلي تضمين أفكاره وإتجاهاته الفلسفية فيما سماه بعلم نفس الفرد، و هو إتجاه يقوم علي دراسة الفرد في الإطار الاجتماعي وليس بمعزل عنه، كما يهتم بالكشف عن إتجاهاته في علاقاته بالآخرين وبالأشياء المحيطة به في بيئته، و تتجه هذه النظرية إلى أعتبار الفرد وحدة لا تتجزأ، ولا يمكن دراسة أى نشاط سلوكي إنسانى بمعزل عن الشخصية ككل.

الشخصية:

الفكرة الرئيسية التى يدور علم نفس الفرد في إطارها هى، أن شخصية الإنسان متكاملة وهادفة و كل لا يتجزأ ، ولكى تفهم الإنسان فلا بد لنا من إدراك النزعات الهادفة لديه أو ما يسميه أدلر بمبدأ التوجيه لحياة الفرد، و أن هدف الشخصية الاساسي يتكون من ثلاث مجموعات من النزعات (العوامل) الهادفة وهى:

- نزعة بيولوجية .
- نزعة إجتماعية .
- نزعة عقلية .

وتشمل النزعات (العوامل) البيولوجية الهادفة علي الانعكاسات الفطرية والانفعالات التى تهدف إلى المحافظة علي الحياة . كما تشمل النزعات الاجتماعية الهادفة علي اساليب التعبير عن النشاط الحيوي الهادف الناتج عن الحياة في جماعة و التى يشير إليها أدلر تحت أسم " مفهوم الشعور الاجتماعي " أما العوامل العقلية الهادفة فتشمل الشعور و النشاطات التى يخطط لها الكائن الحى و تعمل هذه النزعات كنظم ثانوية للهدف الشخصى .

ويشير أدلر بشكل واضح إلي الاساس الذى تقوم عليه الشخصية هو أن لكل كائن حى هدفاً يسعى إليه و يتوق جاهداً لتحقيقه في الحياة، و أن نشاط الفرد العقلي و إتجاهه العام و كل ما يقوم به لا يخرج عن إطار ذلك الهدف، و أنه من السهل علينا أن نفهم أى إنسان إذا ما عرفنا هدفه المنشود فالطفل الذى يحاول فتح خزانة، علي سبيل المثال لا يعطينا من المؤشرات ما يكفي لفهم طبيعة ما يسعى إليه أو لتحقيقه و الدوافع إلي ذلك السلوك، غير إنه يسهل فهم ذلك كله إذا ما علمنا بأن الخزانة مليئة بصنوف الحلوى التى تمثل الهدف الذى يحاول الطفل بلوغه .

أما عن الصفات الشخصية فإن وجهة نظر أدلر ترى بأنها مكتسبة و ليست فطرية أو موروثه ، و أنه تجرى عملية بلورتها و تطويرها من خلال الصراع الذى يخوضه الفرد في سعيه الدائم لتحقيق هدفه الذى يسعى إليه.

أما الاستعدادات و القدرات فإنها فطرية و موروثه، و تسمى حصيلة الفرد مجتمعه من الصفات و القدرات بأسلوب الحياة، وهو أسلوب يميز الفرد عن غيره من الافراد لأنه يمثل الإطار الذى يدور في فلكه السلوك العام و الميول والاتجاهات.

نمط الحياة:

وقد إتجه التفكير في بداية الامر إلي الاعتقاد بأن أسلوب (نمط) الحياة يتم تشكيله و بناء اساسه و تثبيت إطاره خلال السنوات الخمس أو الست الاولى من العمر، و إنه لا يمكن تغيير ذلك الاسلوب فيما بعد، و هو ما يتشابه إلي الحد كبير مع وجهه نظر فرويد. غير إنه تم العدول عن ذلك الاتجاه و أصبح الرأى السائد هو أن الاسلوب ليس ثابتاً، و إنه حركى و ديناميكى مما يمكن تعديله و تطويره تبعاً لمتطلبات البيئة الاجتماعية.

و يمثل أسلوب الحياة أهداف الانسان و كيفية كفاحه في سبيل تحقيقها كما يشمل أيضاً قدراته و حوافزه، و بإختصار فأسلوب الحياة هو كل ما يتعلق بشخصية الانسان، و يهدف أسلوب الحياة إلي تحقيق التفوق، غير إنه يمكن أن يكون حقيقياً و اصيلاً أو خاطئاً و مشوشاً، و ذلك إعتقاداً علي مفاهيم الشخص و معتقداته. كما يري أدلر بان لكل إنسان هدفاً نهائياً في الحياة. و أن هذا الهدف النهائى هو وحدة القادر علي التعبير علي سلوك الانسان و يعنى ما سبق أن المستقبل هو أقوى مؤثر علي الدوافع الإنسانية، و أن الطريقة التى ينظر بها الانسان إلي أهدافه المستقبلية هى التى تؤدى به إلي الشعور بالصحة أو المرض.

الحياة العقلية لدى الافراد:

يرى هذا الاتجاه بوجود ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر في حياة الفرد العقلية وهى:

أولاً: ترتيب الفرد فى الولادة بين إخوته وأخواته:

وقد توصل أدلر عن طريق الملاحظة المباشرة إلي أطفال الاسرة الواحدة قد يختلفون في سلوكهم وإتجاهاتهم وأمزجتهم علي الرغم معيشتهم في نفس الوسط الاسري و المحيط العائلي الواحد، وقد دعه ذلك إعتبار ترتيب ولادة الطفل بين اخوته مهمة. لأنها تتفاعل مع العوامل التي تشكل النفس الإبداعية و تؤثر بشكل خاص علي مكونات الشخصية، ويلاحظ بهذا الخصوص أن الطفل الاول في الاسرة عادة ما يقابل بالفرح و السرور من الجميع.

الذين لا يتوقفون عن مداعبته و ملاطفته و تدليله و تلبية جميع إحتياجاته و الاستجابة لكل متطلباته، مما يغرس في نفسه إنطباعه بأنه مركز الاهتمام ومحل إهتمام جميع أفراد الاسرة. غير أن مجئ الطفل الثانى يزعزع ذلك الانطباع لديه و يهز مكانة الطفل الاول لدرجة جعلت أدلر يطلق عي هذا الوضع الحرج تعبير " الملك المخلوع " حيث يبدأ في الشعور بتحول الاهتمام عنه إلى القادم الجديد الذي يشاركه حب الوالدين والاهل وعطفهم وإهتمامهم، ويدفعه ما يري ويحسه إلي أسلوب العصيان والمقاومة في سبيل المحافظة علي مركزه السابق ومكتسباته عن طريق إظهار الغضب والميل إلي الصراخ والبكاء، ومعاندة الآخرين، و تحطيم كل ما تصل إليه يده، ورفض طاعة الاوامر. مما يعرضه للعقاب ويعمل علي تعميق الشعور بالهزيمة.

وما لم يصل الطفل الاول عن طريق الحدس و البديهة إلي إدراك حقائق الموقف المحيط به وتبين معالم الطريق الذى يسير فيه والمصاعب التي يواجهها. فقد يتجه وجهة سلبية في سلوكه عن طريق الاعتزاز بالماضى والتمسك به والعيش فيه بإستمرار. حيث يجد فيه لراحة والسعادة والنفوذ. مع الشعور في نفس الوقت بالتشاؤم من المستقبل والخوف منه. لأنه سبق وأن حمل إليه مجهولاً ممثلاً في الطفل الجديد وما صحب ذلك من متاعب الحرمان وعناد المنافسة وقسوة فقدان المراكز والاهتمام. كما يؤثر ذلك الموقف عليه بشكل آخر إستغلالاً إيجابياً عن طريق التحول إلي الاعمال التي تتطلب قدرة علي قيادة الاخرين و تنظيمهم.

أما الطفل الثانى فيكون حائراً موزع الفكر لإنشغاله بعملية الصراع مع الطفل الاول الذى يسبقه مما يغريه بالمقاومة و زيادة قدرته و عزيمته علي التحمل من أجل فتح مجالات التفوق أمامه . و يشير أدلر إلي أن **الطفل الثانى يشبه حصان السبق** الذى لا يتوقف عن الجري علي أمل الفوز بالسباق ، مما يجعله دائم النظر إلي الامام و مهتماً بالمستقبل . علي أن كسب نتيجة الصراع بين هذين الطفلين أو حسمه يعتمد علي عدة أمور من أهمها:

في حالة تأكد الطفل الأول من ثبات والديه و إستقرار عواطفهم نحوه مع عدم تخليهم عنه . فإنه يستطيع مواجهة تحدى الطفل الاصغر منه والانتصار عليه ومواصلة نموه وتطوره بشكل طبيعى في نفس الوقت الذى قد يتأثر فيه الطفل الاصغر بالهزيمة التى قد تصاحبه طوال حياته . أن شعور الطفل الثانى بقوة الضغط التى يفرضها عليه وجود الطفل الاول قد يجعله يثور و يقابل التحدى مهما كلفه من مشاق . و قد يدفعه ذلك إلي تبني أسلوب النقد في حياته الخاصة فلا يقدم علي أمر ولا يتخذ قرار إلا بعد فحص الحقائق و التدقيق فيها و رفض قبول الاشياء علي علاقتها مع الإمعان في التمسك بحقوقه و الصراع من أجلها و عدم التفریط في أى منها فإذا مع ما حقق له هذا السبيل الانتصار . فربما يؤدي ذلك إصابة الطفل الاكبر ببعض لاعراض العصبية و يجعله ذو نزعة معادية للمجتمع .

أما **الطفل الثالث** فهو يشعر بوجود سابقه و يدرك أن المعركة لن تكون سهلة علي الاطلاق . مما يجعله يميل المنافسة مع الاعتماد في تحقيق أهدافه علي إستخدام الدهاء و أساليب المكر والخداع لتحقيق التفوق .

أما **الطفل الاخير**، وهو الاصغر فهو طفل العائلة المدلل الذى يحظى بالحماية الزائدة و يتسم بإنخفاض مستوى القدرة لديه علي التنافس . فهو لا يشعر بوجود غريم يمكن أن ينافسه أو يهدد مركزه بمنازعته مكانه . الامر الذى يساعده كثيراً في محاولته اللحاق بإخوته . والتفوق عليهم . هذا من الناحية الايجابية أما عن الناحية السلبية فإن التدليل المبالغ فيه والحماية الزائدة عن الحد قد يدفعان الطفل إلي الاتكال علي غيره و عدم سعيه إلي الاعتماد علي نفسه، و فقدان القدرة علي مواجهة الصعاب أو التصدى لمشاكل الحياة، و في حالة ما كانت الطفلة الاخيرة بنتاً في مجموعة أخوات بنات، وكان الهل ينتظرون مولوداً ذكراً في مكانها فإنها قد تتجه إلي تقليد الصبيان في سلوكهم حتي تقابل توقعات الهل . أما في حالة وجود بنت وحيدة بين مجموعة من الاخوة الذكور فيحتمل أن تتحه إحدى و جهتين:

أ - إما أن تعمل علي مسايرة الاطفال الذكور و تقليدهم و التشبه بهم في سلوكها وتصرفاتها .

ب- و إما أن تلجئ إلي ضعفها و إختلافها مما يجعلها تعمل علي تأكيد انوثتها والاعتزاز بجنسها.

و في حالة وجود طفل ذكر بين مجموعة أخوات بنات، فقد يتبع أحد الاتجاهين :

1. إما أن يتخاذل أمام تحالف الاخوات البنات ضده فيقبل الهزيمة، و ينقلب ضعيفاً امامهن مما يجعله يتشبه بأخواته في سلوكه وفي علاقاته مع الاخرين. و عادة ما يلاحظ ذلك في طريقة الكلام وأساليب التعامل و نوعية الملابس.

2. إما أن يقبل التحدى و يستमित في صراعه بطريقة تتسم بالشدة و العداء للجنس الآخر.

ثانياً: ذكريات الطفولة الاولى:

يشير أدلر إلي الاهمية البالغة التي تلعبها ذكريات الطفولة في حياتنا و في تسليط الضوء علي المكونات الاساسية لشخصية الفرد ، و يؤكد علي أن ما يحدث خلال السنوات الخمس الاولى من العمر له أثر واضح في تشكيل أسلوب الحياة الذي يشكل الاطار العام لسلوك الفرد و نشاطاته و إتجاهاته .

ونلاحظ هذا لتشابه الكبير بين أدلر و بين فرويد حيث يري الاخير بأن السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل تعتبر حاسمة في تشكيل شخصيته لأنها بمثابة أساس يقوم عليه بناء الشخصية .

وتكشف ذكريات الطفولة الاولى عادة عن العوامل المختلفة التي كان لها تأثير علي الشخصية بشكل مباشر وغير مباشر. و عن الاتجاهات الخاصة بالفرد و نشاطاته و ميوله الحسية والحركية ويرتبط بذكريات الطفولة الاولى ما قد يعاينيه الطفل من حرمان إنفعالي علي وجه الخصوص . فالحرمان من الاحاسيس و الخبرات الاخرى خلال المراحل الاولى من عمر الطفل يؤثر بشكل أو بآخر علي مراحل النمو التالية . كما أن الطفل يتعرض خلال مراحل نموه بما يسمى بالمراحل الحرجة أو الفترات ذات الاهمية الخاصة و المناسبة لكل فترة من فترات النمو علي حدة. حيث يبلغ النمو والتطور أعلي مستوياته خلال تلك الفترات مع الاخذ في الاعتبار إختلاف نسب

التأثير من وظيفة إلي أخرى و من نوع إلي آخر . كما يلاحظ ايضاً أن الحرمان يحدث بنسب متفاوتة مما يجعل تأثيره متفاوتاً بطبيعة الحال، فهو قد يؤثر سلباً علي بعض الوظائف بينما قد يؤثر بشكل إيجابي علي وظائف أخرى، و بصورة عامة فالحرمان يؤدي إلي الانتقاص من القدرة علي التوافق، حتى و لو أنه أحياناً قد يؤدي إلي تحسين بعض الوظائف بشكل مؤقت .

وأخيراً فإنه تجدر الإشارة إلي أن العلاقة بين ذكريات الطفولة و أسلوب الحياة هي علاقة مزدوجة . إذ إنه بالكشف عن أسلوب الحياة يمكن لنا تحليل ذكريات الطفولة، كما ان استعراض تلك الذكريات يسهل علينا في نفس الوقت تصور أسلوب حياة أخرى .

ثالثاً: الاحلام :

وتختلف نظرة أدلر إلي الاحلام عنه لدى نظرية التحليل النفسي لفرويد فهو يري بوجود علاقة وثيقة بين الاحلام التي يراها الشخص وبين حياته الوجدانية ، و يشير إلي إنه من طبيعة الاحلام أن تأتي علي شكل رموز مبهمه غير واضحة وغير مفهومة في كثير من الاحيان، و أن وظيفتها الاساسية تتمثل في ترك مجموعة من الانطباعات الوجدانية لدى الفرد، و في إثارة مشاعره تجاه مواضيع معينة أو بعض الامور الخاصة، وذلك لحثه علي القيام بنشاط معين أو تغيير موقف سبق إتخاذه أو إعادة النظر في إتجاه سابق، وذلك تمهيداً لإتخاذ القرار المناسب .

و تعتبر الاحلام بوجه عام مجموعة من الصور الخيالية البعيدة عن المنطق والواقع، وهي تعمل علي تسهيل عمليات حل المشكلات أو تجنبها للمشاكل الحالية التي نعاصرها في حاضرننا أو تلك التي نتوقع أن نقابلها في المستقبل كما تعتبر الاحلام من صنع أساليب حياتنا الفردية من جهة و مؤشراً يوضح تلك الاساليب من جهة أخرى، ولذا فإنه يجب النظر إليها من خلال الفرد ككل لا يتجزأ وفي إطار الموقف الاصلي الذي كان مصدر إنشغالنا وقت رؤية الاحلام، وبهذه الطريقة فقط يمكن للاحلام أن تقوم بدور كبير في إلقاء الضوء علي طبيعة الاحلام وإلقاء الضوء علي طبيعى الحياة العقلية و الوجدانية للفرد، وفي تفسير بعض نشاطاته الانفعالية.

ديناميكية الشخصية:

إن الحياة من وجهة نظر أدلر ليست سوى صراع مستمر في سبيل تحقيق التفوق والغلبة علي الشعور بالنقص الذي يرجع مصدره إلي شعور الاطفال بعدم قدرتهم علي مجارة الكبار و القيام بأعمالهم . فحجم الاطفال و قوتهم يجعلهم في موقف الضعيف بإستمرار مما يدفعهم إلي محاولة التعويض عن ذلك الضعف من أجل تحقيق النجاح ، و يؤكد أدلر بهذا الخصوص علي أن جميع الفاشلين ليسوا عاجزين عن تحقيق أهدافهم بقدر ما هم بحاجة إلي وسيلة لإعدادهم بطريقة سليمة لمواجهة الحياة و معرفة كيفية التعامل معها . كما أن شعورهم بالنقص هو الذي يجعلهم لا يتقون بأنفسهم و يتهيبون مواجهة المواقف الصعبة التي تصادفهم مما يجعلهم يواجهون الحياة بطريقة خاطئة . و ما لم يتم تعديل تلك الطريقة ، فسوف يكون من الصعب عليهم التخلص من ذلك الاسلوب .

وقد عمل أدلر علي الرجوع إلي الفترة الطفولة مثلما فعل فرويد من قبل . و ذلك لفهم تطور الفرد . إلا إنه لا يعتمد في تفسيره علي الجنس كعامل هام في التأثير علي خبرات تلك الفترة . فهو لا يذكر عقدة أو ديب أو إنيكترا غير إنه حلل العلاقة بين مكونات " الانا " و خبراتها مع الانا الخاصة بالغير . ممن يتعامل الفرد معهم ، و قد توصل عن طريق ذلك المبدأ الاساسي في نظريته و هو الشعور بالنقص فشعور الانسان بالنقص أو بالعجز ، و بأنه أضعف من الآخرين و مضطر إلي الاعتماد علي غيره تتفاعل معاً و يؤدي إلي نشوء الشعور بالنقص لدى الطفل بشكل عام .

و يحدد مجال عمل الشخصية و نشاطها مجموعة من العوامل و هي :

أولاً : عقده النقص :

يري أدلر بأن عقده النقص هي دافع نفسي هام ، و هو يختلف عن فرويد في هذه النقطة حيث أن الاخير يري أن أهم الدوافع البيولوجية هي دوافع المتعة أو الدوافع الجنسية ، و أن مكوناتنا البيولوجية هي التي تؤدي إلي حدوث الاضطرابات مما يجعلنا نتسم بالدفاعية في سلوكنا و أن محاولة الحد من الدوافع و الحاجات البيولوجية تقود إلي شعور بالمرض و اعراض الاضطراب .

ويشير أدلر إلي أن الشعور يعتبر من السمات الاساسية للانسان . إذ يعمل علي التأثير علي سلوك الفرد ، و لذا عادة ما نجده من بين العوامل المحركة للانسان كي يسعي إلي الرقي و التقدم فورا، أي أن أي تقدم إنساني يوجد نوع من الشعور بالنقص ، و يبدو ذلك واضحاً فيمن يسعون

للكمال حيث غالباً ما يكون دافعهم هو الشعور بعد الكفاية و عدم الشعور بالايمان . فقد وجد الانسان نفسه منذ القدم معرضاً للمخاطر من دون حماية أو سند ، مما جعله يسعى لتأمين سلامته و قضى آلاف السنين في إختراع وسائل الحماية و تحسينها لتأمين مركزه .

كما يري أدلر بان عقده النقص موجودة بشكل كلي أو جزئى لدى كل فرد من افراد الجنس البشري ، و إنه ليس هناك من شخص يخلو كلية من الشعور بالنقص و أن هذا الشعور هو الذى يؤثر فى الافراد و يدفعهم إلي مواصلة الكفاح في سبيل تحقيق أهدافهم كما تعزى إليه عملية التطور و سعى الفرد المتواصل من أجل إكتساب مزيد من الخبرات في محاولته للتغلب علي النقص و تحديه، فمحاولات التفوق و الامتياز والارتقاء تتبع جميعها من مصدر واحد معلوم و هو الشعور بالنقص، حيث يقوم بدور الدافع الذى يستثير الهمم و يحث علي مواصلة التقدم بإستمرار الرغبة في تحسين الوضع الحالى.

ويعتبر الشعور بالنقص فطري لدى الانسان حيث يلعب الدور الرئيسي في تقدم البشرية و بناء الحضارات منذ بدء الخليقة إلي يومنا الحاضر . و نظراً لأن الطفل يشعر بطبيعته بالضعف و العجز و قلة الحيلة فإنه يحاول التغلب علي نقصه بالسعى إلي التطور و الارتقاء، و إذا ما احيل بينه و بين المسار الطبيعي لمواصلة نموه و الاستمرار في تطوره، فإن الشعور الطبيعي بالنقص يأخذ في التعمق . و قد يتحول إلي ما يسمى بعقده النقص .

ولتوضيح الفرق بين الشعور بالنقص كظاهرة طبيعية و بين عقدة النقص كظاهرة مرضية من علامات عدم السواء نقول بأن الاولي هي عامل يساعد الفرد في محاولته للتغلب علي مشاكله و إيجاد الحلول المناسبة لها . و هو ما ينتج عنه إكتساب الخبرات الجديدة ذات العلاقة بمواجهة الاحداث اليومية و الاحداث و المشاكل المتجددة ، اما عقدة النص فتشكل ظاهرة مرضية من وجهة نظر الصحة النفسية حيث تؤدي إلي جمود التفكير و إلي النظر إلي المشاكل بمنظار سلبي مما يجعلها تبقى كما هي بدون حل.

وهناك ثلاثة مصادر لعقدة النقص و هي :

الشعور بالنقص بسبب العاهة :

كان الاتجاه السابق هو النظر إلي العاهة التى يصاب بها الانسان سواء كانت تكوينية ام مكتسبة ، بنفس الطريقة التى كان ينظر بها إلي الامراض بوجه عام ، و ما لم يكن يهتم في الواقع إلا بالعاهات الظاهرة التى تؤثر في شكل الفرد أو هيئته أو مظهره العام غير أن أدلر لم يتوقف عند

هذا الحد بل ذهب إلي القول بأن العاهة هي كل ما يؤثر في الشكل أو الهيئة أو أى أمر آخر له صلة بالفرد و يؤدي إلي إصابته بالاضطراب النفسي . مما دعاه إلي اطلاق مفهوم عقدة العاهة عليها جميعاً ، و مما سبق يتضح لنا إتجاه أدلر إلي الشعور بأن العاهة حتى ولو لم تكن واضحة ملموسة بشكل ظاهر تؤثر علي نفسية الفرد و سلوكه و مكونات شخصيته تأثيراً قوياً مما يؤدي به إلي الاصابة بأعراض عصابية أو ذهبية .

ومما يلاحظ أن أدلر لم ينظر إلي العاهة كظاهرة معزولة في إطار منفرد أو قائم بذاته، ولكنه عمل علي النظر إليها كجزءاً ذي علاقة بالانسان ككل وفي ضوء الاطار العام للشخصية ومكوناتها. و قد ساعد هذا الاتجاه في عدم تعميم الاحكام العامة و ما يصاحبها من مظاهر متنوعة للسلوك ، كما جعل كل عاهة حالة خاصة لا يمكن تحليلها و فهمها و الحكم عليها إلا من خلال سلوك صاحبها و طبيعة مكونات شخصيته و الطريقة التي يستجيب بها للمثيرات البيئية ، وردود أفعاله تجاه إعاقته.

و تشير هيرثا اورجلر مجموعة من الشروط التي تتصل بالعاهة و تميزها و هي :

1. ألا تكون الاعضاء المصابة قادرة علي القيام بوظائفها او الاستجابة لمتطلبات البيئة الخارجية .

2. ان تكون العقدة المترتبة علي العاهة علي كل من الجسم و الجهاز النفسي .

3. ان يكون هناك إحتمال لظهور آثار إيجابية أو سلبية مترتبة علي الاصابة بإحدى العاهات و تؤدي إلي إتجاه الفرد إلي التعويض عنها كما هو الحال في مشاهير الكتاب و الفنانين من ضعاف البصر أو فاقدى السمع أو مشوهى الجسم الذين دفعتهم عاهاتهم إلي تحدى الظروف و الاصرار علي تحقيق التفوق في ميادين عملهم أو مجالات نشاطهم الفنى أو الابداعى ، و هو ما يمثل الجانب الايجابي أم الجانب السلبي فيتمثل في الاضطرابات النفسية التي تنتج عن استسلام الشخص لضعفه . و اعتقاده في قلة حيلته ، و تصديقه بأنه مغلوب علي أمره ، مما يجعله يقع فريسة للاحباط و اليأس .

و يرتبط بعقدة النقص أربعة مفاهيم اساسية هي :

1-العاهة و الشعور بالنقص :

يلاحظ في حالة النظر إلي العاهة كمثير ، توقع أن يستجيب بها للاحداث بإحدى الطرق المتأثرة بالاتجاهات الاتية :

1) إتجاه الفرد إلي التحلي بقدر كاف من الشجاعة مما يساعده في التغلب علي العاهة و التعويض عن العضو المشوه أو المصاب أو الناقص بشكل يقلل من آثار العاهة. و يبدو السعى إلي التغلب علي النقص في شكل نشاط أو عمل من أجل التفوق . مما يؤدي إلي التغلب علي العجز بشكل موضوعي .

2) إتجاه الفرد إلي الشعور باليأس و فقدان الامل مما يقوده إلي العزلة و الانطواء و البعد عن الناس و فقدان الاهتمام الاجتماعي .

3) إتجاه الفرد إلي التأثير نفسياً بما حدث له بشكل عميق لدرجة قد تؤدي به إلي التذبذب و عدم استقراره النفسي من ثم الشعور ببعض الاعراض العصبية .

وهناك بالطبع ، كثير من الطرق الشخصية في التغلب علي الشعور بالنقص ، فقد يجد الطفل أنه من الانسب له إرضاء نزوة نحو الاعتماد علي النفس بطرق خيالية، علي سبيل المثال. ويمكن فهم كثير من مظاهر سلوك الطفل الذي يلجأ إلي مثل هذه الطريقة الذاتية للتخلص من النقص عن طريق خداع نفسه.

2-التعويق و التعويق الزائد عن الحد :

ويتمثل التعويق في هذه الحالة بطرق مختلفة منها : تدريب العضو المشوه أو المصاب بعيوب بشكل يجعله يتفوق علي الاعضاء السليمة في تأدية الوظائف، و مثل ذلك الاطفال من ضعاف الاجسام والاعضاء الذين أدى شعورهم بالنقص إلي الاقبال علي الكلام كما أن هناك العديد من مشوهي الحرب أو الحوادث ممن يعيشو حياة إجتماعية عادية في كثير من بقاع العالم دون أن تؤثر إعاقتهم علي مكانتهم الاجتماعية .

وقد توصل أدلر من خلال ممارساته الطبية إلي فكرة أن الانسان يعمل علي تعويض النقص الحاصل بسبب إعاقة احد اعضاءه، و لكنه قد يغالى في التعويض و يري بان المغالاة في التعويض لا تنتمى إلي العضو نفسه بقدر ما تتصل بالتنظيم النفسي ككل ، حيث لا يتم إستكمال خطة الحياة دون وضع اعتبار لذلك النقص . و عادة ما تخضع مجموعة القوى النفسية لعملية التوافق التعويضي ، و يسوق أدلر امثلة لذلك من حياة كبار المبدعين . بيتهوفن ، علي سبيل المثال ، كان يعاني من الصمم ، و مع ذلك فقد اصبح موسيقياً عظيماً ليس بسبب تفوقه في دراسة الموسيقى فقط و لكن بسبب عقدة النقص التي ان يعاني منها . فالمغالاة في التعويض يعتبر مهماً بالنسبة للطباع و بناء الشخصية من جهة أخرى . و قد لوحظ أن قبح الوجه أو دمامة الشكل قد تقود عن طريق التعويض

إلي إبراز المهمات العقلية العالية ، كما أن هناك كثيراً من من القدرات الطبيعية المدفونة و التي لا يتسع المقام لذكرها كانه الفضل في ظهورها هو التعويض و المغالاة في التعويض . و يمكن القول بأن ظاهرة التعويض تغطي جميع أوجه الحياة الاجتماعية ، و هو ما يقود الى أدراك أهمية دور الاسرة فى النمو النفسى للمعاق وفهمه على الوجه الصحيح.

3-النقص والشعور بالنقص :

يعتبر النقص من الظواهر التي قد تكون مصحوبة بالشعور بالنقص أو عدم الشعور به تبعاً لأحاسيس الفرد تجاه الموقف الذى يواجهه او يحيط به، فالشخص الضعيف مثلاً او المشوه قد لا يشعر بالنقص مطلقاً اذا ماتقبل حالته بطريقه لا يترتب عليها حدوث عاهات أو اضطرابات نفسية في حين قد يشعر شخص آخر بالنقص على الرغم من عدم إصابته بعلل أو نقص عضوى أو معنوى يستدعى الاحساس بذلك الشعور ، و عادة ما يرتبط الشعور بالنقص بشكل رئيسي بأفكار الفرد و طبيعة اتجاهاته سواء كان ذلك النقص جسيمياً أو إجتماعياً أو كان يتعلق بإمكانات الفرد و إستعداداته و قدرته علي تحقيق أهدافه . أما عقدة النقص فتتعلق بموقف الشخص تجاه مشاكله . فإذا ما استمر في الوقوف موقف المتشائم حيالها دون محاولة منه لتصحيح مساره سواء كان ذلك من أجل استدرار عطف الغير و مساعدته ، أو من أجل المبالغة في تعميق حالة ضعفه و لفت الانظار إلي عجزه ، فإن الشعور بالنقص في تلك الحالة يتحول إلي سلوك غير سوى و ينقلب إلي عقده.

ثانياً: التدليل :

علمنا مما سبق كيف أن الاصابة بعاهة قد يؤدي إلي الشعور بالنقص غير أننا نضيف هنا بأن الإفراط في تدليل الطفل قد يؤدي إلي حدوث نفس النتيجة تقريباً و المعاناة من نفس الاعراض ، و يؤثر الإفراط في التدليل بشكل سلبي علي تطور الشخصية ، حيث يعمل علي تعطيل نمو الاهتمام الاجتماعى بالآخرين مما يؤدي بالشخص إلي حب الذات و الاهتمام بها و إهمال غيره مما يلاحظ أنه عادة ما تلجأ الام إلي تدليل طفلها حتي تجعله يرتبط بها . و بخاصة في حالة صغار الاطفال أو في حالة الطفل وحيد الوالدين ، و بحيث يصبح الطفل هو مركز الانتباه و محور إهتمام الاسرة . غير ان ذلك يحرم الطفل . بطبيعة الحال ، من إقامة علاقات مع الآخرين بسبب عدم قدراته الاجتماعية و علاقاته الانسانية .

ويلاحظ علي الطفل السليم الذى لم يتعرض للافراط في التدليل الشجاعة و النشاط و القدرة علي التوافق و إرتفاع حاسة الذوق العام لديه . بينما يبدو علي الطفل المدلل الجبن و الخوف و ضيق الصدر مع قلة الصبر و الميل إلي الخداع و الرغبة في السيطرة علي الآخرين . و تمثل تلك السمات بدون شك احتمالات كثيرة ، إذا قد يعانى الاطفال المدللون منها أو لا يعانون منها علي الاطلاق ، و ذلك بسبب تدخل عوامل إيجابية اخري في اطوار نموهم .

ويقف التدليل بصورة عامة في وجه محاولات الفرد و الاتصال بالآخرين و إقامة علاقات إجتماعية طبيعية معهم ، تقوم علي الشعور بالمساواة و التعاون حتي لا يحصر الطفل المدلل اهتمامه في شخصه و ذاته و في مصالحه الشخصية فقط .

وعادة ما يشعر الطفل المدلل بعجزه عن إكتشاف العالم المحيط به بمفرده لعدم قدرته علي الاعتماد على النفس . كذلك يلاحظ أن ارتباط الطفل المدلل الشديد بأمه ، علي وجه الخصوص . يعطل نمو الشعور الاجتماعي لديه و يؤدي إلي حدوث إنحرافات في اسلوب حياته ، و يجعله مختلفاً في سلوكه عن غيره من الاطفال العاديين المتمتعين بالصحة النفسية .

ويبدو أثر التدليل بوجه خاص عند دخول الطفل المدرسة حيث يحاول جاهداً الحصول علي انتباه معلميه بشكل ملحوظ، كما قد يعمل بكل السبل علي أن يصبح مركز اهتمام، ذلك لشدة حاجته إلي الشعور بإعجاب الغير به و اهتمامهم بأمره و في حالة عدم الحصول علي مطلبه فقد يلجأ إلي إثارة الشغب أو خلق بعض المشاكل كوسائل للفت الانتظار إليه ، هذا علاوة علي ما يتسم به من اتجاه الي قصر الاهتمام علي ذاته وافتقاره إلي الروح الاجتماعية وميله إلي استخدام الطرق الملتوية لتحقيق اهدافه، و لذا فقد يؤدي التدليل المستمر إلي اصابة الشخص بعقدة فيما بعد . نظراً لعدم قدرته علي الصبر و تحمل الانتظار أو مواجهة مشاكل الحياة بطريقة واقعية و موضوعية .

ويؤكد أدلر علي أن انحراف الاطفال المدللين و عدم سوائهم يعود إلي عدم نضوج الاهتمام الاجتماعي لديهم ، و لذا فعادة ما يكونون من غير المفيدين إجتماعياً للجماعة ، كما أن قصرهم علي توجيه اهتمامهم لذواتهم يعتبر من العلامات المميزة لعدم السواء .

ثالثاً : إهمال الطفل :

وهناك فئة من الاطفال الذين يعانون من عقدة النقص و هم الذين يتعرضون لإهمال والديهم أو الاطفال المكروهون و المرفوضون و الدميمون و المعوقون و غيرهم و يتعرضون هؤلاء الاطفال

للإصابة بعقدة النقص بشكل سهل للغاية لأن حياتهم ليست سوى مجموعة من المواقف التي يواجه فيها الطفل السخرية و الاحتقار و الازدراء و الكراهية و الرفض و الشعور بعدم الأهمية و إنعدام القيمة . فالاطفال من زواج سابق مثلا يعانون من الأهمال في حالة زواج أحد الوالدين من شريك آخر زاهد فيهم أو كاره لصحبتهم وغير مهتم بأمرهم وما ترويه لنا القصص العديدة عن قسوة " زوجة الأب " بدرجة أعلى بكثير من الحديث عن " زوج الأم " ليس سوي دليل على أهمية الأم ومساهمتها الضرورية في نمو وتطوير شخصية الطفل، فالاطفال الذين يتعرضون لفقدان الأم يشعرون فجأة بضياح الحب والحنان، ويقاسون من الحرمان مما يجعلهم يحسدون الأطفال الآخرين من ذوي الأمهات، وقد يكرهونهم بسبب ذلك.

وعادة ما ينمو الأطفال المكروهون أو غير المرغوب فيهم أو اللقطاء أو دميو الشكل أيضا في جو خال من الحب والشعور بالانتماء ، فبعض الأطفال المعاقين أو المصابين بإحدى العاهات ، ومجئ بنت في وقت كان الأهل ينتظرون فيه قدوم مولود نكر قد يؤديان إلي شعور الوالدين بنوع من المرارة تجاه ذلك الطفل مهما حاول الوالدان إخفاء شعورهما، أما اللقطاء فهم أسوأ حظا لأنهم محرومون من دفء البيت ومن شعور التقارب والاتصال الأسري ومن حرارة القرب من الوالدين والشعور بالأمن والحماية والأطمئنان ، وحتى في حالة تلقيهم العطف والتقبل والحماية والتقدير من البعض فان عليهم عبء مواجهة نظرة المجتمع القاسية ومحاولة الهروب من وصمة عدم الشرعية ، مما يجعلهم يطورون حياتهم بشكل يتناسب والعيش في مجتمع يتسم بالعداء لهم، الامر الذي يضطرون معه إلى اعداد أنفسهم للصراع والحرب من أجل البقاء على الحياة ، كما يعاني الأطفال الدميون من نفس المشكلة وهي تجاهل الآخرين لهم نفورهم منهم ، وتخطيهم وعدم الالتفات إليهم ، هذا بالاضافة إلى أن دماهم عادة ما تصبح محل سخرية أو أستهزاء الاخرين ومحط التعليقات اللاذعة والنظريات الحادة .

وعادة ما ينظر مثل هؤلاء الأطفال جميعا إلى حياتهم نظرة غير واقعية لا يرون فيها سوي القسوة والعداء وسوء الفهم والحرمان من الصحة ودفء الأسرة ، وهو ما يجعلهم لا يتعلمون التعاون مع حداثة أعمارهم ، ونظرا لانهم ينظرون إلى الحياة نظرة عدائية ، فعادة ما تجد فيهم كثيرا من الصفات السلبية مثل العناد وعدم الثقة والمكر والخبث وتعهد إيذاء الغير أو الأضرار بهم .

وقد يحاول بعض هؤلاء الأطفال التعويض عن مشاكلهم بالتفوق في دراستهم أو في أي نشاط مناسب لهم ، وقد لوحظ أن كثير ممن يعانون من دمامة الشكل، على سبيل المثال يحاولون تعويض ذلك النقص عن طريق النجاح في مجالات أخرى تحتاج إلى الحذق والذكاء واستخدام

القدرات والمهارات العقلية الخارقة، هذا فى حالة الرجال ، أما فى حالة النساء فانهن قد يعودون أنفسهن على تحمل المسؤولية وخفة الروح والتعقل، وذلك تعويضا عن دمايتهن، الا أن هذا لاينفي بطبيعة الحال شعورهم جميعا بنوع من العداوة تجاه العالم المحيط بهم، كما يشير أدلر إلى أنه من الممكن أن نجد فى تاريخ حياة الأطفال من ذوي المشاكل النفسية وغيرهم من المصابين بأعراض عصابية ومن المجرمين والسكري أسبابا من الاهمال المتعدد، والتي أدت إلى الحيلولة بينهم وبين الاتصال بالآخرين واصابتهم بالشعور بعقدة النقص.

رابعا : عقدة التفوق أو الشعور بالعظمة :

من الملاحظ أن عقدة التفوق عادة ما تقود الفرد فى كثير من الأحيان إلى اكتساب مجموعة من القيم الاجتماعية الخاطئة ، لانه يجد نفسه مدفوعا بشكل قوي نحو تحقيق تفوقه بأي شكل من الأشكال ، ويبدو ذلك فى شكل نشاطات سلوكية أو سمات شخصية او اراء ذاتية يكونها الشخص عن نفسه وعن قدرته ، كما قد تبدو فى شكل أهداف بعيدة المنال ومبالغ فيها مما يفرضه الشخص على نفسه وعلى غيره ، مثل المبالغة فى المظهر، وفى سعيه بإلحاح لمصاحبة الأغنياء أو الأقوياء، وفى ابداء الحماس الزائد عن الحد ، وفى التلق والمفاخرة والرغبة فى السيطرة .

ومما يلاحظ على مثل هؤلاء الاشخاص من المصابين بعقدة التفوق الرغبة العارمة فى الظهور بمظهر الاقوياء ، وذلك لشعور الشخص غير السوي بأن تحقيق القوة فى السبيل الوحيد لتحقيق ما يسعى إليه من تفوق ، وإذا لم يشعروا بأن الدافع لديهم إلى القوة هو السبيل الوحيد لتحقيق ما يسعى إليه من تفوق ، وإذا لم يشعروا بأن الدافع لديهم الى القوة ما هو الا واجهة يخفون تحتها الشعور بعقدة النقص فانهم قد يضلون الطريق وينقادون الى سبيل لا طائل من ورائه ، فالمصابون بهذه العقدة لا يشعرون عادة بالرضا عما يحققونه من أهداف ، لان الشك الدفين لديهم فى قدراتهم غالبا يتحول إلى محاولة اثبات قوه لغيرهم عن طريق الانشغال بنشاطات جديدة دون راحة ودون هواة . ويعتقد أدلر بان معظم العصائيين من المصابين بعقدة التفوق هم عبيد لطموحاتهم ولكن تنقصهم الشجاعة ، ولهذا نجدهم يهربون إلى عالم صناعة يصبحون فيه هم مركز كل شئ بشكل مغرق فى الخيال ، إذ يضعون هوة بينهم وبين الآخرين ظاهريا ، بينما يعملون باطنيا على تغطية مشاعرهم الشخصية وشدة حساسيتهم خوفا عليها من أن تجرح ، وهذا ما يجعل الشخص العصابي يواصل الهروب والاستمرار فى وضع قناع يمثل القوة على وجهه بدلا من أن يعمل على تحقيق أهدافه الذاتية بشكل واقعي .

ثالثا: نظرية يونج التحليلية

هو كارل جوستاف يونج يعتبر في المرتبة الثانية بعد فرويد ابرز علماء النفس المحدثين وكان يونج وفرويد بينهما علاقة إعجاب متبادلة ومن أسباب تمزق العلاقة التي كانت وثيقة فيما مضى هي أن رفض يونج للجنسية الشاملة عند فرويد والسبب المباشر هو أن فرويد عين منهجه بنظريه في الجنس وهو ما اعتبره أمرا لا يمكن قبوله وبدأ يونج بعد ذلك في صياغة نظريته الخاصة في التحليل النفسي باسم (علم النفس التحليلي).

كانت ابرز سمات نظرية يونج إلى الإنسان وأكثرها تمايزا أنها تجمع بين (الغائية) و(العلية) فسلوك الإنسان ليس مشروطا فحسب بتاريخه الفردي والعنصري(العلية) بل وكذلك بأهدافه وبمختلف ضروب طموحه (الغائية) وكلا من الماضي كواقع والمستقبل كمكان يقود سلوك المرء في الحاضر. أن نظرة يونج إلى الشخصية نظرة إلى المستقبل بمعنى أنها تنتظر إلى الأمام متطلعة إلى مستقبل نمو الشخص والى تطوره كما أنها نظرة إلى الخلف بمعنى أنها تأخذ الماضي في اعتبارها وفي لغة يونج(إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب).

الإصرار على دور المصير أو الغرض في نمو الإنسان يفصل بوضوح بين يونج وفرويد.

* فعند فرويد لا يوجد غير تكرار لا يتوقف للموضوعات الغريزية حتى ياتي الموت

* أما عند يونج فيوجد النمو الدائم الذي كثيرا ما يكون خلاقا والبحث عن الكل والكمال والشوق إلى الميلاد الجديد كذلك تتميز نظرية يونج عن بقية المناهج الأخرى في دراسة الشخصية بما تعطيه من تأكيد قوى للأصول العنصرية والخاصة بنمو الجنس البشري بأسره وفي تكوين الشخصية.

إن يونج ينظر إلى شخصية الفرد باعتبارها نتاجا ووعاء يحتوى على تاريخ أسلافه والإنسان الحديث قد تشكل في شكله الزاهن بفعل الخبرات المتراكمة للأجيال الماضية

(فرويد يؤكد على الأصول الطفلية للشخصية)

(يونغ يؤكد على الأصول العنصرية للشخصية)

يوضح يونج إن الإنسان يولد مزودا بكثير من الاستعدادات التي يتركها له أسلافه وتوجه سلوكه.

نقب يونج في تاريخ الإنسان ليتعلم بقدر ما يستطيع الأصول العنصرية للشخصية وتطورها وما لهذا الماضي من وقع على الإنسان اليوم.

بناء الشخصية:

إن الشخصية الكلية او النفس كما يسميها يونج تتكون من عدد من الأنظمة المنفصلة والمتفاعلة وهي: الأنا- اللاشعور الشخصي وعقده- اللاشعور الجمعي وأنماطه الأولية- القناع- الانميما- الانيموس- الظل.

الأنا: Ego

هو العقل الشعوري وهو يتكون من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات وهي مسئولة عن المرء بهويته واستمرار يته.

اللاشعور الشخصي: Personal Unconscious

إن اللاشعور الشخصي منطقة مرتبطة بالأنا وهو يتكون من خبرات كانت شعورية فيما مضى إلا أنها كبتت وقمعت ونسيت أو تم تجاهلها بحيث لا تترك انطبعا شعوريا عند الشخص.

العقد: Complexes

العقد مجموعة منظمة أو تجمع من الوجدانات والأفكار والمدركات والذكريات توجد في اللاشعور الشخصي وإنها نواة تعمل كنوع من المغناطيس الذي يجذب إليه مختلف الخبرات وكلما كانت القوة النابعة من النواة قوية زادت الخبرات التي تجذبها إليها. اي أن الشخص الذي تسيطر على شخصيته الأفكار المتعلقة بالأم يقال أن لديه عقدة أم قوية وأفكاره ووجداناته وأفعاله يوجهها تصوره للام. إن النواة في اللاشعور الشخصي يمكن بل وكثيرا ما تصبح شعورية.

اللاشعور الجمعي: Unconscious Collective

اللاشعور الجمعي من أكثر سمات نظرية يونج في الشخصية أصالة وابتكاره كما انه في الحالات المرضية يلقي بظلاله على الأنا واللاشعور الشخصي. فان اللاشعور الجمعي هو مخزن أثار الذكريات الكامنة التي ورثها الإنسان عن ماضي أسلافه الأقدمين(من الإنسان والحيوان). وان اللاشعور الجمعي هو المتخلفات النفسية التي تتراكم نتيجة الخبرات المتكررة عبر أجيال كثيرة، مثلا:

جميع البشر لهم أمهات فان كل طفل يولد ولديه الاستعداد لأدراك الأم والاستجابة لها. وأيضا إن الإنسان لديه الاستعداد للخوف من الظلام أو من الافاعي لأنه يمكننا أن نفترض أن الإنسان البدائي قابل كثيرا من الأخطار في الظلام كما كان ضحية الافاعي السامة.

واللاشعور الجمعي هو الأساس العنصري الموروث للبناء الكلي للشخصية وعليه يبنى الأنا واللاشعور الشخصي وجميع المكتسبات الفردية الأخرى وان ما يتعلمه الشخص نتيجة الخبرات يتأثر تأثرا جوهريا باللاشعور الجمعي الذي يمارس على سلوك الشخص منذ بداية حياته. فان المنطقتين اللاشعورية في العقل (الشخصية- الجمعية) يمكن أن تقدم خدمات بالغة للإنسان ومن ناحية أخرى إذا أهمل الأنا حكمة اللاشعور أو تجاهلها فان اللاشعور قد يحدث اضطرابا في العمليات الشعورية المنطقية وذلك بالسيطرة عليها وتحويلها إلى الأغراض والمخالفات المرضية والهواجس.

Archetypes الأنماط الأولية:

يطلق الأنماط الأولية على المكونات البنائية للاشعور الجمعي وان النمط شكل فكري مشاع وعام يتضمن قدرا كبيرا من الانفعال وهذا الشكل الفكري يخلق صوراً تشابه في حياة اليقظة السوية بعض جوانب الموقف الشعوري.

وخبرة الفرد هي الاستعداد الداخلي للفرد وإدراكه للعالم بصورة معينة والطبيعة الفعلية لهذا العالم وعاده مايتفق المحددان معا ويلتقيان. (إن النمط الأول نتاج الخبرات العنصرية بالعالم)

ينشا النمط الأولى من انه وديعة دائمة في العقل لخبرة تتكرر على الدوام عبر أجيال كثيرة وبطريقة مماثلة تعرض الإنسان طوال وجوده لأمثلة لاحصر لها لقوى الطبيعة الجبارة كالبراكين ومساقط المياه والفيضانات والأعاصير والبرق ومن هذه الخبرات نما وزاد نمط الطاقة الأولى والاستعداد لأدراك القوه والانبهار بها. والأنماط الأولية ليست بالضرورة معزولة بعضها البعض الآخر في اللاشعور الجمعي بل إنها تمتزج وتختلط بعضها البعض الآخر مثل امتزاج النمط الأول للبطل بالنمط الأول للرجل الحكيم لينتج مفهوم (الملك الفيلسوف)

ويفترض أن هناك أنماط أولية عديدة في اللاشعور الجمعي ومنها الأنماط الأولية للولادة والموت والقوة والسحر والوحدة والبطل والطفل والله والشيطان والحكيم المسن.

القناع: Persona

يطلق على القناع الذي يرتديه الشخص استجابة لمطالب المقترضيات الاجتماعية والتقاليد هو(الشخصية العامة) وهو أيضا تلك الجوانب التي يظهرها الشخص للعالم أو التي يثبتها الزاى العام على الفرد في مقابل الشخصية الخاصة والتي توجد قابعة خلف الوجهة الاجتماعية وإذا توحد الأنا

بالقناع وهو ما يحدث كثيرا فان الشخص يصبح أكثر شعورا بالدور الذي يلعبه بمشاعره الحقيقية وانه يصبح بعيدا عن ذاته مغتربا عنها ويصبح انعكاسا للمجتمع أكثر من أن يكون كائنا بشريا له استقلاله الذاتي.

الانيميا والانيموس:

من المعترف به أن الإنسان حيوان ثنائي الجنسية فعلى المستوى الفسيولوجي يفرز الذكر الهرمونات الجنسية الذكرية والأنثوية كليهما والأمر بالمثل لدى الأنثى وينسب يونج الجانب الانثوى في شخصية الرجل والجانب الذكرى في شخصية المرأة إلى الأنماط الأولية ويطلق على النمط الأولى الانثوى لدى الرجل (الانيميا) والنمط الأولى الذكرى لدى المرأة (الانيموس).

فلقد اكتسب الرجل نتيجة حياته مع المرأة عصورا طويلة انوثته والعكس ولكنهما يعملان بوصفهما صورا جمعية تدفع كل جنس إلى الاستجابة لإفراد الجنس الآخر ولفهمهم وقد يعانى خيبة أمل مريرة عندما يتبين أن الاثنين غير متماثلين ويجب أن يحدث توفيق بين مطالب اللاشعور الجمعي وحقائق العالم الخارجي.

الظل: Shadow

يتكون النمط الأولى للظل من الغرائز الحيوانية التي ورثها في تطوره من الأشكال الدنيا من الحياة والنمط الأولى للظل مسئول كذلك عن ظهور الشعور وعن السلوك غير السار وعن الأفكار والمشاعر والأفعال المنبوذة اجتماعيا وهذه قد يعمد القناع إلى إخفائها بعيدا عن أنظار العامة أو تكبت في اللاشعور الفردي والظل بغرائزه الحيوانية الفياضة بالحية والشهوة يمنح الشخصية الجسم المكتمل أو خاصية (التفكير - الوجدان - الإدراك) وانه يساعد على إخراج الشخص الكلى وصياغته.

الذات: The Self

أن الذات هي نقطة الوسط في الشخصية تتجمع حولها جميع النظم الأخرى وهى تجمع هذه النظم معا وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات

ومنطقة الذات بين الشعور واللاشعور وان الذات هي هدف الحياة والهدف الذي يحاول الناس بلوغه دائما لكنهم نادرا مايبلغونه وهي تحرك سلوك الإنسان وتدفعه نحو البحث عن الكلية. واكتشف يونج الذات في دراساته وملاحظاته لديانات الشرق التي يحقق فيها البحث عن الكلية والوحدة مع العالم. ومن الضروري قبل أن تبرز الذات أن تحقق مختلف مكونات الشخصية نموا كاملا وتفردا لهذا لا يصبح النمط الأولى للذات واضحا قبل أن يصل الشخص إلى منتصف العمر.

الاتجاهات: Attitudes

ميز يونج اتجاهين أساسيين تتخذها الشخصية وهما:

1- الاتجاه الانبساطي (وهو يوجه الشخص نحو العالم الخارجي الموضوعي)

2- الاتجاه الانطوائي (وهو يوجه الشخص نحو العالم الداخلي الذاتي)

فإذا كان الأنا أقوى وتغلب عليه الانبساطية في علاقته بالعالم فان اللاشعور الشخصي يكون منطويا.

الوظائف: The Functions

هناك أربعة وظائف رئيسية حددها يونج وهي:

1- التفكير (وهي عملية ذهنية يفهم الإنسان طبيعة نفسه والعالم من حوله).

2- الوجدان (وهي وظيفة القيمة للأشياء وتمنح الإنسان خبراته الذاتية باللذة والألم والغضب والخوف والبهجة والحب).

3- الإحساس (وهي الوظيفة التي تسبق الإدراك أو الوظيفة الواقعية).

4- الحدس (وهي الإدراك بواسطة عمليات لاشعورية دون وعى ويتجاوز الإنسان الوقائع والوجدانات والأفكار ليكون نماذج للواقع التنبؤ).

لا تنمو هذه الوظائف بالضرورة نموا متساويا وعادة ماتكون إحدى هذه الوظائف على قدر مرتفع من التفاضل بحيث تلعب دورا غالبا في اللاشعور وحين إذ تسمى (الوظيفة العليا) وتعمل الثلاثة الوظائف الأخرى مساعدة لها وتحل اي من الوظائف الثلاثة محل الوظيفة العليا أليا في حالة ما حيل بين الوظيفة العليا والنشاط أما اقل الوظائف الأربعة فتسمى (الوظيفة الدنيا) وإنها تكبت وتصير لاشعورية.

التفاعل بين أنظمة الشخصية عن طريق ثلاثة طرق

(يعوض احد النظم ضعف نظام آخر) (يعارض نظام ما نظاما آخر) (يتحد نظام مع نظام أو أكثر ليكونا تالفا).

وبصفة عامة يكون جميع محتويات العقل اللاشعوري تعويضا عن محتويات العقل الشعوري. يعتقد يونج انه يجب أن تؤسس النظرية السيكلوجية للشخصية على مبدأ التعارض أو الصراع لان التوترات التي تخلقها العناصر المتصارعة هي لب الحياة وجوهرها فبدون الصراع والتوتر ما كانت لتوجد طاقه وما كانت لتوجد شخصية.

الأنا تذهب وتجيء بين المطالب الخارجية للمجتمع والمطالب الداخلية للاشعور الجمعي ويتكون نتيجة لهذا الصراع القناع.

سمي يونج (الوظيفة المتعالية) وأطلقها على ماينتج عن عمل هذه الوظيفة من تآلف بين النظم المتعارضة لتكون شخصية متوازنة متكاملة ومركز هذه الشخصية المتكاملة هو الذات. إن الشخصية في نظر يونج ليست فقط في الأنماط الأولية الممكنة والعقد بل أيضا التفاعلات بين هذه المكونات.

مثلا: علاقة الانميما ونظم الشخصية الأخرى (إن الطفل الذكر المزود بنمطه الأولى للمرأة يجذب غريزيا للمرأة الأولى التي تكون أمه في العادة وعندما يتقدم الطفل في السن تصبح هذه الروابط مع الأم مقيدة ومحبطة، ولذا تكبت عقدة الأم التي تكونت في الأنا وتحولت إلى اللاشعور الفردي وفي هذا النمو تكبت السمات والاتجاهات الأنثوية التي غرست في الأنا عن طريق الانميما لأنها غريبة على الدور الذي يتوقع منه المجتمع بوصفه الذكر (القناع).

يقول يونج إن قدرا كبيرا من سوء التوافق وعدم السعادة يرجع إلى نمو من جانب واحد في الشخصية يتجاهل جوانب هامه من طبيعة الإنسان.

** أن الشخصية في نظر يونج بناء على قدر بالغ من التعقيد عدد الأنماط الأولية الممكنة والعقد بل إن التفاعلات بين هذه المكونات كثيرة التداخل والتشابك.

ديناميات الشخصية:

يتصور يونج الشخصية أو النفس نظاما من الطاقة غير مغلق تماما لأنه لابد من إضافة طاقات من مصادر خارجية إلى النظام مثل الأكل كما تنتزع من النظام طاقة مثل القيام بالأعمال

العضلية نفهم من ذلك أن ديناميات الشخصية تتعرض إلى المؤثرات والتعديلات من المصادر الخارجية.

الطاقة النفسية:

الطاقة النفسية مظهر لطاقة الحياة وتنشأ الطاقة النفسية بنفس الطريقة التي تنشأ بها كل طاقة حيوية أعنى من عمليات الهدم والبناء في الجسم (طاقة الحياة الليبدو)
الطاقة النفسية ليست مادة ظاهرة لذلك لا يمكن قياسها، وتوجد الطاقة النفسية في شكل:
أ- القوة القائمة بالفعل مثل (الرغبة- الإرادة- الوجدان- الانتباه- بذل الجهد)
ب- القوة الممكنة للشخصية مثل (الاستعدادات- القدرات- الميول- النوازع- الاتجاهات).

القيم النفسية:

أن مقدار الطاقة النفسية في عنصر الشخصية تسمى قيمة هذا العنصر والقيمة مقياس للشدة فعندما نتحدث عن إعطاء قيمة كبيرة لفكرة أو وجدان معين نعنى ذلك إن هذه الفكرة أو الوجدان لها وزن في حفز السلوك وتوجيهه، وعلى العكس إذا كان لشيء ما قيمة تافهة فإنه لن يرتبط إلا بقدر ضئيل من الطاقة وإن الشخص يبذل للحصول على حافز ما جهدا اكبر مما يبذله للحصول على حافز آخر (اعتبار ترتيب تفضيلات مقياس اجمالى للقوى النسبية لقيمة).

**** قدرة العقدة على التجميع:**

وهى مدى قدرة العنصر النووي من العقدة على التجميع وإن المرء يستطيع عن طريق الملاحظة والاستنتاج أن يصل إلى تقدير لعدد المستويات المتصلة بعنصر نووي = فالشخص الذي يعاني من عقدة الأم قوية يميل إلى إقحام أمه أو شيء يتصل بها في كل نقاش ويميل مثلا إلى رؤية الأفلام السينمائية التي تجسد ادوار الأم.
إن العقد لا تعرب عن نفسها دائما بصورة عامة فقد تظهر في الأحلام أو في أى شيء مبهم لذلك لابد من (الاستنتاج التحليلي) وهو اكتشاف الدلالة الكامنة وراء الخبرة وذلك عن طريق كلا من:
أ- اختبار تداعي الألفاظ (عبارة عن مجموعة كلمات مقننة يطلب من الشخص الإجابة بأول كلمة تخطر على باله).
ب- اختبار المقاييس الفسيولوجية (عبارته عن قياس نبض القلب واحمرار الوجه واستجابة الشخص الانفعالية لموقف ما).

يمكن من هذين المقياسين بدقة لا بأس بها قياس قوة عقد الشخص.

مبدأ التعادل (مبادئ الدينامية)

وهو أن إذا أنفقت الطاقة في تحقيق شروط معينة كالقيام بعمل مثلا فالقدر المستخدم سوف يظهر في مكان آخر من النظام (التوزيعات المتجددة للطاقة تكون ديناميات الشخصية).
مثلا:

أذا ضعفت أو اختفت قيمة معينة فان مجموع الطاقة التي تمثلها هذه القيمة لن تفقدها النفس وإنما ستظهر مرة أخرى في قيمة جديدة اي أن الأداء الوظيفي للشخصية الكلية يقدر مبدأ التعادل إذا انتقلت الطاقة من الأنا مثلا ستظهر في نظام آخر القناع مثلا أو اللاشعور الفردي.
وربما ارتفاع أو انخفاض الطاقة راجعا إلى إضافة الطاقة من مصادر خارج الجسم (مثل الطعام أو الراحة) أو إلى انتزاع الطاقة (مثل أداء عمل عضلي أو الإجهاد في العمل).

مبدأ الانتقال:

نظرية يونج لديناميات الشخصية يقدر أن توزيع الطاقة في النفس ينزع إلى التوازن أو الاتزان فان الطاقة ستجبه من القيمة القوية إلى القيمة الضعيفة إلى أن يتحقق التوازن ولكن طالما أن النفس ليست نظاما مغلقا فإن من الممكن إضافة الطاقة أو انتقاصها من اي من القيمتين المتعارضتين فيضرب التوازن وبالرغم من انه لا يمكن أبدا إقامة توازن دائم بين قوى الشخصية فان هذه هي الحالة المثالية التي يهدف إليها دائما توزيع الطاقة (توزيع الطاقة الكلية بالتساوي على مختلف نظم الذات).

وتحقيق الذات في نظر يونج هو هدف النمو النفسي يعنى أن ديناميات الشخصية تتحرك نحو توازن كامل بين القوى اي أن النظام الضعيف يحاول تحسين مكانته على حساب نظام قوى ويسبب ذلك توتر في الشخصية.

إن القاعدة العامة عند يونج توضح انه اي نمو من جانب واحد في الشخصية يخلق الصراع والتوتر إنما النمو المتعادل لجميع مكونات الشخصية يؤدي إلى انسجام والرضا.

غير أن حالة التوازن الكامل حالة تفتقر إلى إنتاج الطاقة لان إنتاج الطاقة يتطلب اختلافا في القوى والنظام ينحدر ويتوقف عندما تصبح جميع أجزائه في حالة توازن متساوي أو انتقال تام وذلك فانه من المحال أن يصل كائن إلى الانتقال التام.

استخدام الطاقة:

تستخدم الطاقة النفسية بأسرها في هدفين وهما:

- 1- الطاقة التي تتفق في الأعمال الضرورية للمحافظة على الحياة والتكاثر (الوظائف الفطرية الغريزية) كما تتمثل في الجوع والجنس وهي تعمل وفق قوانين بيولوجية طبيعية.
- 2- الطاقة التي تزيد عن حاجة الغرائز وتستخدم في (النشاطات الثقافية والروحية) وهي تشكل أهداف الحياة التي هي ارقى. فبقدر ما يصبح الشخص أكثر كفاءة في إشباع حاجاته البيولوجية بقدر ما تبقي له من طاقة لمتابعة الثقافات.

نمو الشخصية:

يعتقد يونج أن الإنسان يتقدم دائما إلى الأمام ويتطور على الدوام إلى أشكال أكثر نقاضلا ومستقبل الإنسان هو الشيء الذي يجده يونج جديرا بالاهتمام والتحدي. وان النفس طورت مركزا جديدا وهو الذات يحل محل المركز القديم وهو الأنا

**** العلية في مقابل الغائية:-**

يذهب يونج إلى أن وجهتي النظر ضرورية في علم النفس إذا كنا نسعى لفهم كامل للشخصية فان الحاضر لايتحدد عن طريق الماضي (العلية) فقط بل ويحدده المستقبل كذلك (الغائية) وان العقل يعطى من جانب صورة لما ترسب عن الماضي ويعطى من الجانب الآخر صورة للمعرفة المتولدة بكل ما سيحدث.

فالإنسان ذو الاتجاه العلي الخالص من المحتمل أن يؤدي إلى خلق اليأس والاستسلام لدى الإنسان والإنسان ذو الاتجاه الغائي يعطى له الشعور بالأمل وبوجود شيء يعيش من اجله (إن سيكولوجية يونج سيكولوجية متفائلة).

الوراثة:

تعطي سيكولوجية يونج الوراثة دورا هاما فهي مسئولة في المقام الأول عن الغرائز البيولوجية التي تخدم أغراض المحافظة علي الذات والتكاثر وتكون الغرائز الجانب الحيواني (وهو الدفعة الداخلية لإشباعها) وهناك بجوار وراثة الغرائز البيولوجية وراثه لخبرات الأجداد تورث في شكل أنماط أولية فان النمط الأولى هو ذاكرة العنصر التي أصبحت جزءا من ارث الإنسان بفضل تكرارها على نظام سائع عبر الأجيال وبقبول فكرة الوراثة الثقافية.

مراحل النمو:

لايحدد يونج بالتفصيل المراحل التي تمر بها الشخصية ولكن علي سبيل المثال:

- 1- في السنوات المبكرة يستمر الليبدو في نشاطات ضرورية للبقاء .
 - 2- قبل سن الخامسة تبدأ القيم الجنسية في الظهور وتبلغ قمته خلال المراهقة.
 - 3- تبلغ غرائز الحياة الأساسية والعمليات الحيوية في شباب المرء والسنوات الأولى من الرشد ذروتها فالشباب يكون فياضا بالطاقة والقوة ومندفعا عاطفيا ومعتدا على الآخرين .
 - 4- وهذه الفترة من الشباب يتعلم الشخص مهنته وينجب الأطفال ويبني مكانته في الحياة .
 - 5- وعندما يصل إلى أوائل الأربعينيات فاهتمامات الشباب تفقد قيمتها وتحل محلها اهتمامات أكثر ثقافية وقل بيولوجية ويصبح أكثر انطواء وقل اندفاع ويحل التروي والعقلانية وتتسم قيمه في شكل رموز اجتماعية ودينية وفلسفية انه يتحول إلى إنسان روحي .
- إذا أصاب الخلل شيء أثناء تحول الطاقة فإن الشخصية قد يلحق بها العجز الدائم مثلا: عندما لاتستخدم القيم الثقافية والروحية لمنتصف العمر جميع الطاقات التي كانت تستثمر فيما سبق في الأهداف الغريزية يصبح فائض الطاقة طليقا ليعبث الاضطراب في توازن النفس.

التقدم والنكوص:

إن النكوص هو النقيض للتقدم

وان النكوص في الطاقة ليس لها بالضرورة اثر سيء دائم علي التوافق والحقيقة انه قد يساعد الأنا علي العثور علي طريقة يدور بها حول العقبة ويتحرك مرة أخرى إلي الأمام.

عملية التفرد:

لو أن أي جزء من الشخصية قد أهمل فإن النظم المهملة والتي أقل نموًا ستتشتت كمراكز للمقاومة وستحاول الاستيلاء على الطاقة من النظم التي أكثر اكتمالاً في النمو، وتتكامل الوظائف المتفاضلة بفعل (الوظيفة المتعالية).

عملية الإعلاء والكبت:

الإعلاء (التسامي): ازاحة الطاقة من عمليات بدائية أو غرائز أقل تفاضلاً إلى عمليات ثقافية وروحية أكثر تفاضلاً. **الكبت**: عندما يعاق تفريغ طاقة فإنه يقال إنها كبتت. الإعلاء أو التسامي تقدمي وتكاملي حيث يؤدي إلى التحرك للأمام أما الكبت نكوصي يؤدي إلى التحرك للخلف ويفسد التكامل، فالشخص من وجهة نظر يونج قد يجد الإجابة علي مشاكله في اللاشعور ويتحرك إلى الأمام ثانياً.

الرمز: (إن الرموز تعبيرات تمثل النفس)

لها وظيفتان أساسيتان وهما:

1- يمثل محاولة إشباع دفعة غريزية قد أحبطت.

2- تجسيد لمادة نمطية أولية.

وكلما اكتشفنا رموزاً أحسن أي رمز تفرغ طاقة أكثر وتخفف توتراً أكثر .

الفصل الثالث

النظرية الحديثة فى التحليل النفسى

أولاً: إريك أريكسون

مقدمة:

على عكس كل من يونج وأدلر وهورنى وفروم وسوليفان الذين اختاروا جميعاً رفض نموذج الطاقة النفسية الذى وضعه فرويد . اختار بعض المنظرون العودة له مرة أخرى مع بعض التعديل ، وبقبول للمبادئ الأساسية لفرويد كالنشاط الجنسى الطفولى والصراعات اللاشعورية والنموذج التركيبى للشخصية . وبأستخدام بعض كتابات فرويد الأخيرة كنقطة انطلاق أخذ هؤلاء المنظرين يبحثون عن إعادة التوازن المفقود عن طريق التركيز على قوة الأنا العقلانية ، وهو ما أصبح معروفاً بعلم نفس الأنا ومن العلماء الذين ساهموا فى تطوير علم نفس الأنا بول فيدرم Fedrem,P وأنا فرويد Freud,A وهينز هارتمان Hartman,H. وارنيست كريس Kris,E لوفنشتين Loewenstin ، ودافيد رابابورت . Rapaport,D . وعلى سبيل المثال فقد أكد هارتمان على أن وظائف كاللغة ، والذاكرة ، والمهارات الحركية والتفكير هى من وظائف الأنا ، وشبه الأنا بمركز الوطنية والسلام فى بلد تحدث الحروب على حدودها ، كما حافظ هارتمان على المظهر المقبول للفرويديين الجدد والميتافزيقيين .

لكن يعتبر ما حققته نظرية الأنا من الانتشار والاهتمام المهنى لم يكن ليحدث لولا هذا الرجل غير العادى المبدع الذى دخل دائرة فرويد وعمره (25 سنة) بدون أية درجة جامعية على الإطلاق ، وخرج بعد ذلك كواحد من أوائل المهتمين بعلم نفس الطفل ، كما أسهم بمصطلح أزمة الهوية Identity Crisis فى تفسير الكثير من ظواهر مرحلة المراهقة . إنه إريك هومبرجر إريكسون . ErikH.Erikson

نشأته وحياته

ولد إريكسون فى الخامس عشر من مايو عام (1902 م) فى فرانكفورت بالمانيا لوالدين دنماركيين وكان أبوه بروتستانتى ترك الأسرة قبل ولادة إريكسون وتزوجت أمه بعد ثلاث سنوات من عمر إريكسون من الدكتور تيودر هومبرجر طبيب الأطفال الذى كان يعالج ابنها وكان يعتقد اليهودية وهى نفس ديانة الأم . وعاش فترة طويلة تحت رعاية الأم وزوجها ناسياً تلك الفترة التى عاشها مع الأم بمفردها . وخلال العقود الأربعة الأولى من عمره عرف باسم إريك هومبرجر إلى أن أصبح مواطن امريكى الجنسية عام 1939 ففضل أن يحمل اسمه الحقيقى وهو إريك إريكسون ، أما مصدر الألم الآخر الذى كان من أسباب تميع الهوية عند إريكسون هو التناقض بين وراثة إريك لليهودية (عن أمه وزوجها) وبين ما لديه من خصائص شعوب شمال اوربا وما تميز به من طول القامة والشقرة وزرقة العيون ، وهو ما جعله مرفوض من جماعات الطفولة فى كلا المجموعتين ، ولقد انعكس ذلك عليه فى السنوات الأخيرة من عمره .

كان إريكسون طالباً متوسط التعليم لم يحصل على شهادة جامعي من أى نوع ، وخلال العشرين سنة الأولى كان هائماً على وجهه إلى أن درس فى مدارس الفن ورسم صوراً زيتية للأطفال، وعانى من مشاكل نفسية تتأرجح بين العصاب والذهان وكان يصف نفسه بأنه نابغ منذ صغره ولكنه بلا مأوى . وفى صيف عام 1927 تحرك الى فينا وقبل العمل كمعلم للأطفال فى مدرسة صغيره أنشئت لأطفال مرضى وأصدقاء فرويد ، وتمتع بتبنى حقيقى من قبل أنصار فرويد ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتلقى تدريبات فى التحليل النفسى للطفل ، وفى سبيل الحصول على هوية، توجه إريكسون إلى كوبنهاجن (بالدنمارك) ليحصل على الجنسية الدنماركية وليؤسس أول مركز فى التحليل النفسى هناك ، لكنه فشل فى تحقيق الهدف ، وعندما تنبأ بقدم التهديد النازى هاجر من الدنمارك إلى بوسطن بأمرىكا عام 1923 ، وفيها أصبح أول من مارس التحليل النفسى فى هذه المدينة ، والنحى بالعمل فى عيادة هنرى موراي فى هارفرد . ، وفى عام 1936 - 1939 عين فى قسم الطب النفسى بمعهد العلاقات الإنسانية بجامعة ييل Yale ، ولقد اتاح له هذا المنصب حرية كاملة ليتابع ما يرغب من بحوث ، وفى عام 1939 انتقل إلى سان فرانسيسكو حيث استأنف عمله فى التحليل النفسى للأطفال وواصل اهتمامه بالانثروبولوجيا والتاريخ ، وفى عام 1942 م اصبح استاذ لعلم النفس فى جامعة كاليفورنيا بيركلى وشارك فى الدراسة الطولية المشهورة " دراسة توجيه الطفل " تحت اشراف جين ماكفرلين J.Macfarline ، وتبع ذلك فترة مكثفة من الملاحظة الاكلينيكية قضاها إريكسون ليرسخ هويته المهنية كمحلل نفسى عن طريق التأليف ، وفى عام

1950 نشر اريكسون أول كتبه الطفولة والمجتمع Childhood & Society الذى اكتسب شهرة واسعة واعيد طبعه عام 1963 ورغم أنه ألف بعد ذلك سبع كتب أخرى فإن كتابه الطفولة والمجتمع اعتبر أهم كتبه لأنه يقدم فيه الموضوعات التى شغلته بقية حياته . وبعد تخليه عن منصبه فى جامعة كاليفورنيا كاحتجاج على قسم الولاء الخاص بأعضاء هيئة التدريس عام 1951 والذى أعلن مؤخراً أنه غير قانونى ، فقد أخذ اريكسون موقعه فى مركز اوستن ريجرز فى ماشستس وهو مركز يهتم برعاية الشباب الذى يعانى اضطراباً نفسياً ، وفى سنة 1960 عين استاذاً فى جامعة هارفرد، حيث كان مدخله الى دورة الحياة مألوفاً جداً لطلابه . وتقاعد اريكسون فى 1970 م ، وانتقل إلى سان فرانسيسكو بكاليفورنيا واستمر يكتب ويعمل كاستشارى لمستشفى مونت زيون Mont Zion واستشارى لبرنامج العلوم الطبية والصحية فى جامعة كاليفورنيا كما تابع الكتابة فى صحف ومجلات واسعة الانتشار مثل التايمز والنيوزويك .

الشخصية عند اريكسون:

- العمليات البيولوجية والليدو والجنس :

ظل اريكسون على ولاءه لفرويد حيث ضمن الليدو فى البناء الأساسى لنظريته ، ولكن بدون بعض الجوانب التى يشملها هذا المفهوم . فقد شبه هذا المفهوم بالضوء الواضح والقوى الذى يلقى على ظلام العقل البشرى فيضيئه ، وعرفه بأنه طاقة جنسية متحركة تسهم فى رفع وخفض مساعى الإنسان وغالباً ما يحدث ذلك فى وقت واحد . وحذر من أنه يعطى قليل من الاهتمام للتحدث عن الطاقات التى لا يمكن إثباتها عملياً (Erikson , 1968)

عمليات الأنا: الهوية والسيادة

أ- الهوية :

يرى إريكسون أن الأنا أبعد من أن تحاول التوسط بين الهو الغريزية والأنا الأعلى التأديبى والبيئة المحيطة ، ولكن قدرتها تمتد إلى أبعد من مجرد الدفاع ضد الغرائز المحرمة والقلق ، والسبب الاساسى هنا هو أن الوظيفة البنائية للأنا السوية هو احتفاظها بالشعور بالهوية Identity أو هوية الأنا أو الهوية السيكولوجية . وهذه حالة داخلية تتضمن أربعة جوانب رئيسية هى :

1. الفردية Individuation وتعنى الإدراك الواعى بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقلة واضحة .

2. **التكامل وتوفيق المتناقضات** : أى الاحساس بالكمال الداخلى واللينفسامية وهو ما ينتج من العمليات اللاشعورية للأنا ، فالطفل النامى يكون صور مختلفة للذات مثل أقل حياً من قبل الآخرين ، النبوغ والفشل ، الطاعة والعصيان ، الثقافة والجهل ، ضآلة الجسم والعجز عن الاستقلال فى الصغر مقابل كبر الجسم والقدرة على الاعتماد على النفس فى الكبر ، وغيرها ، والأنا السوية تكامل بفاعلية بين هذه الصور الخيالية وينتج عن ذلك احساس بالتكامل والانسجام الداخلى والتفرد مع نمو الشخص وتطوره .

3. **التماثل والاستمرارية** : أى بذل مجهود شعورى للإحساس بالتماثل الداخلى والاستمرارية بين ما هو ماض وما يتوقع أن يحدث فى المستقبل ، والشعور بأن حياة الفرد ملائمة له وأنه منقاد فى اتجاه ذات معنى .

4. **التماسك الاجتماعى** : أى الاحساس الداخلى بالتمسك بالمثاليات والقيم التى يؤمن بها بعض الجماعات ، والشعور بالتدعيم الاجتماعى والصدق ، والهوية الثابتة تحقق احساس داخلى بالتماثل والاستمرارية ويكونها ذات معنى للآخرين وان الفرد قريب لادراكهم وتوقعاتهم وعند حسن ظن الآخرين به ، ولذلك فالهوية كعملية مستقرة ليس فقط فى ذات الفرد لكن ايضاً فى ثقافته التى ينتمى إليها .

وفضلاً عن احساسه الداخلى بتشتت الهوية فى وقت ما، فقد رأى اريكسون الصعوبات التى واجهت بعض الجنود الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية ، والعقبات التى لاقوها عندما حاولوا الاندماج فى المجتمع ، واصبح اكثر اهتماماً بالمشكلات التى ترتبط بالانتشار الحاد فى الهوية ، ومع الوقت ومن خلال خبراته الاكلينيكية بدأ يعتقد أن الأزمات النفسية التى خبرها بعض الجنود انما حدثت كنتيجة لتخليهم عن دورهم العسكرى ودخولهم فى دور آخر مدنى ، وهو ما يتماثل مع المشكلة التى يمر بها المراهقين عندما يتركون طفولتهم من خلفهم ويتحركون قدماً خلال مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد ويعرف هوية الأنا " بأنها ادراك الحقيقة بأن هناك تماثل ذاتى واستمرارية فى طرق الأنا التكاملية ، وفى نمط الفردية الشخصية ، وان هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرارية للمعنى الشخصى كما يدركه الآخرون الذين يمثلون أهمية فى الوسط الاجتماعى لهذا الفرد " ... وحتى فى الكتابات المبكرة لإريكسون (1956) حيث كان يرى أن مصطلح الهوية يتضمن كل من استمرار التماثل (الاتساق مع النفس) واستمرار الاشتراك فى بعض الصفات الجوهرية مع الآخرين ، وفى كتاباته بعد ذلك قرر أن التماثل الذاتى ، والاستمرارية يتم التعبير عنها من خلال الإحساس الشعورى

بالهوية الفردية والكفاح اللاشعورى بغرض استمرارية الخصائص الشخصية والعمليات المستمرة للمحافظة على تركيبة الأنا Ego Synthesis (اى تكوين مركب عن طريق الجمع بين مركبات اكثر بساطة أو الجمع بين الشيء ونقيضه) والكفاح الداخلى مع معايير الهوية للمجموعة التى ينتمى لها ...

وتمثل الهوية عند اريكسون حاجة حيوية لوجود كل إنسان فى حياة اجتماعية ذات معنى ، ولا يمكن الشعور بالرغبة فى البقاء على قيد الحياة بدون الأحساس بهوية الأنا ، والحرمان من الهوية يمكن أن يقود إلى الانتحار (1963) . وغالباً ما ترجع حالة انتشار الهوية أو انتشار الدور / تميح الدور فى مثل أزمت الهوية التى تتضمن كل ما هو عكس ثبات الهوية كالأحساس بالانهيار الداخلى ، وقلّة أو انعدام الإحساس بمل يمكن ان تقود إليه الحياة ، والعجز عن الاستفادة من المساعدة المتاحة بواسطة الادوار الاجتماعية المشبعة أو المهمة . هذه الظروف قد تتمثل فى صعوبة الذهاب للسريير أو النوم فى الحال ، وفى الاستيقاظ ومواجهة اليوم الجديد ، وقلّة التركيز واستغراق الوقت فى اجترار الهموم الذاتية والخيالات الخاصة به ، كما يكون لدى الفرد إحساس غير مفهوم بكونه شخص تائه وغير ذات قيمة أو أنه ليس حسناً .

ويرى اريكسون أن انتشار الهوية تمثل المشكلة الكبرى التى تواجه العلاج النفسى الحديث فيقول : " إن مرضى اليوم يعانون فى أغلب مشاكلهم من : ما الذى ينبغى ان يعتقد به أو يؤمن به ، وما ينبغى أن يفعله ، وما ينبغى أن يكون عليه ، بينما مريض التحليل النفسى المبكر يعانى أكثر من الكبت الذى منعه من أن يكون كما يفكر وكما يعرف .

الشعور بالهوية يبدأ فى المهد عن طريق الاشخاص الآخرين ذات الأهمية فى حياة الطفل ثم الأم ، ولكنها لا تكتمل أو تصل إلى تمام النضج حتى مرحلة المراهقة ، وكل هوية تشمل جوانب تعد ايجابية (متوافقة مع ما يتعلم الفرد ليبدو مرغوب فيه) أو تعد سلبية (أو تماثل ما يعاقب عليه الفرد أو حذر من إتيانه مرة أخرى) . إن النمو الايجابى للهوية يعد اكثر صعوبة لوجود مؤشرات أو علامات معينة تدفع اكثر إلى التمييز، وحتى الهوية السلبية من المحتمل أن تبدو مفضلة لذوى الاضطرابات الداخلية من مشتتى الهوية ، ومثل هؤلاء الاشخاص يفضلون مخالفة الادوار التى وضعتها لهم الغالبية من الناس .

عرف إريكسون (1956) الهوية بأنها المجموع الكلى لخبرات الفرد ، وسلم بأن تركيب الهوية يتضمن مكونين متميزين يرجعهما إلى كل من هوية الأنا Ego-Identity وهوية الذات Self- Identity ، وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام فى بعض النواحي كالعمل والقيم الأيدلوجية المرتبطة بالسياسة والدين وفلسفة الفرد لحياته غيرها ، أما هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصى للأدوار الإجتماعية.

ب - السيادة Mastery

طبقاً لأدلر وفروم استنتج إريكسون أنه توجد لدينا حاجة أساسية للسيطرة وتغيير البيئة ، كما أن لدينا حاجة للهوية ، فالسيادة تمثل وظائف الأنا التى تنشأ السعادة وتتبع عن إشباع اندفاعات الهو واحباطاتها التى تسبب التوتر الشديد ، ويرى إريكسون أن التعليم ليس مجرد شكل من اشكال التسامى بالفضول الجنسى بل أنه يحوى طاقة فى ذاته ، فحب الحياه يمكن أن يفوز فقط خارج نطاق الاحباطات ، ويكون حب الموت إذا اعطى الفرد الفرصة لتقييم هذه الجهود الهامة . (1964)

وكما فى حالة الهوية فإن الأحساس بالسيادة يعتمد على التوقعات والتدعيم من المجتمع ، فالطفل يتحرك ويتقن أفعال مثل المشى ليس فقط ليستمتع بالأحساس بالتفوق الجسمى أو السيادة على جسمه أو ليتناول الأشياء التى سوف تشبع دوافعه اللبيدية ، ولكن أيضاً لأن عملية المشى توافق توقعات الكبار وتسهم فى تحقيق ذات واقعية ومشبعة ، بالإضافة لذلك ينمو اقتناع بأن الأنا يمكن أن تتعامل بفاعلية مع العالم الخارجى مما يساعد على تكوين احساس ايجابى بالهوية .

المجتمع والثقافة :

يقول إريكسون : إن الصعوبات الكبرى فى طريق التحليل النفسى كعلم نفس عام يحتتمل أن تتمثل فى بقاءه على مفهومه الأول من أن البيئة تمثل عدو لنا . إن عالمنا يتضمن الاعراض والدفاعات ، وما لدى التحليل النفسى سوى القليل ليقوله حول الطريقة التى بها ينمو محتوى الأنا أو ما يسبب فشل النمو بعيداً عن المجتمع وأعضائه . ولكن التحليل النفسى اليوم (يقصد علم نفس الأنا) قد حرك مواضع اهتمامه لدراسة جذور الأنا فى التكوين الاجتماعى (1975)

وكما رأينا فإن الأحساس الثابت بالهوية أو السيادة يتطلب المساندة من الأشخاص الآخرين ذات الأهمية والمجتمع أيضاً يساعد على تخفيف صراعات الحياة عن طريق تحديده لقيمة الأدوار ،

فأدوار مثل أمين المكتبة ، والطبيب والمحامي ، والأم والأب ، تؤكد أن الفرد قد وجد قدرته على العمل ويخطط لحياته بفاعلية ، بالإضافة لذلك تأكيد المجتمع على العلاقات الاجتماعية المتبادلة ، فالتبادلية Mutuality هي حاجة إنسانية عظيمة في حياتنا ، تخلق لدينا الأحساس بالوجود والاحساس بأن يقف الشخص وينظر الى الآخرين ، أما تجاهل هذا التأكيد فإنه يوقظ أكثر الاحساسات صعوبة وهي معرفته بطبيعته (1963) .

ونظراً لأن إريكسون يرى أن المجتمع يلعب دوراً بارزاً في تطوير ونمو الأنا ، فهو خصص بعض الوقت لدراسة تأثير الثقافات المختلفة على الشخصية ، وبصورة مبدئية فقد لاحظ اثنين من القبائل في ولاية انديانا الامريكية هما قبيلة السيوكس واليورك . وعلى سبيل المثال فقد لاحظ أن قبيلة السيوكس كانوا يستمرون في ارضاع اطفالهم من الثدي لعدة سنوات ، أما قبيلة اليورك فكانوا يفضلون الفطام المبكر ، السيوكس كانوا يكرهون الادخار ويسعون لمساعدة الآخرين حتى في الاشياء التي لا تستحق المساعدة ولو كانوا لا يملكون إلا القليل ، أما اليورك فكانوا يؤكدون في ثقافتهم على الأمان الاقتصادي ، وهذه الفروق الجوهرية في هوية قبيلتي السيوكس واليورك ترجع مبدئياً إلى تفضيل قيمة اجتماعية تتركز على اكتساب المال لدى اليورك والعكس في السيوكس والتي ترجع بدورها إلى جنة الامتيازات الفعلية غير المحددة المتمثلة في صدر الأم عند اليورك وبقاء الحنين الطفولي إلى الأم من قبل هؤلاء الذين انفصلوا عنها مبكراً وبالقوة ، وهذا ما قد يؤدي إلى مثل هذا التناقض في القبيلتين .

المنظمة والأسلوب :

- حدد اريكسون سبع صور للتعامل مع البيئة هي :
1. إندماجي من النمط الأول : التقبل السلبي والاستسلام .
 2. إندماجي من النمط الثاني : التعارف على الآخرين
 3. الاحتقاظي : الحكم السريع على الآخرين .
 4. المتجاهل : لا يهتم بأحوال الآخرين .
 5. المتطفل : العدوان على البيئة والذكورة المبدئية .
 6. الشامل : الجاذبية والرغبة في الحماية ، الأنوثة المبدئية
 7. التوالدي : ينجب ويتناسل .

وربما تستخدم أساليب مختلفة مقترنة مع بعضها البعض في أكثر من منطقة واحدة فالاحتجاز أو الابعاد (أسلوبين مختلفين) قد يكون للطعام أو البول أو البراز (في مناطق مختلفة) . وبالمثل فإن التثبيت قد يحدث لكل من المناطق والأساليب على حد سواء ، وعلى سبيل المثال : فالطفل قد يستمر في مص حلمة الرضاعة أو يمص ابهامه حتى بعد سن الفطام (الفم هنا هو منطقة التثبيت) أو ربما يتوقع الراشد دائماً الحصول على الاشباعات بدون بذل جهد (التثبيت عند الأسلوب الاندماجي الأول) أو الفهم المعرفي (حب المعرفة) المقترن بالتواصل مع الآخرين (التثبيت عند الأسلوب الاندماجي الثاني) وسعة التذكر لكمية كبيرة من الحقائق والصور (احتفاظي) ، والنسيان السريع للمعلومات بعد سماعها مباشرة (متجاهل) وهكذا . وفي مثل هذه الأمثلة فإن زيادة النمو في أسلوب معين أو منطقة معينة وبالمثل بطء النمو في منطقة أخرى يوضح جانب واحد في عدم نضج الشخصية .

ويرى اريكسون أن الأسلوب المتطفل يوجد أكثر في الأولاد ، أما الأسلوب الشامل فيوجد أكثر لدى البنات من خلال صور الجاذبية مثل تمشيط الشعر ، وسهولة الاستثارة بالخوف ، وسعيهن لجعل أنفسهن أكثر جاذبية ومحبوبين للآخرين . ولقد رأى اريكسون أن لعب الأطفال يميل لظهور الفروق الجنسية فالأولاد يميلون لتركيب الأشياء الطويلة ، أما البنات فيركزون على الأسلوب الشامل ويملن لبناء الأشياء المفتوحة والمغلقة أو المفتوحة فقط وبينون العاباً تركيبية تتضمن الاستمرارية . ويربط اريكسون هذه الفروق في جزء منها بالفروق النفسية في المستقبل بين الجنسين والفروق في الأدوار مثل التناسل ، والحمل ورعاية الأطفال . كما استنتج أن رغبة المرأة في الاصلاح تعد من مظاهر الانوثة لديها . وهو يوافق على أن الرجال يحسدون المرأة (شعورياً ولا شعورياً) على قدرتها على القيام بدور الأم . ويعتقد أيضاً أن النساء يتفوقن على الرجال خاصة في قدرات اللمس ، وتمييز الاصوات ، وتذكر الخبرات الحديثة ، والعواطف ، ويعبر عن أمله في أن النساء الاحرار سوف يساعدون في تغيير عصر الرعب النووي والحروب الذرية باتجاه جديد مليء بالأمن والسلام

تركيب الشخصية :

لولا تأكيد اريكسون على الأنا لتشابه تصور اريكسون عن تركيب الشخصية مع مفهوم فرويد ، فهو يرى أن الشخصية تتكون من :

1. **الهو** : لا شعورية تماماً ولا تستطيع ادراك الصحيح من الخطأ ، وهى المكون الوحيد الذى نولد مزودين به ، وعلى هذا فهى تحوى تاريخنا الذى يخبر البداية لنا والغرائز الفطرية والمروثة .

2. **الأنسا** : تقع الأنسا بين الهو والأنسا الأعلى وهى لا شعورية إلى حد كبير ، كما فى نظرية فرويد ، فهى تحفظ التوازن بين دوافع الهى المحرمة والقيود القاسية التى يفرضها الأنسا الأعلى وذلك باستخدام ميكانزمات الدفاع اللاشعورية كالكبت ورد الفعل العكسى ، والانكار والرفض للواقع ، والاسقاط ، والتوحد والنكوص ، واحلام اليقظة وما إلى ذلك . فغالباً ما يشارك الناس فى اخطاء الآخرين الذين يكرهونهم (اسقاط) ، متجاهلين تماماً الانذارات التى تقدم لهم لتفادى الكوارث وشيكة الوقوع كالحروب النووية والموت الجماعى (انكار الواقع) ، ومحاولة جعل الهوية السلبية تبدو وكأنها فضيلة (رد فعل عكسى) ، وميكانزمات الدفاع ربما تستخدم بطرق متوافقة أو طرق غير متوافقة على حد سواء ، وإن قدرات الأنسا أيضاً تشمل وظائف عقلية بناءة كالهوية والسيادة . كما يقترح إريكسون ثلاث انجازات للأنسا كضرورة لازمة للشخصية السوية والناضجة هى :

أ- التوافق بين التهيج الجنى والاحتياجات الجنسية فوق التناسلية .

ب- التوافق بين الحب والجنس .

ج - التوفيق بين نمط الانتاج الجنى والعمل المنتج .

3. **الأنسا الأعلى** : يشمل الأنسا الأعلى كل المثاليات والقيم الاخلاقية التى يبثها المجتمع فى الفرد ، ويخدم الوظيفة الأساسية لحفظ الهو فى حالة طاهرة ، وعلى أیه حال فمن الممكن أن يصبح الأنسا الأعلى قوة تعسفية تستخدم وسائل بدائية وبربرية ضد الأنسا . وهكذا يستطيع أن يجعل العقاب يبدو وكأنه شىء مناسب للتستر على احساس الكراهية والدوافع الجنسية أو يثير مزيد من الاعتقاد بأن الفرد أقوم اخلاقاً من الآخرين وهو ما يجعله يستدير ضد الآخرين فى صورة من المراقبة الاخلاقية الدائمة والصارمة لهم . وتسهم الأنسا الأعلى فى تدعيم العلاقة بين الراشد والطفل الصغير الذى لا حول له ولا قوة ، ولذلك فإن إريكسون يحذر من التدريب الوالدى الذى يفشل فى أن يعكس المعايير الثقافية والاخلاقية للمجتمع ، لأن ذلك سيعمق الشقاق بين الأنسا الأعلى والأنسا وينتج الصراع النفسى الداخلى .

نمو وتطور الشخصية :

كما فعل فرويد فقد نسب إريكسون أهمية سيكولوجية غير عادية للمدة الطويلة التى نقضيها معتمدين على الآخرين والتى تميز مرحلة الطفولة الإنسانية ، وهو يرى أن اعتمادنا الشامل والمبكر

على الغير (الوالدين بالطبع) سهل تشرب المعايير الوالدية ونمو الأنا الأعلى . ويتفق مع فرويد في أن صراعات مرحلة الطفولة تظهر تأثيرها في الشخصية في مرحلة الرشد . وبعض من هذه الصراعات يرجع للأنشطة الجنسية المكبوتة منذ الطفولة ، ولقد استنتج اريكسون أن عدم التكافؤ بين مرحلتى الرشد والطفولة يجعلنا نقضى فترة طويلة من العمر نعانى من عدم النضج الانفعالى . والصراع مع أهدافنا الكثيرة العقلانية والاخلاقية .

ومع ذلك يرفض اريكسون جهود فرويد فى الاكتفاء بالسنوات الاربع أو الخمس الأولى من العمر كحدود عمرية لنمو الشخصية ، ولذلك فقد أكد على أن نمو الشخصية مستمر خلال دورة الحياة Life Cycle ككل ووضع ذلك فى ثمان مراحل تشتمل على النمو من بداية العمر حتى سن الشيخوخة . وأن الفرد يتنقل من مرحلة إلى المرحلة التى تليها عندما يكون مستعداً لذلك بيولوجياً ونفسياً واجتماعياً واستعداده الشخصى هذا يقابله الاستعداد الاجتماعى .

الانباتاق المتعاقب لمراحل النمو النفس جنسى :

يشبه اريكسون عملية النمو النفسى بعد الولادة بعملية التطور العضوى حيث تتطور اعضاءنا الجسمية وفقاً لسبق تاريخى ، وبالمثل فنحن نرث الاستعداد السيكولوجى لكى نتوافق مع البيئة بنسب محددة . وإن كل المراحل الثمانية موجودة فى شكل أولى منذ الميلاد ولكنها تتبثق من بعضها البعض بشكل متتابع أو متعاقب epigenetic ويصاحب كل مرحلة أزمة أو مشكلة نفسية تحدث بسبب زيادة النضج من ناحية وكنتيجة للمطالب الكبرى للآباء والمجتمع من ناحية أخرى ، ويجب أن تحل هذه الازمة بواسطة الأنا اثناء المرحلة المناسبة لنمو الشخصية لكى تتقدم بنجاح ، لان حل أزمة النمو فى اى مرحلة يساعد فى تثبيت مظاهر النمو التى حدثت فى مرحلة سابقة والتمهيد للمظاهر الجديدة للنمو التى تحدث فى المرحلة اللاحقة . ومن ثم يحدث نمو إيجابى للأنا تجعلها تتصف بالثقة والاستقلالية وغيرها أما الحل المرضى لازمات النمو أو استمرار الصراع يجعل الأنا تكون صفات مختلفة تتسم بعدم الثقة والشك والخجل وغيرها ، ورغم ان الأزمة أو المشكلة مشتركة بين كافة البشر إلا أن تفاصيل وأسلوب التغلب عليها تختلف من ثقافة لأخرى ، وهكذا تتسم كل مرحلة بالدينامية لأن نجاح الفرد فى حل أزمة ما يقوده إلى مزيد من النضج ويؤهله لحل الازمات المستقبلية .

وينبغى ان نلاحظ أن هذه المراحل الثمانية لم توضح طبقاً لجدول زمنى محدد ويشير اريكسون إلى ان لكل طفل جدول زمنى خاص به ، ولذلك فسيكون مضللاً ان نحدد وقتاً معيناً لكل مرحلة ،

والأكثر من ذلك فإن كل مرحلة لا تمر وتترك هكذا ، بل على العكس فإن كل مرحلة تضيف شيء ما لتكوين الشخصية ويعبر عن ذلك اريكسون بقوله " إن أى شيء ينمو طبقاً لخطة أساسية ، ومن خلال هذه الخطة الأساسية تنمو الأجزاء ، ولكل جزء وقته التصاعدي الخاص حتى يكتمل نمو الأجزاء كلها لتكون الشكل الوظيفي .

ويحدد اريكسون ثلاث متغيرات أساسية تؤثر في عملية النمو هي :

- 1- القوانين الداخلية للنمو : ومثلها في ذلك مثل العمليات البيولوجية غير قابلة للإرتداد .
 - 2- التأثير الثقافى : الذى يحدد المعدل المطلوب من النمو وينحاز إلى بعض مظاهر النمو على حساب البعض الآخر .
 - 3- الفروق الفردية في النمو : أى الاستجابة الفطرية التى تميز كل فرد عن غيره ، وأسلوبه المميز فى النمو كاستجابة لمطالب بيئته .
- وتشغل مرحلة الطفولة المراحل الأربعة الأولى ، بينما تشغل المراحل الأخرى بقية عمر الكائن الحى.

مراحل النمو عند إريكسون:

وفيما يلي وصف مختصر لهذه المراحل :

1- مرحلة الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة (المرحلة الفمية الحسية)

المرحلة الأولى تتركز حول منطقة الفم ، والأسلوب المتبع هو عملية الضم أو الدمج ، فالشئ الأول الذى يتعلمه الطفل هو عملية الأخذ ليس فقط عن طريق الفم من خلال التغذية والرضاعة ولكن أيضاً من خلال العينين والحواس الأخرى . ويوافق اريكسون أيضاً على ان الرضاعة تمدنا باللذة الليبيدية من خلال الفم ، وإن عملية التقبل السلبي والاستسلام تتحول بالتدرج لأسلوب أكثر عدوانية هو العض والقسوة عندما تظهر الأسنان ويؤكد اريكسون على الجوانب النفسية الاجتماعية للمرحلة الفمية الحسية خصوصاً الرعاية والاهتمام الأمومى الذى يمثل الأهمية الأولى لتفاعلات الرضيع مع شخص آخر . وحيث أنه حتى أفضل الأباء والامهات لا يسلكون بشكل مثالى فى كل المناسبات فإن كل شخصية تشمل بعض درجات لكل من الثقة وعدم الثقة ، إن ذلك لا يعنى أنه امر ضار بالنسبة للفرد أو يؤدي بالجميع إلى عدم التكيف والاتصاف بالتشاؤم والعناد ، ولكن إذا كان المعدل السيكولوجى بين هذين المتغيرين (الثقة وعدم الثقة) كبير ولصالح الشك فإن هذا معناه أن الأنا اصبح فى خطر ، ومن غير المحتمل أن يستطيع حل مشكلات أو ازيمات المراحل

التالية ، والعكس إذا كانت درجة الثقة أقوى فإن الطفل سيتعلم رؤية العالم بشكل افضل ويحدوه الأمل لتحقيق امنياته . ولاشك ان انبثاق هذه الايجابية وتكيف الأنا يساعد على النمو السوى للشخصية والسير قدماً لحل ازمة هذه المرحلة .

2- الاستقلال الذاتى مقابل الخجل والشك (المرحلة الأستية العضلية)

بمجرد أن يكتسب الطفل الثقة فى اسلوب أمه فى رعايته ، وفى العالم الخارجى ، فإن جهازه العضلى يجعل من الممكن له بعض السيطرة على البيئة ، وخلال هذه المرحلة يسعى الطفل لكسر علاقة الاعتمادية المطلقة على الأم لى يقوم بأسلوب جديد وهو الاندماج مع المجتمع ، والاستقلال الذاتى autonomy القوة المكتسبة فى أى مرحلة نختبر من خلال استغلال الفرص فى المراحل التالية والقابلية لتعديل ما اكتسب فى المرحلة السابقة .

يتعلم الأطفال سريعاً أن النظافة والتدريب على الذهاب للحمام أمر هام ، وهم يستطيعون الاختيار بين الاحتفاظ أو طرد فضلات الجسم ، وهذه الجهود يمكن أن تتم أما بأسلوب معتدل أو بأسلوب عدوانى فاشى أو قد يتم التعامل مع تدريبات الحمام بأساليب متناقضة تنعكس سلبياً على الطفل .

فإذا كانت أساليب المعاملة الوالدية أو الضبط الوالدى خلال هذه المرحلة تخلق فى نفس الطفل إحساس بالأمان ، فإنه سوف ينمو لديه إحساس إيجابى لأظهار الاستقلالية ، وإذا كان الأبوين متساهلين تماماً ومتسيبان أكثر مما ينبغى فإن هذا ربما ينتهى - وليس بالضرورة بمحاولات فاشلة للاستقلال . ولكن الوالدين الذين يفرطان فى حماية الطفل ويشترطون قيوداً عنيفة وطرقاً لا تقبل التغير علتدريب الطفل على الذهاب للحمام ، فإن الطفل سيستجيب بنوع من العجز وعدم القدرة على ضبط ذاته أو الاستبقاء العنيد لفضلات الجسم ، مع قلق صريح وواضح واشمئزاز ، وفى هذه الحالة فإن تعبيرات الطفل لتحقيق الاستقلال ستصبح مشوبة بإحساس واضح من الخجل والشك shame & doubt . فى هذه المرحلة سوف تكون هناك معركة من أجل الاستقلال ، الطفل يشعر أن الثقة الاساسية فى ذاته والعالم الخارجى لن تكون عرضة للخطر نتيجة العنف المفاجىء الذى يتولد عن رغبته فى تحقيق اختياراته .

وكما فى حالة الثقة وعدم الثقة ، فإن الاستقلال الذاتى والخجل والشك مظهران حتميان لكل شخصية ، والنمو الناجح يتحقق من خلال ترجيح كفة الاستقلال واستخدام الاساليب النفسية الاجتماعية التى تدعم حرية الاختيار وضبط النفس من ثم قوة الإرادة . فالإرادة لا يمكن تدريبها ما

لم يكن الامل أكيداً ، ولا يمكن لآى شخص أن يحيا دون أن تبقى الأنا لديها كل من الامل المستمر والإرادة .

3- المبادأة مقابل الشعور بالذنب (المرحلة الجنسية الحركية)

تركز المرحلة الثالثة من مراحل النمو المتعاقبة الضوء على القدرات الحركية كالمشى والجرى، وهو مايزيد احساس الأنا بالسيادة وعمل ما تستطيع ، ويمكن للطفل الآن أن يتعلم تغيير الدافع الجنسى المهدد إلى أهداف مقبولة مثل اللعب. ويشغل تفكيره وتخطيطه ويصبح المحاولة التي يعبر من خلالها من بر الفشل إلى بر النجاح ، لقد اصبح قادراً على ترك الرغبات الاوديبيية والتغلب على الاحباط وتبديله باللعب بأدوات وأدوار الكبار والتحول من عقدة الذنب والموافقة الوالدية إلى انجازات أخرى تسهم فى تحديد شعوره بالمبادأة initiative ، مما ينتج عنه تكيف الأنا واكتساب الصفات الحميدة مثل الشجاعة وتتبع الأهداف القيمة التي يمكن أن تغرس فيه والتخلص من الخوف من العقاب .

ويعيش الطفل فى هذه المرحلة صراعاً بين رغباته الطفولية للاستمتاع باشباعاته الغريزية ، وبين التوجيه الذاتى الاكثر نضجاً الذى يفرض عليه من الأنا الأعلى ، ولكن انبثاق وظهور الإحساس بالهدف أو الغرض يوضح أن روح المبادأة قد تجاوزت الشعور بالذنب وتغلبت عليها وأن أزمة هذه المرحلة قد مرت بنجاح.

4- اكتساب حاسة المثابرة مقابل الأحساس بالنقص (مرحلة الكمون)

المرحلة الرابعة لإريكسون هى فترة تهدأ فيها الرغبات الجنسية وهى تسبق فترة البلوغ مباشرة، وتتميز هذه المرحلة بأنه يمكن وصفها بأنها مرحلة حب الاستطلاع الشامل والرغبة فى التعلم ، ومع تسامى الطفل بميوله الغريزية ، ويبحث عن اكتساب المعرفة عن طريق إنجاز شىء ذات قيمة ، ويبدأ كذلك فى تعلم قيمة العمل ، والتكيف مع القوانين المادية ، والاهتمام بالثقافات الأخرى التي تؤيد هذه الجهود وتزوده بالمعلومات التي يسعى للحصول عليها ، ويتم ذلك بمعاونة المؤسسات التعليمية فى المجتمع . إن هذه المرحلة تمثل تأصيلاً رسمياً لغرائز الفرد ، ولعل هذا يفسر عدم بروز منطقة جسدية غالبية فى هذا الوقت بل تجد الطاقة الغريزية موزعة على الجسد كله وتتحول عن الهدف السبقى إلى الانجاز الذى يتوج مثابرتة فى العمل ، وتصبح المنطقة البقية هى امكاناته العقلية والحركية فيكتسب المهارات والمعلومات .

ويصبح النمو الجسمى فى هذه المرحلة اكثر بطأً ، ويعكس النمو النفسى نمطاً مماثلاً ويعتمد فى لعبه على المظهر الاجتماعى ، وهو ما يضمن بلعبه مواقف من الحياه الاجتماعيه الواقعيه ، وليس الجنس بالضرورة هو مضمون اللعب ، ويميل الجنسين إلى الانفصال فيما يختص بعادات اللعب ، وإن كان فى بعض الاوقات يتطرق كل منهما إلى عالم الآخر ، ويبدأ اللعب يفقد اهميته فى نهاية هذه المرحلة ، ويتخذ عالم الأقران موضعاً ذا اهمية مساوية لموقف الكبار ، إن هؤلاء الأقران لازمون لأجل احترام الذات ، فبينهم يجد الطفل مصدراً آخر لتحقيق الذات خارج نطاق الأسرة (هنرى ماير 1981) . إن نجاح الطفل اثناء هذه المرحلة فى تحقيق مطالبها يسهم بإيجابية فى الاحساس بالمتابرة Industry أما الفشل واليأس فيقلل من القدرة على الاستخدام الأمثل للادوات والامكانيات بطريقة منتجة ، مما يعطيه الإحساس بعدم التوافق والشعور بالنقص Inferiority ، ويتحدد نجاح نمو الشخصية بالمعدل النفسى الاجتماعى لتحقيق المتابرة ، وانعكاس ذلك على احساسها بالكفاءة Competence ، أو امتلاك الحرية والذكاء لانجاز المهام التى لا يمكن ان ينجزها من يشعر بالنقص .

5- أكتساب الإحساس بالهوية مقابل تمييع أو انتشار الدور (مرحلة المراهقة)

مع نمو القدرات والوصول إلى البلوغ تأتى الطفولة إلى نهايتها وتبدأ مرحلة المراهقة التى اعتبرها اريكسون فترة فى غاية الأهمية تمثل مرحلة الانتقال من اعتمادية الطفولة إلى استقلالية الراشدين الكبار . ويجب على المراهق أن يتجاوب مع التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للنضج الجنسى ، ويضع الضوابط المحددة لخطورة الدوافع الجنسية والصراعات الداخلية التى يمكن حلها فقط عن طريق اكتساب المعرفة والتأييد من الآخرين المحيطين به ويصف اريكسون المراهق فى هذه المرحلة بقوله " الشاب يكون فى عنفوان حيويته ، يجب أن يطلق العنان ويتخلص من مرحلة الطفولة ويعتمد على ذاته ويخلق توازناً بين الحاضر والمستقبل ، وأن يعرف متى يترك العنان لعواطفه كى تناسب ، ومتى يتحكم فيها وما الذى يمكنه من ان يحكم الدفاع عن عواطفه المتأججة ومتى يطلق لها حرية التنافس ولذلك يجب على الفرد أن يتحين الفرص فى عمله وفى حبه ويجب أن يقتبس ويتشبه بإناس لهم مغزى فى حياته ، ويقارن بين ما يراه فى نفسه وما يخبره به الآخرون وأن يحكم حكماً سليماً ، وان يكون عن حسن ظن وتوقع الآخرين .

والمشكلة الحرجة في هذه المرحلة هي أزمة الهوية Identity crisis وهي أزمة يمر بها أغلب المراهقين في وقت ما ويعانون فيها من عدم معرفتهم ذاتهم بوضوح ، أو عدم معرفة المراهق لنفسه في الوقت الحاضر أو ماذا سيكون في المستقبل فيشعر بالضياع والتبعية والجهل بما يجب أن يفعله ويؤمن به ، وهي علامة على طريق النمو يمكن أن تؤدي إما إلى الاحساس بالهوية أو إلى مزيد من الانهيار الداخلي وتشتت الدور أو تميح الهوية Identity Confusion إن أزمة الهوية أو تميح الدور كثيراً ما تتميز بعجز عن اختيار عمل أو مهنة أو عن مواصلة التعليم ، ويعانى كثير من المراهقين من صراع العصر ، ويخبرون احساساً عميقاً بالتفاهة وبعدم التنظيم الشخصى وبعدم وجود هدف لحياتهم ، انهم يشعرون بالقصور والغربة واحياناً يبحثون عن هوية سلبية هوية مضادة للهوية التي حدد خطوطها الوالدين أو جماعة الاتراب ، **ويفسر بعض السلوك الجانح بهذه الطريقة .**

ويتوقف نجاح المراهق في حل أزمة الهوية على ما يقوم به من استكشاف للبدائل والخيارات في المجالات الايديولوجية والاجتماعية ، وكذلك على ما يحققه من التزام أو تعهد بالقيم والمعايير السائدة في مجتمعه ، وبناءً على ما يحققه المراهق من نجاح أو فشل في حل أزمة الهوية يتجه إلى أحد قطبي الأزمة ، فإما أن يتجه إلى الجانب الإيجابي منها فتتضح هويته ويعرف نفسه بوضوح ودوره في المجتمع وهو ما يعرف بإنجاز الهوية ، وأما أن يتجه إلى الجانب الإيجابي منها فتتضح هويته ويعرف نفسه بوضوح ودوره في المجتمع وهو ما يعرف بانجاز الهوية ، وأما أن يتجه إلى الجانب السلبي منها ويظل يعاني من عدم وضوح هويته وعدم معرفته لنفسه في الوقت الحاضر عماذا سيكون في المستقبل وهو ما يعرف بتشتت أو تميح الهوية .

ويرى مارشيا Marcia ,J,E 1966 ان المراهقين وهم في سبيلهم لمواجهة أزمة الهوية يستخدمون أربعة طرق يمكن في ضوئها تصنيفهم إلى أربعة رتب بناءً على ما حققوه من نجاح في سبيل ذلك وهم :

- **مشتتى الهوية Identity Deffused** وهم الاشخاص الذين لم يمروا بأزمة ولم يكونوا هوية بعد ولا يدركوا الحاجة لأن يكتشفوا خيارات أو بدائل بين المتناقضات وربما يفشلون في الالتزام بأيدولوجية ثابتة .

- **منغلقى الهوية Identity Foreclosed** وهم كذلك أشخاص لم يمروا بأزمه ولكنهم ثبتوا معتقدات مكتسبه من الآخرين (أخذواها جاهزه آبائهم والمحيطين بهم) ، ولم يختبروا حالة معتقداتهم

وأفكارهم أو مطابقتها بمعتقدات وافكار الآخرين، ويقبلون هذه المعتقدات دون فحص أو تبصر أو انتقاد لها ، وتمائل هذه العملية عملية التوحد فى مرحلة الطفولة المبكرة . ويوصف هذا الشاب بأنه غلق هويته مسبا أو حبس هويته .

- **معلقى الهوية Identity Moratorium** وهو الأشخاص الذين مروا أو يمرون حالياً بأزمة ، ولم يكونوا بعد هوية ، أى انهم خبروا بشكل عام الشعور بهويتهم ، وبوجود أزمة الهوية ، وسعوا نشاط لاكتشافها ، ولكن لم يصلوا بعد الى تعريف ذاتى بمعتقداتهم .

- **منجزى الهوية Identity Achieved**، وهم الأشخاص الذين مروا بأزمه وانتهوا الى تكوين هوية واضحة محددة ، اى انهم خبروا تعليق نفسى اجتماعى وأجروا استكشافات بديله لتحديد شخصيتهم والالتزام بأيدولوجية ثابتة .

6- اكتساب حاسة الألفه مقابل العزلة (مرحلة الرشد المبكر)

تمثل المرحلة السادسة بداية مرحلة الرشد وفيها يبدأ تحمل مسئوليات العمل والزواج ، وخلال هذه الفترة يكون الفرد قد اكتسب الاحساس بالهوية ، هذا الاحساس يجعله يضحى برغباته الضرورية فى سبيل تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين ، حيث يزيده انجازه لهويته قدره على الانصهار مع الآخرين دون الخوف من ان يفقد جانب جوهرى من ذاته ومثل هذه الألفه Intimacy هامة وضرورية لتحقيق الصداقة القوية والزواج الذى له مغزى ويحقق هدفه.

7- اكتساب حاسة الانتاجية مقابل الكساد : (مرحلة الرشد المتأخر)

مرحلة الرشد هى المرحلة المثالية للانتاجية genativity التى تتضمن الانتاج والابتكارية ، وقبل ذلك التناسل وارشاد الأجيال التالية (Erikson , 1968) ، فإذا ما نجح الراشد فى تطوير هوية ايجابية وان يحقق الألفه والحياة السعيدة من خلالها ، فإنه يصل الى مرحلة الانتاجية ، وقد يتحقق ذلك من خلال التفاعل المباشر مع الأطفال أو من خلال ابتكار الاشياء والأدوات التى تدم الاجيال اللاحقة ، والشخص الذى يفشل فى تحقيق الانتاجية يتصف بالكساد والركود Stagnation اذا كان معدل النمو فى صالح الانتاجية وتغلب الراشد على أزمة الكساد والركود اكتسبت الأنا احساساً بالرعاية وهو احساس مفاده بان هناك شخصاً أو شيئاً يستحق الإهتمام . ويجب ان ندرك ان الانتاج لا يعنى مجرد التناسل او يتصف به من ينجبون الأطفال فقط ولكن ينطبق على كل من

يرعى النشئ ويهتم بشئونه ، كما يشير الى الطريقة التي يحددها ويمارسها مع شريك الحياة والمجتمع ككل .

8- تكامل الهوية مقابل اليأس (النضج أو الحكمة) .

القليل فقط هم الذين يستطيعون حل أزمت المراحل السبع السابقة ، وهم فقط الذين يستطيعون تحقيق تكامل الهوية Ego-Integrity والشعور بالايجابية نحو الحياة التي يعيشونها (Erikson .1968) ، وعكس التكامل الذاتى هو اليأس despair او الخوف من ان يتدخل الموت قبل أن يجد الفرد طريقاً منجياً الى حياة لها معنى . فإذا تغلب تكامل الأنا على الشعور بالإحباط يكون الناتج من ذلك هو التوافق السيكولوجى الذى ينتج الأنا المتصفه بالحكمة Wisdom ، أو عدم الارتباط بالحياة فى مواجهة الموت ، وللحكمة تأثيرها على الأجيال التالية أو كما يقول إريكسون " لن يخاف الاطفال الأصحاء من الحياة اذا كان الكبار من حولهم لديهم تكامل ولا يخافون الموت " (1964) .

الطقوس والشعائر الاجتماعية :

اعطى أريكسون بعض الاهتمام للطرق أو الأساليب الاجتماعية المتكورة والتفوق عليها التى تساعد على عملية التكيف الذاتى مع البيئة وهو ما أطلق عليه الطقوس أو الشعائر Ritulization : حيث تساعد هذه الطقوس على تحقيق حاجتنا الفطرية المورثة للإثبات والتأكيد المتبادلين وهو ما يحدث مثلاً عندما يكتسب الطفل الحس المعرفى والتوافق من خلال انماط التفاعل اليومى مع الأم التى تطمعه وتحميه وتمرضه وتغير ملابسه وتدعوه باسمه كما تنمى لديه هذه الطقوس بالإحساس بالانسجام والتعايش مع المعايير الاجتماعية .

** تطبيقات نظرية إريكسون :

1- تفسير الأحلام :

كما فى الجوانب الأخرى لنظرية الأنا التزم إريكسون بنظرية فرويد فى تفسير الأحلام مع ادخال بعض التعديلات عليها ، فهو يوافق على أن الأحلام تقدم معلومات هامة عن محتوى ومضمون اللاشعور، وأن عملية التكتيف تنتج رموز الحلم بأكثر من معنى، وأن كل من عملية التداعى الحر، والتعرف على أحداث اليوم السابق للحلم تعد عوامل مساعدة ومعينة ذات قيمة فى عملية التفسير.

وفى رأى إريكسون تبقى الأنا السوية قوية نسبياً حتى أثناء النوم ، فهي لاتقوم بمجرد حلول وسط والتوصل الى تسوية فيما يتعلق بالدوافع غير المشروعة للهي الغريزيه كما يدعى فرويد ، ولكنها أيضاً تنتج أحلام بالنجاح والإنجاز مما يمكننا من لاستيقاظ ولدينا إحساس بالكفاءة والكمال ، كما رفض إريكسون الجدل الفرويدي القائل بأن كل حلم يشيع تقريباً رغبة جنسية طفولية ، ويرى الأزمات المستمرة التي يمر بها الحالم (مثل التهديدات وشبكة الوقوع للاحساس بالهوية) وتقترح الحلول الممكنة لها . وقد يكون للحلم غرض معين يمكن تفسيره من قبل الحالم أو المحلل النفسى . وهكذا فإن أريكسون يتماثل مع يونج وفروم فى رؤيتهما من أن الأحلام غائبة وتتضمن رموزاً جنسية وغير جنسية علىالسواء ، وهو يرى أن بعض أحلام فرويد اذا ما أعيد تفسيرها بصورة صحيحة وسليمة فإنها سوف تدعم نظرية الانا النفسى اجتماعية بدلاً من نظرية الهى الغريزية الفرويدية .

2- الأمراض النفسية : Psychopathology

على الرغم من إريكسون قد عرف نمو الأنا السوية بتفصيل اكثر من فرويد الا أنه يوافق فرويد بان الفرد حسن التوافق هو ذلك الشخص الذى يمكنه عمل شيئين على أكمل وجه هما : الحب والعمل وهو أيضاً يتفق معه على ان الأمراض النفسية تمثل اختلاف فى الدرجة اكثر من كونها اختلاف فى النوع ، وان الدراسة التحليلية للمرضى و الصراعات النفسية غير العادية لديهم يمكن ان تساعد على فهم المرض النفسى من خلال فهمنا للنواحي الخفية من الوظائف العقلية العادية (كالميكانزمات الدفاعية). حيث يحذر إريكسون من الصراعات التي تحدث لنا لا يمكن ان تفهم كلية من سلوك الافراد المرضى نفسياً .

اسباب المرضى النفسى :

تحدث الأمراض النفسية عندما تتحول الأنا القادرة الى الى انا ضعيفه بواسطة المرض الاجتماعى أو الأمراض الجسمية ، والأكثر اهمية من ذلك هو الفشل فى حل ازمات تعاقب المراحل

عوامل أخرى يحتمل ان تمنع تأثير الحلول الفعالة فى مختلف الازما المتعاقبة للنمو تتضمن الفطام الفجائى او الرضاعة الخالية من الحب . خلل المرحلة الفمية الحسيه . والقسوة الزائدة والتساهل المفروض فى تدريبات استعمال التواليت خلال المرحلة الشرجية ، او عدم سلوك الوالدين بثبات أو يغلب عليهم التناقض والنفاق والاهتمام الزائد بمداعبة الطفل لاعضائه التناسلية أو فتحه الشرج ، وترغيب الطفل فى الاهتمام الزائد بمداعبة الطفل لاعضائه التناسلية أو فتحه الشرج ،

وترغيب الطفل فى سن متقدمة فى دراسة الطبيعه الشريرة لدى البشر أو تحطيم روح الطفل بالسيطرة الشديده والتسليط أو القسوة المفرطة .

3- العلاج الطبيعى :

أ- الاساس النظرى :

حيث أن إريكسون يعتبر فى الاساس كمحلل نفسى ، فإنه عظم أهدافه العلاجية مشابهة لفرويد ، لذلك فإنه المريض يجتهد ليحضر المواد اللاشعورية الى الشعور يحقق استبصار هام فى كل من المستوى العقلى والانفعالى ، ويقوى قدره على العقلانية محاولة فاشلة لتحقيق الاحساس بالهوية يمكن ايضا ان يزول بواسطة مساعدة المريض ليكمل البحث فى سبيل تحقيق الهوية بطرق فعالة .

بالإضافة لذلك يحذر إريكسون من ان العلاج النفسى من خلال التحليل النفسى الكلاسيكى يتضمن اقتراحات غامضة ، يحتوى على عناصر انهيار ، وهو يقارن بين طريقتة الاخرى التى يجلس المريض فيها مع المعالج وجهاً لوجه . فالطريقة الفرويدية غالباً ما تختلف عن المواقف الطبيعية ، كما أن التحليل النفسى يهتم بالمرضى الذين يعدون الى حدما اصحاء بالدرجة الأولى وموهوبين ، كما يستخدم للاشخاص الذين ادى عملهم الى مشاكل مزعجة بالنسبة لهم (Erikson , 1977) .

ب : إجراءات العلاج :

كمثل فرويد ، ينظر إريكسون الى التداعى الحر على أنه افضل طريقة للوصول إلى معنى للمحتوى الهام فى اللاشعور . حيث أن أكثر إجراءاته العلاجية صممت لاختصار او للتقليل من الأخطاء ، والجهد الكبير الذى يوجد فى طريقة فرويد للعلاج على سبيل المثال ، فإنه يأخذ دوراً أكثر ايجابية فيشارك ويراقب ، وكمثل أدلر ويونج يؤكد إريكسون على أهمية المقابلة وجهاً لوجه بين المريض والمعالج . وهو أيضاً يفضل تجنب الاستغراق فى ماضى المريض ، ولايؤيد كذلك عدم كذلك عدم تزويد المريض بالتبريرات التى أدت الى الاضطراب العصابى له ، وكذلك يرفض تحمل مسئولياته عن سلوكهم (Erikson,1964) .

ويرى إريكسون ان اللعب هو الطريق المعبد الى اللاشعور عند الطفل وليست الأحلام .

ويميل الأطفال الى ان يصفوا فى شكل تمثلى مالا يستطيعون وصفه او قوله فى الحقيقة ، ويستطيع الطفل ان يعد ليقدم مسرحية نظمها بمفرده مهما كانت الأنا لديه مشوشة ، وبالنسبة لاداء الدول فيها. ويعد أوضح مقياس طبيعى لدرجة الشفاء أو العلاج الذاتى لمشكلات الطفولة كما وصفها وليم بلاك William Blake ن إن ادوات اللعب toys وطرق تفكير الكبار هى ثمار لكلا الفترتين (Erikson, 1963) .

المقاومة ، والتحول ، والتحول العكسى :

يوافق إريكسون على جود المقاومة اللاشعورية للمعالج مثل السكوت الواضح والتجنب الهام ولكن غير السار ، ولكنه يفسر ذلك بخوف المريض من ان يترتب على ضعف الأنا لديه أن يهمل او يحطم برغبة المحلل القوية . وهو يشارك فرويد الرأى فى أن المقاومة تمثل مصدر مهم للمعلومات . فى حين يركز يونج على أن المستويات الكثيفة (كالتحول العصائى) يمكن أن تثير التكويس الزائد والرغبات الطفولية . ويعتنى إريكسون بضرورة ان يقوم المحلل نفسه بالتحكم فى عملية التحول العكسى كالرغبة فى السيطرة أو حب المريض ويرى ان التحليل الشخصى (التحليل الذاتى من الفرد لنفسه Personal analysis) جزء اساسى للتدريب على طريقة التحليل النفسى العلاجية عند إريكسون بالاضافة لذلك فهو يرى أنه لا يوجد مدخل علاجى 0 سواء لفريد او يونج او إريكسون (يمكن ان يكون مؤثرا أو فعال إذا لم يكن هناك أنسجام فى هوية المعالج (Erikson, 1969) .

4- العمل :

فى تطبيق مع أدلر يرى إريكسون أن عدم قدره على اختيار عمل خلال مرحلة المراهقة من أسباب الاضطرابات النفسية ، كما رأينا ان تحقيق إشباعات الأنا عن طريق اختيار مهنة ربما يمثل احسن طريقة للتخلص من تشتت الهوية ، وابعد من ذلك - ينظر إريكسون الى العمل على أنه من المحتمل ان يكون اكثر المشكلات اهمالاً فى التحليل النفسى فى نظريته وما سيقها وما لديه إلا القليل ليقوله حول محاولات البشر للعمل .

5- دراسة شخصيات تاريخيه :

أولى إريكسون اهتماماً كبيراً بكتابات وحياء العديد من الشخصيات التاريخيه مثل مارتن كنج لوثر Luthor ، وهتلر ، وجوركى Gorky وغاندى ، وجيفرسون ، وحذر من استخدام السير الذاتيه كبديل للتداعى الحر ، وذكر أن الكتابة عن المجال النفسى للشخصيات التاريخيه لا يمكن ان ينجو

من مشكلة التحول والتحول العكسي ، ولقد كان إريكسون يهدف من ذلك اصلاً الى لقاء الضوء على ما بداخل هؤلاء الأشخاص في ضوء تصوراتهم ومفاهيمهم النظرية ، كما استخدم هذا الأسلوب في محادثة له مع قائد جماعة البلاك بانشر أو الفهود السوداء Black Panther والذي يدعى هاوي نيوتن Huey Newton .

نظرية إريكسون في الميزان :الانتقاد وأوجه الخلاف : وجهة لإريكسون بعض الانتقادات أهمها :

1- تأييده لفرويد وخدمة السياسيين : تعكس كتابات إريكسون بعض الاضطراب والتصدع ، فهو من ناحية يقرب ولاء القوى لفرويد ونظريته ويصف نفسه على أنه محلل نفسى ، ثم يعود ويتحفظ على تركي الليبدو عند فرويد . كما حاول تخليد بعض الاحداث المزعومة في حياة فرويد ضمن نظريته مثل طرده من فينا ، وأيده بشده اليول الاتوقراطية الاستبدادية ، كما صبح نظريته بسيرته الذاتية عن الهوية وقد ذهب إريكسون بعيداً عندما ارجع بناءه النظرى عن الهوية الى خبرات حياته السابقة ومكرراً الحديث الغامض والمبهم الذى ذكره فرويد عن هذا المصطلح فى الماضى . رغم ذلك تعد نظرية إريكسون أكثر راديكالية من نظرية الهى الفرويدية . فقد أكد على الأنا الموجبة والعمليات الاجتماعية ويشكل مختلف عن نظرية فرويد المتشائمة واعطى إهتماماً اقل للبيدو متحولاً عن القبول المسب لهذه التركيبات الى الرفض الصريح بسبب طبيعتها التى لايمكن اثباتها بالدليل القاطع . وحاول إريكسون تبسيط فهايمه العميقة عن الهوية مما استغرق منه وقتاً طويلاً كانخلها ضالاً تائهاً ولكنها ساعدته على فهم وكشف غموض ازمة الهوية ، وقد كانت الفجوة بين ايضاحه لنظرية فرويد وتتقحه لتركيباته النظرية توحى بأنه يعطى بعض الانتقادا لنظرية فرويد ، اما عن الانطباع السائد بالمسايرة السياسية فإن ذلك امر قائم ، وربما يرجع ذلك الى انه قد شعر ببع الخوف من حرمانه من عضوية جماعة التحليل النفسى لرفض نظرية الليبدو ، وهو المصير الولم الذى سيلاقيه كل من اعترض على نظرية فرويد . ولكن أيا كان السبب فإن هناك على الأقل بعض التشويش والتناقض فى طبيعة واتجاه مساهماته النظرية .

2- المحافظة الاجتماعية والتفاؤل : على الرغم من أن إريكسون قد انكر وجود اى رغبة فى الدفاع عما فى نظريته من تطابق وانسجا ، فإن البعض نظر الى افكاره على انها تعارض أى تغير اجتماعى يصوره خاصة تأكيده على ان النمو السوى للأنا يحتاج الى التدعيم الثقافى ، وهو ما تم تفسيره على انه تأكيد لدور القواعد والمبادئ الثقافيه فى هذا الاطار ، كما انتقد إريكسون فى تأكيده

على ما يسمى بالقاعدة الذهبية للتبادلية ، والتي نظر اليها على انها تفاعل مبالغ فيه ، فالعديد من المشاكل يصعب حلها بمجرد السماح للاجزاء المتعارضة ن تحقق بعض النفع أو المكاسب .

3- انتقادات أخرى : نفتقر أعمال إريكسون الى أية تحليلات كمية أو إحصائية ، فبعض علماء النفس استفسر عن مدى شمولية أو عمومية الانبثاق المتعاقب لمراحل النمو النفسى جنسى ، حيث وجد البعض تدعيمات قليلة منبسطة من حياتهم الشخصية او من مرضاهم . كما فشل إريكسون من تحديد تلك العوامل التي تسه بمعدلات سيكولوجيه مفضلة أو غير مفضلة فى المراحل الأخير للنمو مثل المثابرة مقابل الشعور بالنقص . وبالنسبة لأولئك الذين ينظرون الى القلق على انه مشكلة سيكولوجية فى رعاية الخطورة ، فقد لاقت معالجته السطحية له بعض النقد اذا قورنت باعمال سوليفان وهورنى . كما ان بعض الانتقادات وجهت له بسبب التقارب الفكرى بينه وبين مفهوم فرويد عن النشاط الجنسى الأنتوى ن ووضح مثال لذلك عندما ارجع خوف المرأة من الهجرة الى عوامل تشريحية بدلاً من ان يرجع ذلك الى فقد الدعم المادى من النساء . واخيراً ونظراً للتأثير الكاسح لنظرية فرويد ن فقد فشل إريكسون فى تقديم معلومات كافية كتلك التي قدمتها من سبقوه مثل أدلر وفروم وسليمان .

اسهامات النظرية:

يعد الإسهام الأساسى فى نظرية إريكسون هو توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسى وذلك من خلال رفضه لوجهة نظر فرويد بأن المجتمع دائماً معاد ومحبط ومن خلال تأكيده على تأثير العوامل والمؤثرات السيكولوجية والفروق الثقافية فى نمو الشخصية ، فلقد ساعد على تحقيق بعض التكامل بين التحليل النفسى وعلم الاجتماعى . كما تعد نظريته السيكولوجية للتاريخ بمثابة محاولة هامة للربط بين الاجتماعى وعلم التحليل النفسى كذلك . كما كان لتأكيده على عمليا الأنا التكيفيه والسوية واثرها فى استبصارنا بأن التحليل النفسى ليس قاصراً على التعامل مع الحالات الاكلينيكية وغير السوية . ولهذه الأسباب فإن بعض التقدمين ينظرون الى سيكولوجية الأنا على انها الاتجاه الجديد الأكثر فعالية الذى يجب الأخذ به فى مجال التحليل النفسى .

بالإضافة لما سبق فقد اصبح مصطلح أزمة الهوية من المفاهيم الشائعة فى حياتنا اليومية كما يعد إريكسون أول محلل نفسى يقوم بعلاج الأطفال سواء كانوا عصابيين أو ذهانيين ، ووضح اساليب قيمة جداً فى عملية العلاج باللعب ، واقتناعاً منه بان الشخصية لا تتكون أو تتبلور كلية خلال السنوات الاربع او الخمس الأولى ، وضع إريكسون راحل النمو والتطوير بشكل اكثر امتداداً ،

واكد على أهمية مرحلة المراهقة بما يوزاى تاكيد فرويد على مرحلة الطفولة. ولقد قبل العديد من علماء النفس المعاصرين أهمية اكتساب الطفل للثقة الاساسية والأمل فى مرحلة الطفولة .

مقارنة بين نظرية أيريك اريكسون ونظرية الفريد أدلر

وجه المقارنة	إيريك اريكسون	الفريد أدلر
1- اسم النظرية	نظريته فى علم نفس الأنا	نظريته فى علم النفس الفردى
2- تركيب الشخصية	حدد الشخصية فى ثلاثة مكونات هى الهى - الأئل - الأنا الأعلى	يرى أن الشخصية وحدة واحدة لا تتجزأ
3- اللاشعور	يؤكد على اللاشعور ويتفق مع فرويد فى ذلك	يؤكد على العقل الشعورى الواعى
4- نمو الشخصية	نمو الشخصية يستمر مدى الحياة من الميلاد إلى الشيخوخة	الشخصية تتكون خلال السنوات الخمس الأولى من الحياة والأهداف الرئيسية تتشكل فى هذه الفترة وقد تنحرف مسارها خلال الرشد فقط وبصعوبة بالغة - ولا يستطيع احد أن يفهم نمو أى فرد دون أن يفهم مرحلة طفولته التى مر بها .
5- اللبيدو	يتفق مع فرويد إلى حد ما فى التأكيد على اللبيدو ويهتم اكثر بالأنا والقوى الإجتماعية	يناقض فرويد فى أن سلوك الإنسان تحركه غرائز فطرية ويفترض أن سلوك الإنسان تحكمه الحوافز الاجتماعية
6- العوامل المؤثرة فى نمو الشخصية	1. القوانين الداخلية للنمو 2. التأثير الثقافى . 3. الفروق الفردية فى النمو	1. التدليل 2. الاهمال 3. عوامل والدية 4. النقص العضوى 5. الترتيب الميلادى
7- المجتمع	يلعب المجتمع دوراً هاماً فى تطوير ونمو الأنا ويساعد على تخفيف	الإنسان يصبح اجتماعياً لمجرد تعرضه للعمليات الاجتماعية بل

أن الاهتمام الاجتماعي فطري فيه وإن كانت الانماط النوعية للعلاقات بالآخرين والنظم الاجتماعية التي تظهر وتتكون تحدد طبيعة المجتمع الذي يولد فيه الشخص	صراعات الحياة عن طريق تحديده لقيمة الأدوار كما يلعب المجتمع دوراً بارزاً في التأجيل أو التعجيل بتحقيق الهوية	
الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات ماضيه وليست خبرات الطفولة المبكرة	مرحلة الطفولة هي التي تبنى الثقة في الطفل عن طريق الأم وهي التي تحدد شخصيته	8- خبرات الطفولة وتأثيرها على الشخصية
يتفق مع اريكسون في الحاجة إلى السيطرة	استنتج أنه توجد لدينا حاجة أساسية للسيطرة وتغير البيئة	9- السيطرة
فكرته عن الذات الخلاقة وتمثل الذات نظاماً شخصياً وذاتياً للغاية	الوظيفة البنائية للأنا السوية هو احتفاظها بالشعور بالهوية	10- الذات الخلاقة
عكس علم النفس التحليلي والتحليل النفسي فإن علم النفس الفردي نظر إلى فكرة وراثية المكونات الشخصية كشئ خرافي والإنسان حر إلى حد ما في تحديد شخصيته المستقلة	نمط التنشئة الاجتماعية الذي يتبعه الوالدين واحداً من أهم المؤثرات الأولية والذي من خلاله يؤثر الوالدين في نمو الهوية لأطفالهم	11- التنشئة الاجتماعية
متفائل بخصوص الوجود الإنساني	أكثر تفاؤلاً لأن القوى الأعظم تخص الأنا العاقلة والمتكيفة	12- وجهة النظر حول الطبيعة الإنسانية
الاحلام تعبير آخر عن أسلوب الشخص في الحياة ولا توجد حاجة إلى مفاتيح لفهم اللاشعور فالمعلومات التي تحصل عليها من الاحلام يمكن إرجاعها في مصادرها الأساسية إلى الذكريات	الاحلام تقدم معلومات هامة عن محتوى ومضمون اللاشعور وعملية التكيف تنتج رموز الحلم بأكثر من معنى	13- الاحلام

الأولى وسمات الشخص والحركات الطبيعية والخيالات .		
يهدف العلاج إلى توحيد أسلوب الحياة مع الاهتمام الإجتماعى	المريض يجتهد ليحضر المواد اللاشعورية إلى الشعور ويحقق استبصار هام فى كل من المستوى العقلى والانفعالى	14- العلاج النفسى
- من أوائل علماء النفس الذين أكدوا على المحددات الاجتماعية فى الشخصية - الوحيد الذى خصص جزء من نظريته للجريمة وأسبابها والتربية وإرشاد الطفل	توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسى - أكد على على تأثير العوامل والمؤثرات السيكولوجية والفروق الثقافية فى نمو الشخصية - اصبح مصطلح الهوية من المفاهيم الشائعة فى حياتنا اليومية	15- اسهامات النظرية

ثانياً: نظرية كارين هورني (سنة 1952)

تعد كارين هورني من الفرويديين الجدد والتي تنتمي إلى مدرسة التحليل النفسي ومن منظري الشخصية الذين تأثروا كثيراً بفرويد غير أنها خالفته في بعض أفكاره الرئيسية ولاسيما تحليله للإناث وتأكيده على الغرائز الجنسية فقد استوحيت من عملها كمعالجة نفسية إن العوامل البيئية والاجتماعية هي أكثر المؤثرات في تشكيل الشخصية وأن الأكثر حيوية من بين هذه العوامل هي العلاقات الإنسانية التي يعيشها الفرد في طفولته وخاصة إذا شعر أن حاجته إلى استمرار الأمن والحماية من والديه غير مضمونة تماماً، مما يسرب إلى نفسه الشعور بالقلق الذي تراه هورني أهم من الدافع الجنسي في تقرير السلوك (الوقفي، 1998: 584).

وقد اتفقت هورني مع فرويد من حيث المبدأ، عن الأهمية الأساسية للسنوات الأولى للطفولة في قولبت شخصية الكبير، ومع ذلك فقد اختلفا على تفاصيل كيفية تكون الشخصية. حيث اعتقدت هورني أن القوى الاجتماعية في الطفولة ليست القوى البيولوجية، التي تؤثر في نمو الشخصية، فليس هناك مراحل عالمية للنمو ولا صراعات طفولية لا يمكن تجنبها فالعلاقات الاجتماعية بين الطفل ووالديه هي بالأحرى العامل الأساس (شلتز، 1983: 96). وقد أكدت هورني على خبرات الطفولة الأولى واعتقدت أن حاجة الأمان وحاجة الرضا أكثر أهمية من الجنس. (Karen, 2002: 1)

وتحتل حاجة الأمان في نظرية هورني أهمية أكبر بكثير مما تمثله حاجة الرضى، فحاجة الرضى حاجة أبسط تمثل بعض حاجاتنا النفسية فالإنسان يحتاج إلى كمية معينة من الماء والطعام والنشاط الجنسي والنوم وما إلى ذلك بحيث لا يستطيع الرضيع والكبير الاستغناء عنها لفترة طويلة بدون الحد الأدنى من الإشباع لأغلب هذه المتطلبات لكنها ليست أساسية في تكوين الشخصية وأن العامل الحاسم في الشخصية هو حاجة السلامة وعنت بهذا التعبير الأمان والتحرر من الخوف سواء استشعر الرضيع ذلك أم لم يستشعر وأن ذلك سيحدد في أي مدى في المستقبل تنمو شخصيته نمواً سوياً (شلتز، 1983: 96).

وترى هورني أن الطفل بحاجة إلى بيئة صحيحة تشبع حاجاته للرضا والأمان وتمكنه من تحقيق إمكاناته الشخصية وتتمثل هذه البيئة بعلاقة الطفل بوالديه (صالح، 1988: 71). وإن أمان الطفل يعتمد على المعاملة التي يتلقاها من والديه وأن الوالدين يستطيعان أن يضعفان أو

يمنعان الأمان كلياً بأن يظهرها نقصاً في الحنان والحب للطفل، وأنهم يستطيعان تقويض الأمان بطرق مختلفة وبذلك يغرسون الكراهية في الطفل ويشمل بعض سلوك الوالدين (تفضيل الأخ، والعقوبة غير المنصفة، والسلوك الشاذ، الحنث بالوعد، الاستهزاء، التحقير، عزل الطفل عن الآخرين... إلخ)، والطفل يعرف حب الوالدين له إذا كان أصيل أو غير أصيل ولا يمكن خداعه بالتظاهر الكاذب والحب الزائف، ولأسباب عديدة تشمل الشعور بالضعف، الخوف من الوالدين، الحاجة للإفصاح عن الحب.

وترى هورني أن هناك ثلاثة عوامل هي (العجز-الخوف-الحب) تجعل الطفل يكبت عداءه من أجل أن يتجنب تدمير علاقته مع والديه، فالطفل إما أن يحتاجهم أو أن يخافهم أو أن يخسر ما يقدمانه له من الحب. وان هذا الامتعاض المكبوت يظهر نفسه في الحالة التي أطلقت عليها هورني اسم **القلق الأساسي** (Basic Anxiety) وأن القلق الأساسي هو المفهوم الرئيسي في نظرية هورني وتعتقد بأن **القلق الأساسي** ناجم عن الشعور بالعجز تجاه دنيا مشحونة بالعداء وشعور بفقدان الضمان مما يولد أنواع العصاب (الدباغ، 1983: 30).

وتعتبر أن خبرات الطفولة العنيفة الشديدة شرط لازم وضروري لتكون العصاب وان هذه الخبرات تشكل تربة خصبة لنمو مختلف أنواع العصاب (زهرا، 1978: 331).

وترجع القلق الأساسي إلى ثلاثة عوامل:

- 1- الشعور بالعجز.
- 2- الشعور بالعدوان.
- 3- الشعور بالعزلة.

وهذه العوامل تنشأ عن الأسباب الآتية:

- 1- انعدام الدفء العاطفي في الأسرة وشعور الطفل بأنه منبوذ ومحروم من حبها وعطفها وحنانها وأنه مخلوق ضعيف ويعيش في وسط عالم عدائي.
 - 2- تلقي الطفل أنواع المعاملة الأسرية السيئة كالسيطرة المباشرة وغير المباشرة وعدم المساواة بين الأبناء وعدم الإيفاء بالوعد وعدم احترام مشاعر الطفل.
 - 3- احتواء البيئة التي يعيش فيها الطفل على تعقيدات وتناقضات تتمثل بالحرمان والإحباط بحيث يشعر الطفل بأنه يعيش في عالم متناقض مملوء بالفشل (الهيبي، 1975: 38).
- وبصفة عامة، فإن كل ما يؤدي إلى اضطراب شعور الطفل بالأمن في علاقته بوالديه يؤدي إلى

القلق الأساسي، والطفل القلق الذي ينعلم لديه شعور الأمن ينمي مختلف الأساليب ليواجه ما يشعر به من عزلة وقلة حيلة فقد يصبح عدوانياً أو سافر الخضوع أو يكون لنفسه صورة مثالية غير واقعية ليعوض ما يشعر به من نقص وقصور وقد تصبح أحد هذه الأساليب على قدر من الثبات في الشخصية وبعبارة أخرى قد يتخذ أسلوب محدد منها صفة الدافع أو الحاجة المميزة لديناميات الشخصية (هول، 1971: 179).

وقد حددت هورني عشر استراتيجيات لخفض القلق لأقصى درجة أطلقت عليها الحاجات العصابية وهي:

- 1- الحاجة العصابية للتعاطف والقبول: كالشخص الذي يحيا لكي يكون محبوب، محل إعجاب الآخرين.
- 2- الحاجة العصابية إلى القرين الذي يثري حياته: مثل هذا الشخص يحتاج إلى التعاطف مع شخص ما يحميه من الأخطار ويشبع رغباته وحاجاته.
- 3- الحاجة العصابية لأن يعيش الفرد داخل نطاق محدد: مثل هذا الفرد يكون محافظ جداً، يتجنب الهزيمة أو الفشل من خلال محاولته تحقيق القليل جداً.
- 4- الحاجة العصابية للقوة: مثل هذا الشخص يحترم القوة ويحتقر الضعف.
- 5- الحاجة العصابية لاستغلال الآخرين: مثل هذا الشخص يفرغه استغلال الآخرين له، ولكن لا يضايقه إلى أدنى حد حتى مجرد التفكير أن يستغل هو الآخرين.
- 6- الحاجة العصابية للتقدير الاجتماعي: يحيا هذا الفرد لكي يكون محل تقدير كأن يظهر اسمه في الصحف. وأن أعلى هدف له اكتساب مكانة مرموقة.
- 7- الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصي: يحيا هذا الفرد حياته لكي يمدح ويثنى عليه. ويتمنى أن يراه الآخرون في صورته المثالية التي يعتقدونها عن نفسه.
- 8- الحاجة العصابية للطموح والإنجاز الشخصي: مثل هذا الشخص لديه رغبة جامحة لأن يكون مشهور وغني، ومهم بصرف النظر عن النتائج.
- 9- الحاجة العصابية إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي: مثل هذا الفرد يبذل جهداً كبيراً ليتفادى تحمل تبعات أي فرد آخر، لا يريد الارتباط بأي شيء أو أي شخص ويتجنب التبعية مهما حدث.
- 10- الحاجة العصابية للكمال وتجنب الإهانة: مثل هذا الفرد يحاول تحقيق الكمال بسبب حساسيته الشديدة للنقد (عبدالرحمن، 1998: 202-203)

واعتقدت “هورني” بأن تلك الحاجات حلول غير عقلانية لمشاكل الشخص ونبهت بأن هذه الحاجات هي موجودة عند كل شخص فلا واحدة من هذه الحاجات شاذة أو عصابية في ظهورها العابر في الحياة اليومية وإن ما يجعلها عصابية هو المواصلة القسرية الشديدة لإشباعها كالطريقة الوحيدة لحل القلق الأساسي في هذه الحالة إشباعها لن يساعد الفرد على تحقيق الطمأنينة لكنه يستفيد فقط في مساعدته للهروب من ألم القلق ويبحث الفرد للتركيز على حاجة واحدة فقط ويبحث بشكل قسري على إشباعها في أي موقف وفي كل المواقف (شلتز، 1983: 102).

إلا أن هورني لم تكن راضية عن وصفها لهذه الحاجات لأنها كانت قد عرضتها بشكل منفصل ولهذا عمدت لاحقاً إلى أن تنظر إلى بعض هذه الحاجات العشر على أنه من الممكن وضعها في مجموعات لتمثل اتجاه الشخص نحو نفسه ونحو الآخرين وفلسفته في الحياة واستنتجت أن الشخص يمتلك ثلاث بدائل أو أساليب في طبيعة علاقته مع الآخرين هي: **التحرك نحو الآخرين، التحرك ضد الآخرين، الابتعاد عن الآخرين** (صالح، 1988: 51). وقد أسمت هورني هذه الأساليب الثلاثة في اتجاه التحرك بالنزعات العصابية Neurotic Trends (شلتز، 1983: 102) وترى “هورني” أن **التعارض والتضارب** بين هذه النزعات الثلاث هو الصراع الذي يشكل جوهر الذهان وأن الناس العصائبيين والأسوياء يعانون من نفس أنواع الصراع القائم بين هذه النزعات الثلاث (صالح، 1988: 52).

غير أن الشخص السوي يمكنه أن تتكامل عنده الاتجاهات الثلاثة معاً ويستطيع أن يكون مرناً بحيث يستطيع أن يستخدم مرة هذا الاتجاه ويلجأ مرة أخرى إلى الاتجاه الآخر في ظروف أخرى وكما يقتضي الحال وهو إذ يفعل ذلك يحل صراعاته بشكل كافي (عباس، 1996: 116). في حين أن الفرد العصابي يكون متصلباً يواجه جميع المواقف بأسلوب واحد ولهذا يكون الصراع لديه في أشد حالاته (صالح، 1988: 52). وغالباً ما يواصل الشخص العصابي بحثه عن الأمان مستعملاً أكثر من وسيلة من هذه الوسائل في محاولته لضبط القلق الأساسي الذي قد يكون أساساً لصراعات أعمق (شلتز، 1983: 101).

وتلعب تلك الصراعات دوراً لا حد له في مرض العصاب مما كان يفترض على وجه العموم وعلى كل حال فالعثور على الصراعات ليس بالأمر اليسير جزئياً لأنها غير واعية أساساً لدرجة أكثر من ذلك لأن الشخص العصابي يقوم بجهد عظيم في سبيل إنكار وجودها (هورني، 1988: 26). وترى هورني أن هناك ثلاث نزعات عصابية وهي:

1- نزعة التحرك ضد الناس:

تعبّر هذه النزعة عن الميل نحو العدائية لدى الشخص العصابي والذي تسيطر عليه النزعات العدوانية، بحيث يعتبر كل شخص عدواني، ويرفض الاعتراف بأن الناس ليس كذلك، وتمثل الحياة لديه نضالاً من قبل الجميع ضد الجميع، وحاجته للحنو، والاستحسان وضعت لخدمة أغراضه العدوانية وحاجته القسرية تنبثق من القلق الأساسي لديه، وعنصر الخوف لديه لا يعترف به أو يكشف عنه أبداً، وإن حاجاته الأساسية تتبع من شعوره بأن العالم يمثل حلبة نزال ويكون البقاء فيها للأصلح ويسعى لمصلحته الذاتية، ولديه حاجة للسيطرة على الآخرين بوسائل متعددة فقد يستخدم القوة للإيقاع بالناس، أو عبر طريق الذكاء ويعتقد بأنه يستطيع النجاح في كل شيء عبر الاستنتاج المنطقي أو بعد النظر، لذا فهو بحاجة أن يحقق النجاح والنفوذ والتميز بأي صورة وهو بحاجة إلى استغلال الآخرين واستخدامهم لمنفعته والتغلب على نكائهم، ولديه استعداد لاثهام الآخرين ولا يكون لديه شعوراً بالذنب، وأن الشخص الآخر هو المخطئ وأنه على حق، والاعتراف بالخطأ يعتبر ضعفاً بالنسبة له، ويرفض العطف والجودة، وأن الشهرة تبدو له حلاً لصراعاته، وأن إحساسه بالشفقة أو الالتزام أو المطاوعة يعتبر تضارباً مع بنية الحياة التي شيدها. واستجابة هذه الميول المتضاربة بصراعه الأساس وأن كفته للميول الأكثر رقة ستعزز الميول العدوانية جاعلاً إياها أشد قسراً (هورني، 1988: 49-52).

2- نزعة التحرك بعيداً عن الآخرين:

تعبّر هذه النزعة عن حاجة العزلة لدى الشخص العصابي ومن خصائصه شعوره بالاغتراب عن الناس، وبالعزلة عن الذات وفقدان الحس بالنسبة للخبرة العاطفية، والريبة في ماهية المرء أي فيما يحبه ويكرهه ويغشاه وما يمتعض منه ومن يأمن إليه، ولديه حاجة باطنية لإقامة حاجز عاطفي بينه وبين الآخرين، وعدم الارتباط بالآخرين بأي طريقة سواء بالحب أو الشجار أو التعاون أو التنافس وتبرز سمة القسرية للحاجة في رد فعلهم الذي يتميز بالقلق حينما يتطفل العالم عليهم، لذا فهم يبتعدون عن التجمعات العامة والمناسبات الاجتماعية والبروز والنجاح ويرغبون بالاختلاء بأنفسهم باعتبارها حاجة ملحة لديهم، ولديهم حاجة الاستقلال التام بالذات من خلال الاكتفاء الذاتي والاختلاء بالنفس، كما انهم يبتعدون عن الالتزام بالمواعيد ومراعاة التقاليد التي تكون بغیضة لديهم وكما أنهم يميلون لقمع الأحاسيس إضافة إلى إنكار وجودها (هورني، 1988: 53-59).

3- نزعة التحرك نحو الناس:

تعبّر هذه النزعة عن النمط المطاوع والحاجة للحنو والاستحسان، والحاجة إلى الرفيق والصديق أو الزوج لتحقيق آمال الحياة، ميالاً لتجاوز تقدير تجانسه والمصالح المشتركة مع الآخرين بغض النظر عن الفوارق بينه وبينهم بسبب حاجاته القسرية، فهو بحاجة أن يود ولأن ينتمي وأن يعشق وأن يشعر بأنه مقبول، مستحسن، محتفى به وأنه سيحتاج إليه، وأنه سيكون موضع عناية الآخرين، لذا فهو يبحث عن الحنو والاستحسان مخفياً حاجته الشديدة للشعور بالأمن وأن الحاجة لإشباع هذا الحافز تكون قاهرة إلى درجة كبيرة وكل شيء يفعله يوجه لتحقيق ذلك، وأثناء هذه العملية يطور الشخص العصابي ميزات ومواقف معينة تجسد شخصيته يمكن أن توصف من قبل التودد بأنه مرهف الحس بالنسبة لحاجات الآخرين وحاجة شخص آخر وإلى العطف والمعونة والفوز بحسن ظن الآخرين إلى حد فقدان مشاعره الخاصة، مراعيًا لحقوق الآخرين وإلى جانب هذه الخواص تتداخل معها مجموعة أخرى تهدف إلى تجنب النظرات الغاضبة والمنافسات والخصومات، يضع نفسه في مرتبة أدنى تاركاً أضواء الشهرة للآخرين ميالاً للتهدئة والاسترخاء، لا يحمل أي ضغينة، يتحمل اللوم تلقائياً، يميل إلى محاسبة نفسه وإدانة نفسه، والسلوك العدواني محرماً، وأن حاجته أوقفت كلياً للآخرين، وأنه عاجز وضعيف ويعترف به للآخرين، فالجميع أكثر جاذبية والمع ذكاء وأفضل تعليماً وأكثر استحقاقاً منه، فاقد الشعور بالثقة بنفسه، وهناك صفة تميزه هو الاعتماد الشامل على الآخرين وتتمثل هذه في ميله اللاواعي نحو تقويم نفسه من خلال ما يضمنه الآخرون فيعلو ويهبط اعتباراً لذاته تبعاً لاستحسانهم أو لأستهجانهم ولحنوهم أو لأنتقائه. ويعتبر أي رفض أو انتقاد أو هجر يمثل خطراً مرعباً ويبدل أقصى جهده لاستعادة احترام الشخص الذي هدده بهذا الشكل، وأن هذا هو الشيء الوحيد الذي يفعله على أساس افتراضاته الباطنية (هورني، 1988: 36-45).

ثالثاً: هاري ستاك سوليفان

نظرية العلاقات الشخصية المتبادلة

أميركي، ونظريته الشهيرة في العلاقات المتبادلة في العلاج النفسي The Interpersonal theory of Psychiatry التي يقول فيها بأن الشخصية هي عبارة عن سلوك الشخص في علاقاته مع غيره، ولا وجود للشخصية إلا في هذا الإطار، وعند دراسة الشخصية يجب التوجه إلى المواقف الشخصية المتبادلة وليس الشخص نفسه، وتنظيم الشخصية قوامه الوقائع المتبادلة بين الأشخاص وليس الوقائع الشخصية الداخلية، مع العلم ليس من الضرورة أن تكون العلاقات المتبادلة بين أشخاص حقيقيين إذ يمكن أن يكونوا خياليين أو متوهمين كما في الأحلام أو القصص والروايات والأساطير.

العمليات الفكرية الأساسية من إدراك وتفكير وتذكر وتخيل وغيرها ما هي إلا صدى للعلاقات الشخصية المتبادلة، وترتبط بأشخاص وليست بعيدة عن تأثيرهم، ويعتقد أننا ندرك ونفكر ونتذكر ونتخيل... الخ، نتيجة التفاعل المتبادل. ويميز العلاقات المتبادلة بتوجهاتها التي يعتاد عليها المرء، فهي عدوانية نحو شخص أو مجموعة، وشهوانية عند آخر،.. وكلما كانت علاقات الفرد مختلفة كلما كثرة آلية توجهاتها، ويمكن أن تكون آليتها في المشاعر أو الأحاسيس أو الاتجاهات أو الأفعال، وتخدم معظم الآليات إشباع الحاجات الأساسية وإشباعها يخدم خفض التوتر الذي يهدر أمن الشخص واستقراره.

أما نظام الذات عنده هو بديل نظام الأنا عند فرويد، ونظام الذات يمكن أن يتضخم ويميل إلى الانعزال عن بقية الشخصية، ويطلق على الصورة الحاصلة للشخص عن شخصيته أو ذاته أو عن ذوات الآخرين اسم التشخيص Personification وتتكون التشخيصات نتيجة للعلاقات المتبادلة، ويضيف أن الخبرة المعرفية تحصل نتيجة تراكم ثلاث مراحل هي مرحلة الخبرة الخام ومرحلة الخبرات شبه المترابطة والمرحلة الأخيرة وتعكس التفكير التركيبي وهو التفكير المنطقي والذي يعكس الخبرة الواقعية.

وأبرز ما يميزه ويجعله بعيداً عن فرويد هو تأكيده على الطابع الاجتماعي النفسي لنمو الشخصية. ويذهب في وجهة نظره إلى القول بتغير محتوى العلاقات الشخصية المتبادلة مع تغير

مراحل نمو الشخصية، فتمتاز عنده مرحلة الطفولة المبكرة بأن منطقة التفاعل الرئيسة فيها هي المنطقة الفموية بسبب الرابط بين الرضيع وأمه، وفي هذه المرحلة ينتقل الطفل من مرحلة الخبرات الخام إلى مرحلة الخبرات شبه المترابطة، ومن ثم يبدأ عند الطفل تنظيم بناء الذات والانتقال من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مرحلة الطفولة ولا يتم ذلك إلا بتعلم اللغة وتنظيم الخبرات بصورة تركيبية، ويعتبر الطفولة ممتدة من بداية النطق والكلام إلى ظهور الحاجة للأقران.

وتتميز مرحلة الصبا عنده والتي تستغرق التعليم الابتدائي بأنها الفترة التي يصبح فيها الطفل اجتماعياً، وفترة ما قبل المراهقة تتميز عنده بحاجة الطفل إلى رفيق من نفس الجنس إضافة إلى شخص كبير يعتمد عليه، وتمتد المراهقة إلى أن يجد المراهق لنفسه نظاماً ثابتاً من الأداءات التي يصرف فيه نشاطه الجنسي، وتمتد المراهقة المتأخرة بدءاً من تكوين هذا النظام إلى أن يستطيع المراهق أن يجد لنفسه بناءً من العلاقات الشخصية المتبادلة الناضجة. وترتبط نظريته في العلاقات الشخصية المتبادلة بنظريته في العلاج النفسي لدرجة وكأنه يجعل منهما نظرية واحدة، ويُسمى المعالج بطريقته الملاحظ المشارك Participant Observer لأنه لا يكتفي بالملاحظة، ولا يهتم برصدها بقدر ما يشارك في المقابلة بدور حيوي فعال.

المبادي الأساسية لنظرية العلاقات الشخصية المتبادلة أن الرؤيا الجديدة للإنسان في التحليل النفسي عند سوليفان تأخذ بعين الاعتبار عمليات اتصال الشخصية والروابط والعلاقات الشخصية المتبادلة مؤكده أهميه العوامل والعلاقات الاجتماعية ولكنه لم ينكر أهميه العوامل البيولوجية الوراثية والفسولوجية والتي تساهم في تكوين الشخصية وتزودها ببناء تنظيمي لأداء قدرات معينه يؤكد سوليفان ان الشخصية لا يمكن النظر إليها بمعزل عن العلاقات الشخصية في الموقف ويرى ان الاتجاه العام لسلوك الشخصية ونشاطها يتحدد بالديناميكية النفسية الخاصة بكل فرد تبعاً للموقف الاجتماعي القائم ولهذا يعتقد سوليفان ان كل سلوك إنساني في الموقف يسعي نحو تحقيق إشباع حاجاته الأولية من جهة والى تحقيق حاجاته الي الأمن والطمأنينة من جهة أخرى فالبيئة الاجتماعية التي يمارس فيها الإنسان نشاطه لتحقيق إشباع حاجاته البيولوجية والثقافية تساعده علي تكوين شخصيته ونموها وتدعم عناصرها .

نظام التوتر والقلق: يرى سوليفان ان التوتر يقوم بدور بارز في تكوين الشخصية والناس دائماً يكافحون لخفض التوتر والقلق الناشيء عن مصدرين أساسيين هما الحاجات البيولوجية وعدم

الأمن الاجتماعي، لذلك يصبح الحصول علي الرضاء والأمان هدفا لكل أنواع السلوك وعدم إزاله التوتر يؤدي الي القلق وأشار الي أهميه القلق في نظريته ويعتقد سوليفان بان الجزء الأكبر من شخصيه الفرد يتكون وينمو من خلال للتعامل مع القلق او التغلب عليه، او لحماية نفسه من القلق حيث ان القلق يتسبب بظهور الذات.

العلاقات الاجتماعية المبكرة : اعتقد سوليفان أن الشخصية يمكن ان تتغير بشكل كبير في السنوات اللاحقة من العمر وأكد سوليفان علي أهميه التواصل بين الأفراد كعامل فعال ومهم جدا في التفاعل واعتقد بان التواصل والاتصال لهم أهميه أيضا في المقابلة الشخصية العلاجية فالمخاطبة والحديث مهم جدا بين الناس وبين الفرد وذاته والأهميه الخاصة للحديث تظهر في كونه وسيله اتمام العلاج النفسي الذي يعتمد علي الكلام والتحدث. ان تركيز العلاج النفسي من وجهه نظر سوليفان ينصب علي الصعوبات في التفاعل الشخصي المتبادل والاتصال بين الفرد والآخرين.

الانتباه: لقد وضع سوليفان لهذا العامل حوافز عديدة وهو احدي القلائل من اللذين أعطي الانتباه أهميه و أولوية في مفاهيمه حول السلوك.

مفهوم الشخصية: وصف سوليفان الشخصية بأنها النمط الثابت نسبيا للمواقف المتكررة للعلاقات بين الأفراد التي تميز حياة الإنسان ويركز سوليفان في هذا المجال على العوامل الثقافية والاجتماعية التي وتؤثر في تكوين الشخصية ويعتقد أن شخصية الفرد لا يمكن دراستها بمعزل عن الآخرين لأنها لا يمكن أن توجد بشكل منعزل أي منفصل ومستقل عن الشخصيات الأخرى. ويعتقد سوليفان بأن طبيعة الشخصية تحددها التوترات التي تنشأ من كل من المصادر الفسيولوجية والمصادر النفسية الاجتماعية وان الهدف للسلوك هو تقليل او خفض هذه التوترات وبصوره اخص إن مصدري التوتر هما الحاجات الفسيولوجية "الطعام -الماء الراحة الهواء الجنس عدم الأمن الاجتماعي وأسبابه حضاريه . ثقافيه والهدف الواضح لهذا هو تحقيق الأمان ويضع سوليفان تأكيدا كبيرا علي أهميه العلاقات بين الرضيع وأمه ويعتقد سوليفان إن الأطفال حساسون جدا لمواقف الآخرين نحوهم ويدرك الطفل انفعالات الآخرين من حوله ويستجيب لها ويجب إن نلاحظ إن القلق علي الرغم من مصدره العلاقات مع إلام إلا انه يصبح فيما بعد مرتبطا بكل عالم الثقافة الواسع.

جوانب الشخصية : يري سوليفان ان هناك ثلاثة عمليات بارزه في التفاعلات بين الافراد التي تحدد شخصيه الفرد وهي:

1- الدينامية Dynamisms وهي شكل ثابت نسبياً من الطاقة والتي تظهر نفسها بعملية مميزة في العلاقات بين الأفراد وبعبارة أخرى هي أي نوع من السلوك سواء كان جسدياً أو عقلياً "كما في التفكير والذي يستمر ويتكرر حدوثه على شكل عاده. وهي تتراكم حيث أنه كلما كان للفرد كمية أعظم وتتنوع أكثر من التجارب أكثر عدد الديناميات التي يظهرها. وهي مورثة لكنها تخدم الحاجات الجسمية. ولو إن بعض الديناميات مثل الخوف والغضب قد تكون مرتبطة بشكل بعيد فقط للإشباع الجسدي ان الديناميات التي تتعلق مع العلاقات مع الآخرين يتعلمها الفرد من تجاربه مع الآخرين وكلتا الديناميات المورثة والمتعلمة هي سمات عامة تؤثر كثيراً في علاقات الفرد مع الآخرين ان الطاقة برأي سوليفان هي الطاقة الجسدية (الفيزيائية) حيث رفض استعمال الطاقة النفسية فالديناميات الأساسية لدي جميع الأفراد واحده ولكن طرق التعبير عنها تختلف باختلاف الأفراد. ان أهم دينامية في الشخصية هي دينامية النفس او الذات وهي أساساً فكرة الفرد عن نفسه مبنية على أساس علاقاته مع الآخرين. وتعرف دينامية النفس بأنها نظام من الحماية يشتق من محاولات الطفل الأولي لإرضاء الأم وبذلك يحصل على الإشباع والأمن ويبدأ الطفل بالتمييز بين الأنا الجيد والأنا السيئ حيث احدهما يجلب المدح بينما يجلب الآخر العقاب ومع ان دينامية الذات او النفس ضرورية جداً للحماية الا أنها متناقضة مع بعض الجوانب حيث أنها تمثل نظاماً يتماشى مع الثقافة ولذلك فهي لا تمثل الذات الحقيقية.

2- تصور الأشخاص : Personification فهو الذي يعني بالصور الذهنية التي يمتلكها الفرد عن الآخرين وعن النفس، وهذه الصورة ليست بالضرورة تمثيلاً صادقاً لأنها كأي إدراك او ملاحظة تتأثر جداً بطبيعة نظام الذات للفرد والصورة الذهنية التي يمتلكها الفرد عن النفس وعن الآخرين تشبه الدينامية وتبدأ في فترة الرضاعة وهي تعني بالحماية من القلق وعن طريقها يبني إدراك ثابت لنوع معين من الناس يستطيع ان يستجيب لهم بطريقة ثابتة فإذا أدرك الطفل ان والده شخص قاس متسلط عندئذ قد يري كل الرجال في مركز السلطة بنفس الطريقة، ويستجيب لهم كشخص كبير كسلوك مماثل للسلوك الذي كان يستعمله مع والده.

3- أنماط التجارب Modes of experiences قد ركز سوليفان على ثلاثة أنماط من الخبرة والتجارب هي :

1. أسلوب اكتساب الخبرة البدائي الأولى prototoxic وهو يعتبر التجربة الأكثر بدائية من أنماط التجارب الأخرى، وتحدث فقط ضمن الشهور الأولى من حياة الطفل وتتمثل في إدراك

الاحساس المباشر والمشاعر المباشرة غير المنظمة وتختفي تحت تأثير التجارب الجديدة وكلما كبر الطفل الرضيع تنمو عنده القدرة علي تنظيم بعض المعاني واستنتاجها من خلال التجارب حيث يتعلم الطفل بعض المشاهد والأصوات من الوجه وتعابيره عن الأم وكذلك ابتسامتها او نبرة صوتها.

2. أسلوب اكتساب الخبرة المتميزة parataxis وتبدأ هذه الخبرة عندما يبدأ الرضيع باستيعاب بعد المعاني والعلاقات ويميز ذاته عن العالم الخارجي وقد تكون الخبرات والصور التي يمر بها الرضيع غير واقعية ولكن معناها يكون حقيقيا بالنسبة الي ذاتية الفرد ويتعلم الطفل استعمال اللغة بشكل مبسط.

3. أسلوب اكتساب الخبرة المركبة syntaxis يتميز هذا الأسلوب بالتفهم الكامل في العلاقات المنطقية لمختلف الرموز المستخدمة حيث يبدأ الطفل في التعرف علي التركيبات في اللغة ويكتسب هذه المعاني من خلال الأعمال الجماعية والإعمال الشخصية مع الآخرين ومن الخبرة الاجتماعية.

مراحل نمو الشخصية : علي الرغم من ان سوليفان لا يهتم بمراحل النمو الليبيدية كما اهتم بها فرويد وإتباعه الا انه يعطي كل اهتمامه علي تلك العملية الداخلية genetic process التي تؤدي للفرد الي المراهقة وهو في ذلك يختلف عن الفرويديين اختلافا كبيرا. وتتميز المراحل التي يحددها للنمو الإنساني بوجود إمكانات للطفل في كل مرحلة تجعله واعيا علي وجه الخصوص لجوانب معينة من العلاقات الشخصية مع الآخرين في بيئته تجعله قادرا علي ان يتفاعل معها وهي كما يلي:

1- **مرحلة الحضانة: Infancy** تبدأ منذ الميلاد حتى عام ونصف وتتميز هذه المرحلة بالنشاط الضمني للرضيع ويبدأ في هذه المرحلة التميز التدريجي لحدود العالم الخارجي الذي حوله عندما يدرك ان حاجاته الفسلوجية لا تشبع مباشرة ولكنه بعد ذلك يبدأ تدريجيا في إدراك هذا العالم والاشخاص الذين يحيطون به ويميز بين العلاقات والمواقف ومنذ تلك الفترة يبدأ الذات في التكوين والنمو نتيجة لحالات الارتياح او عدمه بما يحدث حوله ، ويعتمد الطفل في هذه الفترة علي والديه لاشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية وتبدأ في هذه الفترة ايضا اولي مراحل التعليم وهو يتعلق بعض الأنماط الثقافية والسلوكية اذا انها تكتسب بتكرار المواقف والتجارب وتؤدي في النهاية الي ان يكتسب الطفل انماط السلوك وتحدد استجاباته ويتعلم بعض الكلمات والإشارات وهي وسيلة هامة للمشاركة الاجتماعية وتسمح بنقله الي مرحلة جديدة.

2- مرحلة الطفولة: Childhood تبدأ من عمر سنتين ونصف الي خمسة سنوات تبدأ الأسرة في هذه المرحلة تلقين الطفل مظاهر السلوك وتربيته حسب ثقافة المجتمع وتبدأ دينامية الذات في النمو و تتأثر بمظاهر الثواب والعقاب ومشاعر القبول والارتياح التي تبدو علي والديه اما من حيث مشاعر الطفل في هذه الفترة فان أخفاقة في إشباع حاجاته وعدم تحقيق رغباته يولد لديه الشعور بالقلق، وهذا الشعور يعد من اشد أنواع القلق في حياة الطفل. ويرى سوليفان انه في حالة التحول من مرحلة الطفولة الي مرحلة الحداثة يتكون عند الطفل انطباع عام عن مجموعة القيم والمعايير الاجتماعية و الأخلاقية التي تؤثر في مختلف مواقف نشاطه.

3- مرحلة الحداثة : Juvenile تبدأ من خمسة سنة الي احدى عشر سنة في هذه الفترة يشعر الطفل للحاجة للصحة من نفس الجنس وأيضا يكتسب الكثير من الأنماط السلوكية والثقافية التي تساعده علي تكوينه الاجتماعي والثقافي ويدخل الطفل عالم المدرسة ويدخل في علاقات جديدة كلياً و للمدرسة اثر كبير علي شخصية الطفل حيث تزويده بمعارف وأفكار جديدة تخلق نوعا من الصراعات بين ما اكتسبه من الأسرة وقيم المدرسة ويميل للتنافس مع الآخرين و يأخذ لنفسه اتجاها عاما تجاه العالم.

4- مرحلة المراهقة - Adolescence: تبدأ من احدى عشر حتي عشرين سنة، ولها اثر بالغ في حياة الفرد من الناحية الجسمية والبلوغ الجنسي ونمو الذات ويشد النزاع في هذه المرحلة بين تأكيد ذاتية الفرد و ما تحمله من أفكار وأنماط سلوكية ونظرة المجتمع له.

وقسم سوليفان هذه المرحلة الي ثلاثة فترات هي :-

(أ) ما قبل المراهقة **Preadolescence** التي تتميز بظهور اتجاه الفترة الي اهتمامه بالجنس الأخر نتيجة البلوغ الجنسي والاتجاه الي الحب والحاجة الي الارتباط بالغير كما تتصف علاقات الفرد بمظاهر العطف والاهتمام بزملائه وسعيه للحصول علي تقدير الآخرين.

(ب) فترة المراهقة **adolescence** التي تتميز بالنضج الجنسي التي تأخذ أحيانا شكل المودة والعناية بالجنس الأخر كما تتنوع اهتمامات المراهق الاجتماعية ويزداد نشاطه ونزعة التمرد والاستقلالية.

ج) **المراهقة المتأخرة late adolescence** التي تتميز بالاستقرار الذاتي واتجاهات الفرد وقيمة، كما يتخذ الفرد أساليبه الخاصة في الحيل التي يوجه بها نواحي القلق والصراع ويتحدى كثير من الأوهام والأفكار والخيالات التي تعلمها في المراحل السابقة.

5- **مرحلة النضج (mature)** وتتميز بالنضج الجنسي الكامل واشباع حاجات الفرد الجنسية كما تتميز بالاستقرار وتكوين الاتجاهات الثابتة تجاه المواقف والعالم ان نمو الشخصية يتغير في الذات والعمليات العقلية وتشكل الأنماط الثقافية والسلوكية للفرد وليست هذه المراحل ثابتة ولكنها تتباين بين السلوك السوي والسلوك الغير سوى.

وليس من السهل تحديد الخط الفاصل بين السلوك السوي وغير السوي وهناك أكثر من تعريف للسلوك غير السوي وأكثر من معيار للتمييز بينه وبين السلوك العادي فالسواء ينظر إليه علي انه التكيف الجيد الذي يظهره الفرد بالشروط المحيطة الاجتماعية و يظهر السلوك السوي في حياتنا اليومية علي شكل السلوك المألوف او المعتدل والغالب علي الناس. وإذا كان الموقف يدعو للضحك يواجه بالضحك والعكس. ويعرف السلوك غير السوي علي انه السلوك الذي ينحرف بشكل ملحوظ عما هو عادي من حيث تكراره وشدته وقوته وحدته وشكله وتطوره.

سوليفان يعتقد ان السلوك المضطرب ينشأ من تفاعلات الناس في الحياة اليومية فالسلوك المضطرب لا يختلف عن السلوك العادي في النوع ولكن في الدرجة فقط وكذلك ان الاضطرابات نماذج من التصرفات غير الملائمة في العلاقات الشخصية المتبادلة وأشار الي أهمية الأساس الفسيولوجي وسماه الخلل البيولوجي وبني مفهومة عن الاضطراب حول مفهوم القلق بنقطين أساسيتين:

1. سوابق القلق

2. نتائج القلق

القلق: Anxiety يعتبر القلق عند فرويديين المحدثين نقطة محورية هامة في نمو الشخصية تماما كما نظر إليه فرويد لقد اعتبره سوليفان ظاهره تنتج عن العلاقات الشخصية وأيضا استجابة للشعور بالنذب من قبل الآخرين أما العلاج في رأي سوليفان فهو عبارة عن تعلم مواجهة القلق باستخدام وسائل دفاعية مناسبة.

- سوابق القلق Antecedents القلق هو خبرة التوتر الذي ينتج عن أخطار حقيقية او موهومة تهدد أحساس الفرد بالأمن او اذا زاد قدرتها خفضت من قدرة الفرد علي إشباع حاجاته وأدت الي اضطراب علاقاته الشخصية المتبادلة والي الخلط في التفكير وتختلف شدة القلق باختلاف خطورة التهديد وفعالية عمليات الأمن التي تكون في حوزة الشخص. ويعتقد سوليفان ان القلق هو المؤشر التربوي الكبير الأول في الحياة وينتقل القلق الي الطفل عن طريق الأم والتي تعبر هي نفسها عن القلق في نظراتها وندمات صوتها ومسلكتها العام ويعترف بأنه لا يعرف كيفية الانتقال وان كان من المحتمل انه ينمو بواسطة نوع من عمليات التعاطف الوجداني تتسم طبيعته بالغموض وينشأ القلق عن طبيعة العلاقات الشخصية المتبادلة في المواقف المختلفة مثل (السخرية من الطفل - العقاب - إشكال النبذ المختلفة - الأم الحاقدة - العيش مع الشخص القلق كأم أو المربية).
- ظهور القلق : ان الاستجابة للقلق هي التجنب ثم بعدها يتعلم الطفل كيف يتجنب المواقف التي سببت له القلق ثم إعادة ربط الاستجابة في سلوكه والتي ارتبطت بالقلق في الماضي وكثيرا ما يقود القلق الي تطور الاضطرابات في الحالات التالية: 1. اذا ظهر القلق بشكل مفرط ومتكرر هذا يؤدي الي ظهور استجابة تفوق درجة القلق الطبيعي 2. عندما يظهر الحادث الذي تسببه بطريقة غامضة وغير ثابتة 3. عندما يصبح مرتبط بمواقف او استجابات ضرورية لانها مختلف الاستجابات الفسيولوجية (حاجات التوتر) اذا كان هذا العنصر صحيحاً فانه يظهر اصطداما وسيواجه الطفل غموضا.
- الحل غير الفعال للقلق: وقد يظهر نوعاً من الحلول غير الفعالة بالقلق حيث أطلق عليها سوليفان ديناميات الصعوبة الذي يعني ان هناك مجموعة من نماذج استجابات مختلفة للقلق والتي قد يستعملها الفرد ويثبت أنها غير فعالة لأنها تهيئ الفرد للمزيد من الضيق والقلق وقد أشار سوليفان ان نظام الذات هو مجموعة التجنبات وتتكون في النظام الذاتي من أسلوبين هما:- 1. التجنبات التي بواسطتها يعمل الفرد علي تجنب المواقف التي تجعله قلق ومجهدا فان ذلك يترك له اثر في تحقيق ذاته في المراحل المقبلة 2. التجنبات التي يعمل الفرد بواسطتها علي السيطرة علي محتويات شعوره حيث يتجنب التشخيص والتنبؤ

أكد سوليفان ان العميل هو الذي يحدد الأهداف من العملية العلاجية وهي :

1. إمكانية مساعده العميل على إعادة أفكار واستجابات العميل إلي حيز الإدراك وبذلك يقضي علي القلق وتجنب التفكك

2. اكتشاف الخبرات والأفكار المفككة وأسباب فصلها

3. دراسة المشاكل الناتجة عن العلاقات الشخصية المتبادلة

4. تحليل المشاكل الناتجة عن العلاقات الشخصية المتبادلة

5. التعرف الى الأمور والظروف التي تسبب التوتر للعميل .

خصائص العلاج: ان المعالج النفسي هو الفرد المتخصص بما لديه من معلومات وخبرة ، وأسلوب العلاج يتميز بالصفات التالية كما يراها سوليفان وهي :

1. الإحاطة بمعلومات وخبرات كافية عن السلوك الذاتي للفرد وان يكون قادرا علي تشخيص الأمراض النفسية ومدركا مسبباتها وخصائص النمو الطبيعي إضافة إلي معرفة العلاقات الشخصية المتبادلة بين الأفراد بشكل عام .

2. ويؤكد سوليفان علي أهمية انتباه المعالج الدائم أثناء المقابلة العلاجية ليتمكن من مراقبة وتقييم سلوك المريض أثناء العملية العلاجية

3. يرى سوليفان ان المعالج هو أكثر من مجرد شخص يعرف فقط ما يحدث بل هو قادر علي تحديد الحوادث المسببة للقلق حالما تظهر، ولا يستطيع ان يحدد متى ينشأ القلق عند المريض كذلك هو الذي يحاول ان يبعد عن المريض القلق والخوف

4. الاتجاهات وتقييم الاستجابة الموضوعية ، يؤكد سوليفان علي ضرورة عدم التبرير لدي المعالج اذ يجب ان يستخدم معلوماته علي رفع مكانته الشخصية علي حساب المسترشد وكذلك يجب ان ينظر الي القائم بمقابلته ليس علي انه عدوا او والدا او عاشقا او رئيسا بل شخص جاء اليه طالبا مساعدة وقادرا علي التفاعل معه (الموضوعية).

5. يقوم العلاج التمهيدي علي التحدث مع المريض ليعمل المرشد علاقة مثمرة وبناءه بينه وبين المسترشد ، كما يجب ان يدرك المرشد كيف يتصرف وان يعرف قيمة، وان يدرك انطباعه عن الجلسات التي قام بها مسبقا مع مسترشدين آخرين.

المقابلة العلاجية: The interview قسم سوليفان المقابلة الي أربعة أقسام:

1. **البداية الرسمية:** يتم من خلالها التعرف الأولي بين المعالج والعميل، ولا يطرح خلالها الأسئلة الكثيرة لأنه يؤكد على ضرورة الملاحظة الايجابية الهادئة والأحاديث الودية، والتي تتضمن معرفة الأسباب التي أدت الى مجئ العميل الي العلاج، كما يركز سوليفان علي يقظة المعالج حول جميع المظاهر السلوكية للعميل حتى تساعده في تكوين اراء وانطباعات أولية حول الأسباب التي أدت الي قدوم العميل الي العلاج.

2. **الاستكشاف والتعرف:** وتهدف هذه المرحلة الي الاستفسار المتضمن عن ماضي العميل وحاضره ومستقبله، وتدرج هذه الحقائق المتعلقة بحياة العميل تحت قائمة المعلومات الشخصية او الخاصة بتاريخ الحياة، ويركز سوليفان علي عدم تسجيل الملاحظات التي يقولها العميل في أثناء فترة العلاج، وذلك يؤدي الي تشتت الانتباه بدرجة كبيرة كما يزعج العميل منها، وقد يؤدي الي عدم إمكانية التواصل بين المعالج والعميل .

3. **الاستفسار المفصل:** يرى سوليفان ان علي المعالج إلا يبدأ بأي وصفة شكلية، من طراز قل لي شيئاً يخطر علي بالك على المعالج ان يستفيد من ثغرات الذاكرة لدى العميل اثناء فترة الاستفسار ليقوم بالتداعي الطليق، وبهذه الطريقة لا يتعلم العميل التداعي الطليق فحسب ، بل انه كذلك يخبر فائدة طريقة التداعي الطليق، مثل ان يقدم له شرحاً شكلياً للهدف، ويجب ان يكون المعالج قد كون عند نهاية المرحلتين الأوليتين من عملية المقابلة عدداً من الفروض الأولية فيما يتعلق بمشاكل العميل وأحواله، ويجب علي المعالج ان يحاول في فترة الاستفسار المفصل ان يحدد أي هذه الفروض العديدة هو الفرض الصائب، وهو يقوم بذلك عن طريق ألقاء الأسئلة ويقترح سوليفان عدد من المجالات يجب الاستفسار عنها، مثل التدريب علي التبول والتبرز والاتجاهات نحو الجسم عادات الأكل والطموح النشاطات الجنسية

4. **مرحلة الإنهاء (الخاتمة):** عندما تصل المقابلات الي ختامها يصدر القائم بالمقابلة تقريراً نهائياً بما تعلمه ويصف للمسترشد طريقاً يساعده ويزن له النتائج المحتملة في حياته.

تقييم وتحليل النظرية:

وفيما يلي بعض النقاط التي يمكن ان نستخلصها من نظرية سوليفان :

(1) التركيز علي اللغة والتواصل بين الطلاب في الصفوف وبين الطلاب والمدرسين لان هناك الكثير من المشاكل التي تحدث بسبب سوء التفاهم ولذلك اراد سوليفان تطبيق نظريته في خفض التوتر بين الدول.

(2) الرؤية الواضحة للمرشد حول وضع المسترشد والتنظيم المحدود الدقيق حول نقاط القوة ونقاط الضعف لديه حتى يحصل الخلط وعدم التلاعب بظروف المسترشد.

(3) محاولة إيجاد بيئة سوية في الأنظمة المدرسية حتى تكون عامل مساعد ومؤثر في تعديل الأنماط السلوكية الخاطئة لدي الطلاب.

(4) المدرس مثله مثل الأخصائي النفسي يجب عليه ان يكون مشاركا وملاحظا في الصف وليس ملقنا.

(5) تشجيع التمثيل المسرحي بين الطلاب وذلك عن طريق لعب الأدوار كالأب ودور الأم هذه طريقة تسهم بشكل فعال في الكشف عن طريقة التشخيصات في نظام الذات.

(6) احترام المسترشد كإنسان له كيانه وشخصيته.

(7) الأخذ بعين الاعتبار خصائص كل مرحلة من مراحل نمو الشخصية في العملية التربوية ويجب مراعاة هذه المراحل في التعامل مع الأطفال.

تقييم نظرية سوليفان الايجابية والسلبية:

ان تقييم سوليفان من الجانب الايجابي يظهر من خلال: ما تميزت به النظرية في نظريتها الي الإنسان علي انه كائن اجتماعي. ولقد ساهمت نظريته في البحث عن علم الأمراض النفسية. وظهر ذلك من خلال المقابلات التي كتبها أثناء وجوده في المستشفى، ولا سيما فيما يتعلق بعلاج حالات الفصام. لم تكن حالات الفصام ميئوس منها في نظر سوليفان، بل أكد علي إمكانية علاجهم ونجاح العلاج اذا تحلي المعالج بنوع من الصبر والفهم والملاحظة والانتباه. وشجع الأطباء الآخرين وعلماء الاجتماع علي القيام بمزيد من الدراسات حول العلاقات والاجتماعية والشخصية. وقدم عرضاً وافيا لتطور السلوك في المراحل العمرية التي يمر بها الفرد وساهم في نظريته في التأكيد علي سلوك الأفراد الراشدين بأنها أكثر تعقيداً وذلك من خلال العلاقات الشخصية المتبادلة

أما نقاط ضعف النظرية التي تمثل الجانب السلبي للنظرية فاهمها: أهمل سوليفان تحديد معنى المفاهيم التي استخدمها في نظريته فهناك صعوبات تتعلق باستعمال القلق. أهمل تصنيف العواطف والأحاسيس والإدراك وكيفية تأثيرها علي السلوك. ان أسلوب النظرية من النوع السهل بالنظر الى الإطار العام للنظرية الا ان هناك تعقيدا ما ادخل إليها من مصطلحات. أعطي أهمية كبيرة للتعليم، الا ان ملاحظاته عنه محدودة.

أوجه الخلاف بين سوليفان وفرويد: • انكر الاتجاه الليبدو الفرويدي لتفسير الشخصية. لم يعتقد بان الغرائز الجنسية هي المنابع الرئيسية للدوافع الإنسانية. أنكر ان الإنسان محصلة الإمكانيات الفكرية وحدها ورأى بتخصيص مكانة للإبعاد الاجتماعية في تكوين الشخصية واعتقد بتداخل الحاجات الفطرية والوراثية والقدرات النفسية والمكونات الاجتماعية وتكوين بناء الشخصية. رفض سوليفان التداعي الحر في العلاج النفسي الذي استخدمه فرويد في علاج أمراض العصاب ووجد انه من الضروري دراسة الموقف الذي يتناول فيه العلاقات الشخصية. ان تفسير فرويد للمرض النفسي يمر من خلال مراحل متعددة فقد افترض ان العوامل الرئيسية التي تحدد ماهية الشخصية وتسبب الأمراض العصابية هو الصراع بين مكونات الشخصية الهو والانا والانا الاعلي، ثم استعان في تفسيره للإمراض بالحيل اللاشعورية. والميكانزمات الدفاعية وذلك من خلال إنكار وتخزين الواقع والتعامل اللاشعوري بدلا من الشعوري مما يؤدي الي ظهور الأعراض المرئية وركز في تفسيره للأمراض علي مراحل النمو الجنسي للطفل خلال السنوات الخمس الأولى.

رابعاً: هنري موراي

نظرية الشخصية في الدوافع والإحتياجات

هنري موراي نظرية الشخصية التي تم تنظيمها من حيث الدوافع والإحتياجات. وصف موراي الإحتياجات بأنها "إمكانية أو استعداد للرد بطريقة معينة في ظل ظروف معينة". تشير نظريات الشخصية المستندة إلى الإحتياجات والدوافع إلى أن شخصياتنا هي انعكاس للسلوكيات التي تسيطر عليها الإحتياجات. في حين أن بعض الإحتياجات مؤقتة ومتغيرة ، إلا أن هناك إحتياجات أخرى أكثر عمقاً في طبيعتنا. وفقاً لموراي ، هذه الحاجات النفسية تعمل في الغالب على مستوى اللاوعي ولكن تلعب دوراً رئيسياً في شخصيتنا.

قائمة الإحتياجات النفسية لموراي:

فيما يلي قائمة جزئية تضم 24 حاجاً حددها موراي وزملاؤه. وفقاً لموراي، كل الناس لديهم هذه الإحتياجات ، ولكن كل فرد يميل إلى أن يكون مستوى معين من كل حاجة. تلعب المستويات الفريدة لإحتياجات كل شخص دوراً في تشكيل شخصيته الفريدة.

طموح الإحتياجات:

ترتبط إحتياجات الطموح بالحاجة إلى الإنجاز والاعتراف. غالباً ما يتم التعبير عن الحاجة إلى الإنجاز من خلال النجاح ، وتحقيق الأهداف ، والتغلب على العقبات. يتم تلبية الحاجة للاعتراف من خلال اكتساب مكانة اجتماعية وعرض الإنجازات. في بعض الأحيان يحتاج الطموح حتى الحاجة إلى المرض، أو الرغبة في الصدمة وإثارة أشخاص آخرين.

الإحتياجات المادية:

تركز الإحتياجات المادية على الاستحواذ والبناء والترتيب والاحتفاظ. هذه الإحتياجات غالباً ما تنطوي على الحصول على العناصر ، مثل شراء الأشياء المادية التي نرغب فيها. في حالات

أخرى ، تجبرنا هذه الاحتياجات على خلق أشياء جديدة. يعد الحصول على العناصر وتكوينها جزءًا مهمًا من الاحتياجات المادية ، ولكن الحفاظ على الأشياء وتنظيمها أمر مهم أيضًا.

احتياجات الطاقة:

تميل احتياجات الطاقة إلى التركيز على استقلالنا بالإضافة إلى حاجتنا للتحكم في الآخرين. يعتقد موراي أن الحكم الذاتي هو حاجة قوية تنطوي على الرغبة في الاستقلال والمقاومة. الاحتياجات الأساسية الأخرى التي حددها تشمل الإبطال (الاعتراف والاعتذار) ، العدوان (مهاجمة الآخرين أو سخرية الآخرين) ، إلقاء اللائمة (إتباع القواعد وتجنب اللوم) ، الإذعان (الطاعة والتعاون مع الآخرين) ، والهيمنة (السيطرة على الآخرين).

احتياجات المودة:

تتركز احتياجات المودة على رغبتنا في الحب والمحبة . لدينا حاجة للانتماء والبحث عن الشركة من أشخاص آخرين. كما أن الرعاية أو العناية بالأشخاص الآخرين مهمة أيضًا للرفاه النفسي. تشمل الحاجة إلى التأييد مساعدة الآخرين أو حمايتهم. واقترح موراي أيضا أن اللعب واللهو مع الآخرين كان أيضا حاجة حاسمة للعاطفة. في حين أن معظم المودة تحتاج إلى مركز لبناء العلاقات ، فقد أدرك موراي أيضًا أن الرفض يمكن أن يكون أيضًا حاجة. في بعض الأحيان ، يُعد إبعاد الناس جزءًا مهمًا من الحفاظ على الصحة العقلية. العلاقات غير الصحية يمكن أن تكون ضررًا كبيرًا لرفاهية الفرد ، لذلك أحيانًا يكون معرفة وقت الابتعاد أمرًا مهمًا.

احتياجات المعلومات:

تتمحور احتياجات المعلومات حول اكتساب المعرفة ومشاركتها مع الآخرين. وفقا لموراي ، الناس لديهم حاجة فطرية لمعرفة المزيد عن العالم من حولهم. وأشار إلى الإدراك على أنه ضرورة البحث عن المعرفة وطرح الأسئلة. بالإضافة إلى اكتساب المعرفة، اعتقد أيضًا أن الناس بحاجة إلى ما أشار إليه على أنه عرض ، أو الرغبة في مشاركة ما تعلموه مع الآخرين.

التأثيرات على الاحتياجات النفسية:

كل حاجة مهمة في حد ذاتها ، ولكن موراي يعتقد أيضا أن الاحتياجات يمكن أن تكون مترابطة ، يمكن أن تدعم الاحتياجات الأخرى ، ويمكن أن تتعارض مع الاحتياجات الأخرى. على سبيل المثال ، قد تتعارض الحاجة إلى الهيمنة مع الحاجة إلى الانتماء عندما تؤدي السيطرة المفرطة على السلوك إلى إبعاد الأصدقاء والعائلة والشركاء الرومانسيين. يعتقد موراي أيضا أن العوامل البيئية تلعب دورا في كيفية عرض هذه الاحتياجات النفسية في السلوك. ووصف موراي هذه القوى البيئية بأنها "معاصره".

بحث عن الاحتياجات النفسية

أخضع علماء نفس آخرون لاحتياجات موراي النفسية إلى أبحاث كبيرة. على سبيل المثال ، أوضحت الأبحاث حول الحاجة إلى الإنجاز أن الأشخاص الذين لديهم حاجة كبيرة للإنجاز يميلون إلى اختيار مهام أكثر صعوبة. لقد وجدت الدراسات حول الحاجة إلى الانتماء أن الأشخاص الذين يقيمون نسبة عالية من احتياجات الانتماء يميلون إلى أن يكون لديهم مجموعات اجتماعية أكبر ، ويقضون وقتاً أطول في التفاعل الاجتماعي ، وأكثر عرضة للمعاناة من الوحدة عندما يواجهون القليل من التواصل الاجتماعي.

الفصل الرابع النظرية المعرفية

أولاً: نظرية بياجيه في النمو المعرفي

مقدمه:

ولد جان بياجيه J. Piaget في فيوشاتل بسويسرا في التاسع من (آب) أغسطس 1895 م. وكان نبيها منذ الصغر وظهرت عبقريته مبكراً. وأظهر اهتماماً كبيراً بعلم الأحياء وقد عين وهو في السادسة عشرة من عمره مديراً لمتحف التاريخ الطبيعي في جامعة فيوشاتل. ونشر في عام 1916 بحثه الأول. ثم نال درجة الدكتوراه في التاريخ الطبيعي وهو في الحادية والعشرين من عمره. ثم حول اهتمامه وطاقته إلى دراسة تطور الفكر عند الأطفال ونموه وقرأ في فلسفة المعرفة بتوسع وبدأ يفكر باهتمام شديد في عالم المعرفة. وخاصة فيما يتعلق بكيفية اكتساب المعرفة والتعلم عند البشر. واعتقد أن النمو المعرفي يركز على الجوانب البيولوجية والسلوكية ولهذا تحول إلى مجال علم النفس

وعمل بياجيه بعد تخرجه في معمل بينيه Binet لاختبارات الذكاء في باريس لعدة سنوات. حيث اختبر الأطفال وقدراتهم الذكائية المختلفة وتمرس في تطوير اختباراتهما كما لاحظ الفروق الفردية في إجابات الأطفال على أسئلة القدرات الذكائية نتيجة تنوع مراحلهم العمرية. وفي هذه الفترة بدأت أفكار بياجيه الواسعة الانتشار هذه الأيام تتبلور لأطرها النظرية الحالية. بعد ذلك انتقل بياجيه من معمل بينيه إلى معمل جان روسو في جنيف بسويسرا حيث تمكن من متابعة أبحاثه العيادية مع الأطفال في مجال الذكاء والقدرات الإدراكية ومن تطوير نظريته في علم النفس المعرفي إلى حدودها النهائية المتداولة الآن.

والجدير بالذكر أن نظرية بياجيه قد تمت بدرجة رئيسية بناء على نتائج الملاحظات والدراسات الامبريقية التي قام بها بياجيه مع زوجته وأطفالهما الثلاثة. أيضاً اعتمد في دراساته على الطريقة العيادية أو الإكلينيكية، وقد توفي بياجيه في أواخر سبتمبر 1980م بعد أن ساهم بدراساته الواسعة والأصيلة وترك مجموعة من المؤلفات والكتب والمقالات عن النمو المعرفي عن الأطفال.

وتعد نظرية بياجيه إحدى النظريات المعرفية النمائية لأنها تعنى بالكيفية التي تنمو من خلالها المعرفة لدى الفرد عبر مراحل نموه المتعددة. فهي تقترض أن إدراك الفرد لهذا العالم وأساليب تفكيره تتغير من مرحلة عمرية إلى أخرى، إذ تسود في كل مرحلة أساليب واستراتيجيات خاصة تحكم إدراكات الفرد وتؤثر في أنماطه السلوكية.

وقد أظهر بياجيه اهتماماً واسعاً بما يعرف بنظرية المعرفة التي تعنى بالدرجة الأولى في تفسير الكيفية التي يتم من خلالها اكتساب المعرفة. كما عبر على نحو واضح وصريح عن امتزاج علم النفس والفلسفة والبيولوجيا في نظريته. وتعتمد نظريته على محورين أساسيين هما:

- 1- تشكل المعرفة في حد ذاتها أداة ينتج عنها تطوير بنى معرفية.
- 2- تؤدي المعرفة وظيفة التحكم الذاتي في أساليب التفكير لدى الفرد وفقاً لعملية التوازن العقلي.

أهمية نظرية بياجيه

- 1- من أوائل النظريات في مجال النمو العقلي، ومن أكثرها شمولية في تفسيرها للنمو العقلي عند الأطفال.
- 2- جاءت أفكار النظرية بناء على العديد من الدراسات الطولية والعرضية والتي وظف فيها بياجيه وتلاميذه العديد من أدوات البحث.
- 3- لم يقتصر بياجيه على دراسة النمو في العمليات المعرفية فحسب، بل درس النمو الاجتماعي والانفعالي والأخلاقي واللغوي على اعتبار أن مظاهر النمو مترابطة يؤثر كل منها بالآخر سلباً وإيجاباً.
- 4- ولدت النظرية الآلاف من الأبحاث التجريبية.
- 5- يُعد بياجيه أول من أدخل مفهوم التوازن العقلي كأحد الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى حدوث النمو العقلي.
- 6- تطبيقاتها التربوية كثيرة وذلك من حيث اختيار الخبرات والمواد التعليمية المناسبة وأساليب واستراتيجيات تقديم هذه الخبرات ووسائل تقويمها.

هذه التطبيقات التربوية مرت في ثلاث مراحل رئيسية هي:

- 1- التطبيق المباشر لمفاهيم النظرية داخل غرفة الصف.
- 2- الانشغال بمسألة الفروق الفردية بين المتعلمين.
- 3- تطبيق مفهوم التوازن العقلي على عمليات التعلم من خلال استخدام أسلوب حل المشكلات ووضع المتعلمين في حالات من عدم التوازن العقلي.

الملاح الرئيسية نظرية بياجيه:

تميز نظرية بياجيه عدة سمات تتبع من افتراضاتها الرئيسية حول التعلم والنمو الإنساني ، وفيما يلي هذه السمات:

- 1- تعد نظرية بياجيه في الأساس نموذجاً بيولوجياً ينظر إلى الإنسان على أنه بناء ذاتي التنظيم وهو مصدر كل الأنشطة التي يقوم بها.
- 2- يمثل الإنسان نظاماً متكاملًا ذا بعدين رئيسيين هما مجموعة العلاقات المتبادلة بين مكوناته وخصائصه ، وعمليات تفاعلاته المستمرة مع البيئة.
- 3- تعنى هذه النظرية بالعلاقات أو الارتباطات بين المثيرات والاستجابات فهي لا تؤمن أبداً بأن مثيرات معينة تحدث استجابات معينة على نحو آلي، وإنما ترى أن الاستجابات هي نتاجات للأبنية المعرفية التي يشكلها الفرد في ضوء عمليات النمو.
- 4- ترى النظرية أن الإنسان يولد ببعض الأبنية التي تمكنه من إصدار العديد من ردات الفعل الانعكاسية (قدرات التنظيم) وأن هذه الأبنية تشكل أصل المعرفة.

النمو العقلي عند بياجيه:

اهتم بياجيه منذ البداية بأصل المعرفة والكيفية التي من خلالها تتطور مثل هذه المعرفة وانصب اهتمامه بالدرجة الأولى على مسألتين رئيسيتين هما:

- 1- كيف يدرك الطفل هذا العالم والطريقة التي يفكر من خلالها بهذا العالم ؟
 - 2- كيف يتغير إدراك الطفل وتفكيره بهذا العالم من مرحلة عمرية إلى أخرى ؟
- لذلك حاول بياجيه من خلال نظريته تحديد خصائص الأطفال التي تمكنهم من التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها ويتفاعلون معها، ثم تفسير التغيرات التي تطرأ على مثل هذه الخصائص عبر مراحل النمو المختلفة.

أن النمو المعرفي عند الطفل هو نتيجة لأربعة عوامل رئيسية:

1- النضج البيولوجي.

2-التوازن.

3-الخبرات الاجتماعية بالناس.

4-الخبرات الطبيعية بالأشياء.

أولاً: النضج البيولوجي:

فالنضج يعد من أهم العوامل التي تؤثر في طريقة فهمنا العالم من حولنا، إذ تعد التغيرات البيولوجية التي يمر بها الفرد موروثه بفعل التركيب الجيني الذي يرثه الفرد في لحظة التكوين.

ثانياً: التوازن:

يحدث عندما تتفاعل العوامل البيولوجية مع البيئة الفيزيقية. فكلما نمى الفرد جسدياً كانت قدرته على الحركة والتفاعل مع المحيط الذي حوله أفضل، ومع التجريب والفحص والملاحظة تتطور عملياتنا العقلية، وإن التغيرات الحقيقية في التفكير تحدث من خلال عملية التوازن التي تمثل نزعة الفرد لتحقيق التوازن.

ثالثاً: الخبرات الاجتماعية:

كلما نمو نتفاعل من الآخرين من حولنا وبالتالي يؤثر هذا في نمونا المعرفي من خلال التعلم من خبرات الآخرين وسلوكياتهم. اتبع بياجيه " الطريقة الإكلينيكية " في البحث السيكولوجي في عالم الطفولة لسبر أغوار نمو الأطفال وما يتسمون به في سياق العملية النمائية من خصائص متميزة وهذه الطريقة اتسمت بالبساطة والصرامة والعلنية.

رابعاً: الخبرات الطبيعية بالأشياء:

ويرى بياجيه أن هناك عمليات معينة تكمن وراء التعلم لدى الطفل وتعمل على الارتقاء العقلي لديه، منها عملية التكيف مع البيئة من ناحية وعملية تنظيم الخبرة من ناحية أخرى. وعملية التكيف في نظر بياجيه تبنى على ركيزتين متكاملتين هما عمليتا " الاستيعاب أو التمثل " فالاستيعاب هو عملية تلقي المعلومات عن أحداث البيئة وفهمها واستخدامها في نشاط معين . في حين تلعب المواءمة دوراً مهماً في مجال التكيف لأنها تركز على تغير الأفكار حتى تتسق وظروف الموقف الجديد أو القدرة على تعديل ظروف البيئة. ويطلق بياجيه على **تتابعات الأفعال** هذه مصطلح المخطط أو **السكيما** الذي يعد تمثلاً عقلياً.

خصائص الطفل المعرفية:

1-التمركز حول الذات:

هي حالة ذهنية تتسم بعدم القدرة على تمييز الواقع من الخيال والذات من الموضوع والأنا من الأشياء الموجودة في العالم الخارجي.

2-الإحيائية:

يضيفي الطفل الحياة والمشاعر على كل الأشياء الجامدة والمتحركة فالشيء الخارجي يبدو له مزودا بالحياة والشعور.

3-الاصطناعية:

يعتقد الطفل أن الأشياء في الطبيعة من صنع الإنسان لذلك فإنها تتأثر برغباته وأفعاله عن بعد.

4-الواقعية:

يدرك الطفل الأشياء عن طريق تأثيرها الظاهر أو نتائجها المحسوسة ولا يربطها بأسبابها الحقيقية فهو يكتفي بالفعل المحسوس.

مراحل النمو المعرفي حسب نظرية بياجيه:

عرف بياجيه النمو المعرفي بأنه :

عملية ارتقائية موصولة من التغيرات التي تكشف عن إمكانات الطفل. وركز جان بياجيه على أهمية إكساب الطفل الخبرات التعليمية المختلفة التي تساعدهم على اكتساب المفاهيم المختلفة خلال طفولتهم. وانطلق بياجيه من عدد من الافتراضات حول النمو، حيث تشكل هذه الافتراضات الخريطة التي على أساسها يمكن فهم عمليات النمو التي تحدث عند الأفراد.

وهذه الافتراضات هي:

- 1-يولد الإنسان وهو مزود ببعض الاستعدادات التي تمكنه من التفاعل مع البيئة.
- 2- تكون مثل هذه الاستعدادات في بداية حياة الطفل مجرد أفعال انعكاسية ، ولكنها تصبح قابلة للضبط والسيطرة والتنوع عبر عمليات النمو.
- 3- يلعب الاستكشاف دوراً رئيساً في عملية النمو المعرفي لدى الفرد ، وتتم عملية الاستكشاف وفق تسلسل منطقي بحيث لا يدرك الطفل ظاهرة ما على نحو مفاجئ.
- 4- تشكل المرحلة المفهوم الأساسي لعملية النمو المعرفي لدى الأفراد، ويرى بياجيه أن النمو يسير

وفق أربع مراحل متسلسلة ومتراطة ، بحيث تمتاز كل مرحلة بمجموعة من الخصائص المعرفية المميزة.

- 5- يسير النمو وفق تسلسل مضطرب من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، ويتخذ المنحى التكاملي.
- 6-يسيطر على كل مرحلة استراتيجيات تفكير محددة تميزها عن غيرها من المراحل الأخرى.
- 7-تسير هذه المراحل وفق تسلسل منتظم يرتبط بالعمر الزمني ، وهي عامة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري.
- 8- يتطلب النمو تفاعل مجموعة من العوامل الوراثية مع العوامل البيئية ، إذ إن أيًا من العوامل البيئية أو الوراثية لوحدها غير كافية لحدوث النمو المعرفي.

مراحل النمو المعرفي لدى جان بياجيه:

أولاً: مرحلة العمليات المادية: (Concrete Operational Stage)

تمتد هذه المرحلة من بداية السنة السابعة إلى نهاية السنة الثانية عشر من العمر اسم هذه المرحلة يدل على أن الطفل بدأ يفكر تفكيراً منطقياً حسياً وليس تفكيراً منطقياً رمزياً وبتعبير آخر يمكن القول أن الطفل يستطيع أن يفكر تفكيراً منطقياً بسيطاً إلا أنه يفكر أكثر فيما لو أعطي أشياء محسوسة بدلاً من الأشياء الرمزية ويتضح ذلك في عمليات الترتيب والتصنيف حسب الارتفاع أو حسب الألوان أو كليهما معاً . وفي هذه المرحلة يستطيع الطفل القيام بالعديد من العمليات المعرفية الحقيقية المرتبطة بالأشياء المادية التي يصادفها أو تلك التي اختبرها في السابق ، لكن الطفل مازال يعاني من:

- ضعف قدرته على الاستدلال.
- ضعف قدرته على اكتشاف المغالطات الذهنية المنطقية.
- ضعف قدرته على معالجة الفروض المغايرة للواقع.
- لا تتطور كل مفاهيم الحفظ في مرحلة العمليات المادية فمفهوم يتطور في مرحلة متأخرة كما أن بقية المفاهيم للحفظ تتطور في مرحلة العمليات المادية

وفيما يلي أهم خصائص هذه المرحلة:

•تنمو لدى الطفل قدرات الترتيب والتصنيف والتبويب للأشياء ويصبح قادراً على التفكير فيها في ضوء أكثر من بُعد.

•ينجح الطفل في عمل استنتاجات منطقية مرتبطة بالأشياء المادية.

*يطور الطفل مفهوم التعويض حيث يصبح قادراً على إدراك أن النقص في أحد أبعاد شيء ما يمكن تعويضه من خلال بُعد آخر.

•نظراً لقدرة الطفل على التصنيف والترتيب والتسلسل فإنه يبدأ بتكوين المفاهيم المادية.

*يتطور مفهوم البقاء والاحتفاظ كتلة ووزن وحجم ويتطور لديه أيضا مفهوم المقلوبية " والمعكوسية. "

•تلاشي حالة التمرکز حول الذات، حيث يصبح الطفل أكثر تفهماً لوجهات نظر الآخرين وأكثر توجهاً نحوهم وينقلون من اللغة المتمركزة حول الذات إلى اللغة ذات الطابع الاجتماعي. .

*يطور الطفل ما يسمى بعملية الإغلاق والتي تعتبر إحدى قواعد الاستنتاج والتفكير المنطقي.

•يستطيع حل العديد من المشكلات ذات الارتباط المادي مستخدماً العمليات المعرفية التي طورها كالاتفاظ والمعكوسية والتعويض والإغلاق ، كما يدرك مفهوم الزمن وينجح في التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل.

*يفشل الطفل في هذه المرحلة في عمل الاستدلالات والاستنتاجات اللفظية واكتشاف المغالطات المنطقية في العبارات اللغوية التي تقدم له.

•يستطيع التفكير في بعض الأسباب التي تؤدي إلى نتائج معينة ، ولكن تفكيره يكون غير منهجي أو غير منظم ويحدث تفكير الأطفال من خلال استخدام الأشياء والموضوعات المادية الملموسة.

ثانياً: مرحلة العمليات المجردة: (Formal Operational Stage)

تبدأ هذه المرحلة من سن الثالثة عشرة وتمتد إلى السنوات اللاحقة ، وتسمى بمرحلة العمليات الشكلية أو مرحلة التفكير المنطقي . وتتصف هذه المرحلة بكونها مرحلة نمو شامل وسريع ويتناول شمولها النواحي الجسمية والنفسية والانفصالية والاجتماعية ويتم في هذه المرحلة نمو المفاهيم والمبادئ سواء كانت في نطاق المحسوس أو نطاق المجرد . كما أن التغيير الذي يحدث على العمليات ليس كميّاً فحسب بل هو نوعي أيضاً ، إذ تتحول عملية التفكير بعد أن كانت ترتبط بالعالم الخارجي لتصبح عملية داخلية خاصة بالفرد.

وفيما يلي أهم خصائص هذه المرحلة:

•يدرك الفرد أن الأساليب والأنماط التفكيرية في المراحل السابقة لا تفي بالغرض لحل العديد من المشكلات ، فيقل اعتماده على الأساليب المرتبطة بالمعالجات المادية ، ويصبح أكثر اعتماداً على

أساليب التفكير المجرد.

*تتوازن عمليتا التمثيل والمواءمة ويصل الفرد إلى درجة عالية من التوازن.
•تنمو القدرة لديه على وضع الفروض وإجراء المحاكمات العقلية والاختبار لهذه الفروض للتأكد من صدقها أو عدمه ويحل لديه التفكير الاستدلالي الفرضي محل رئيسي للدلالة على الوصول إلى التفكير المجرد.

*تنمو القدرة لديه على التفكير المنظم والبحث في الأسباب المحتملة لحدوث ظاهرة ما.
•تنمو القدرات على التعليل الاستقرائي والذي يتجلى في استخدام بعض الملاحظات المحددة للوصول إلى تعميمات ومبادئ معينة أي التفكير الذي يسير من الجزء إلى الكل. والتفكير الاستنتاجي الذي يتمثل في الوصول إلى وقائع جزئية من القواعد والتعميمات.
*القدرة على التعامل مع الأشياء عن طريق العمليات المنطقية التركيبية، فهو قادر على تثبيت كل العوامل وتغيير أحدها لفحصه، وقادر على فهم التناسب وإدراك الأمور الهندسية.
•تنمو لدى الفرد مفاهيم المساحة والحرارة والسرعة والحجم والكثافة ، ويبدأ بتكوين المفاهيم المجردة التي ليس لها تمثيل مادي محسوس في الواقع.

*الانتقال من التمرکز حول الذات، إلى التفكير في العلاقات الاجتماعية المتبادلة، وهو يدرك الأشياء من حيث علاقتها بنظام قيم الإنسان كما يظهر لدى الفرد في هذه المرحلة الأنماط التالية:
-التفكير التوافقي حيث يأخذ في اعتباره العلاقات في ضوء الظروف النظرية التجريبية بشكل منهجي.

-التفكير التناسبي ويتعرف على العلاقات ويفسرها في المواقف الموصوفة بمتغيرات نظرية مجردة أو قابلة للملاحظة ، وللتفكير التناسبي أهميته في فهم القوانين العلمية.
-التفكير الاحتمالي حيث يعرف حقيقة أن الظواهر الطبيعية نفسها احتمالية وان أي مجملات يتم التوصل إليها أو أي صيغة تفسيرية يجب أن تتضمن اعتبارات احتمالية.
-التفكير الارتباطي إذ يستطيع الفرد أن يقرر ما إذا كانت الظواهر والأحداث متصلة أو أنها تميل للسير معا.

-التفكير الافتراضي فيأخذ الفرد في اعتباره جميع الافتراضات ويصمم اختبارا لضبط جميع الافتراضات حتى يصل إلى الافتراض الصحيح.

ثانياً: جورج كيلى

نظرية بناء الشخصية

سيكولوجية بناء الشخصية، هي نظرية طورها عالم النفس الأمريكي جورج كيلى في خمسينيات القرن العشرين في الشخصية والإدراك المعرفي. واشتق كيلى من النظرية، مدخلاً للعلاج النفسي، بالإضافة إلى آلية تسمى مقابلة الشبكة المرجعية، إذ تساعد مرضاه على تحليل تركيباتهم الخاصة (مخططات أو سبل رؤية العالم) مع أقل تدخل أو تفسير من جانب المُعالِج. وأصبحت الشبكة المرجعية لاحقاً ملائمة للعديد من الاستخدامات داخل المؤسسات، بما في ذلك صناعة القرار وتفسير وجهات نظر الأشخاص الآخرين بشأن العالم. وصنفت الجمعية البريطانية للعلاج النفسي، وهي هيئة نظامية، علاج سيكولوجية بناء الشخصية ضمن فئة فرعية تجريبية من المدرسة البنائية.

صرح كيلى بوضوح، أن مهمة كل فرد في فهم سيكولوجيته الشخصية هي تنظيم الوقائع الخاصة بتجربته الشخصية. وهكذا فإن دور الفرد شبيه بالعالم، وهو اختبار دقة تلك المعرفة البنائية من خلال القيام بتلك الأفعال التي تشير إليها تلك البنيات. وإذا كانت نتائج أفعالهم تتفق مع ما تنبأت به تلك المعرفة، فإنهم قد قاموا بعمل جيد في العثور على النظام في تجربتهم الشخصية. وإذا لم تتفق، فيمكنهم تعديل البنية: سواء تفسيراتهم أو تنبؤاتهم أو الإثتين معاً. هذا المنهج المتعلق باكتشاف وتصحيح البنيات هو ببساطة المنهج العلمي الذي تستخدمه كل العلوم الحديثة في اكتشاف الحقائق الخاصة بالكون الذي نعيش فيه.

واقترح كيلى أن كل بنية ذات طبيعة ثنائية القطب، محددة كيفية تشابه شيئين مع بعضهما البعض (واقعين على نفس القطب) ومختلفين عن شيء ثالث، ويمكن توسيعهما مع أفكار جديدة. واقترح باحثون جدد أن البنيات لا تحتاج أن تكون ثنائية القطب. فقد أظهرت دراسة إمبيريقية أن الترابطات الشخصية متداخلة مع بعضها بشكل متبادل، وأن المفاهيم الخاصة بالذات والعالم مرتبطة داخلياً عبر ملحقات مباشرة ووسيطه، والتي تعكس هيكله فهم وإدراك العالم والذات داخل أذهان الناس.

المعتقد الأساسي لنظرية سيكولوجية بناء الشخصية، هو أن العمليات السيكولوجية الفريدة للشخص، تُوجه من خلال توقع هذا الشخص للأحداث. اعتقد كيلى أن التوقع والتنبؤ يعتبران محركات

أساسية لأذهاننا. فكما قال كيلى: كل إنسان هو عالم على طريقته الخاصة، وبذلك فهو يطور وينقح دائماً النظريات والنماذج الخاصة بكيفية عمل العالم وبالتالي يمكنه توقع الأحداث. فنحن نبدأ منذ الميلاد (على سبيل المثال، يكتشف الطفل أنه عندما يبكي سوف تأتي الأم)، ونستمر في تنقيح نظرياتنا مع تقدمنا في العمر.

نحن نبني النظريات - غالباً ما تكون صور نمطية - بشأن الأشخاص الآخرين، ونحاول أيضاً أن نتحكم فيهم أو نفرض عليهم نظرياتنا الخاصة، لكي يكون لدينا مقدرة أفضل على التنبؤ بتصرفاتهم. بُنيت كل تلك النظريات من نظام للبنىات أو التركيبات. وتحتوي البنية على طرفين متقابلين مثل (الحزن - السعادة)، ونميل إلى وضع الشخص إما في أحد الأطراف المتقابلة أو في منطقة ما بينهما. وكما قال كيلى فإن ذهننا ممتلئ بتلك البنىات، على مستوى ضعيف من الوعي.

لم يستخدم كيلى مفهوم اللاشعور؛ واعتقد عوضاً عن ذلك بأن بعض البنىات تحدث فيما قبل الكلام. فيمكن تمييز شخص معين أو مجموعة من الأشخاص أو أي حدث أو ظرف، بدقة وإنصاف من خلال مجموعة من البنىات التي نطبقها، وموضع الشيء داخل نطاق كل بنية. فيمكن لفريد على سبيل المثال أن يتواجد في المنتصف بين السعادة والحزن (بنية واحدة) والماهر بالتأكيد غير الغبي (بنية أخرى). ويمكن للطفل علاوة على ذلك أن يكون لديه بنية سابقة على الكلام (فهو يريد مجيء أمه.. ولكنها لا تأتي عندما يبكي). تُطبق البنىات على أي شيء يلفت انتباهنا إليه بما في ذلك أنفسنا، وتؤثر أيضاً بشدة فيما نركز انتباهنا عليه. فنحن نُحلل طبيعة البنىات المبنية. ومن ثم فإن تحديد نظام بنىات الشخص سيجعلنا نقطع شوطاً كبيراً نحو فهمه، وتحديدًا فهم بنىات الشخص الأساسية التي تمثل معتقداته الصلبة غير القادرة على التغيير؛ وأيضاً بنىات الشخص المطبقة عليه نفسه.

لم يعتقد كيلى في مدخل توسعي في العلاج النفسي. فعوضاً عن أن يقوم المُعالج بتفسير سيكولوجية الشخص، والتي قد تصل إلى حد فرض بنىات الطبيب نفسه على المريض، فإن دور المُعالج ينبغي أن ينحصر فقط في كونه مُرشد أو وسيط بالنسبة للمريض لمساعدته في اكتشاف بنياته الخاصة. ثم يُفسر سلوك المريض بشكل أساسي بوصفه يمثل طرُقاً لرصد العالم، والتصرف بناء على ذلك الرصد، وتحديث نظام البنية بالطريقة التي تزيد من إمكانية التنبؤ. لقد طور كيلى آلية مقابلة الشبكة المرجعية لكي يساعد المريض على اكتشاف بنياته الخاصة.

ثالثا: ألبرت إيس

النظرية العقلية الانفعالية

ولد ألبرت إيس من عائلة يهودية في 27 سبتمبر 1913م في مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا الأمريكية، وقد حصل إيس على شهادة "Bachelor of Arts" من جامعة The City University of New York. وفي عام 1942 حصل على Ph.D في علم النفس الإكلينيكي من جامعة كولومبيا، وحصل على Master of Arts في Clinical Psychology من نفس الجامعة عام 1943م. وفي عام 1947م حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا. مارس الإرشاد الفردي والجمعي أكثر من 50 عاما، وقد نشر حوالي 60 كتابا أشهرها كتابه "العقل والانفعال في العلاج النفسي". كما أنه له أكثر من 700 بحث منشورة في مختلف المجالات العلمية المشهورة، وأهم هذه البحوث بحثه الموسوم بـ "Reason and Emotion In Psychotherapy"، وبحثه الآخر "A Guide to Rational Living".

تلقى تدريبه في البداية على يد التحليليين، ولكنه اختط خطا آخر بعد ذلك ودمج العلاج السلوكي بالإنساني، وخرج بنظريته العقلية الانفعالية التي سنوضح أهم مبادئها وفرضياتها باختصار في العناوين القادمة. وتركز النظرية العقلية الانفعالية على الجانب السلوكي والعقلي، وتقوم فلسفتها على أن التفكير والانفعال والسلوك تتداخل فيما بينها في علاقات السبب والنتيجة المتبادلة.

وتفترض هذه النظرية أن التفكير يقرر السلوك، أي أن المشكلات التي يمر بها الأفراد تُعزى إلى الطريقة التي يفسرون بها الأحداث والمواقف. كما تفترض هذه النظرية أن الناس يولدون ولديهم أفكار عقلانية وأخرى غير عقلانية، وأن الأفكار الغير عقلانية هي الأكثر تأثيرا في سلوكنا. وإذا أردنا التفصيل أكثر في الافتراضات والمسلمات التي تقوم عليها النظرية العقلية الانفعالية وكيف تنظر إلى الإنسان فهي ما يلي:

1- أن التفكير والانفعال يمثلان وجهان لشيء واحد، فلا يمكن النظر إلى أحدهما بمعزل عن الآخر، ويضيف أليس أن هناك بعض الأساليب التي تثير الانفعال، كما أن هناك بعض الأساليب

- التي تساعد على التحكم فيه، ويعتبر التفكير واحد من تلك الأساليب، وأن ما نسميه بالانفعال ما هو إلا نوع بعينه من الفكر الذي يتسم بالتحيز والتطرف.
- 2- أن الإنسان لديه ميل للتفكير بشكل عقلاي وغير عقلاي، فعندما يسلك ويفكر بطريقة عقلانية يكون فعالاً ومنتجاً، وعندما يفكر بطريقة غير عقلانية يشعر بالخوف والقلق وعلى الفرد أن يعمل على تنمية طرق تفكيره العقلانية.
- 3- أن الاضطرابات النفسية التي يعانيها الفرد هي نتاج أفكار ومعتقدات خاطئة وسلبية تشكل البناء المعرفي لديه.
- 4- أن التفكير الغير عقلاي يرجع إلى مرحلة الطفولة وإلى عوامل التنشئة الاجتماعية في الطفولة، وأن للآباء دور في اكتساب الأبناء لهذه الأفكار اللاعقلانية.
- 5- يجب مهاجمة ومحاربة الأفكار اللاعقلانية لدى الفرد من خلال المناقشة والإقناع وتزويده بالأفكار العقلانية والمنطقية.
- 6- يسلك الناس وفقاً لتوقعاتهم عن استجابات الآخرين، وهذا التوقع كعملية معرفية له تأثيره على الاضطراب الانفعالي، حيث إن الأفراد في بعض الأحيان يميلون إلى إعطاء أحكام كاذبة لتلبي رضا الآخرين واستحسانهم.
- 7- يعزو الأفراد مشكلاتهم واضطراباتهم الانفعالية إلى الآخرين وإلى الأحداث الخارجية ومن ثم تكون الاضطرابات الانفعالية لديهم قائمة على إغراءات خاطئة.
- 8- يميل الأفراد إلى استخدام بعض الميكانيزمات الدفاعية ضد أفكارهم وسلوكهم وذلك حفاظاً على ذواتهم، بمعنى أنهم يميلون إلى عدم الاعتراف لأنفسهم أو للآخرين بأن سلوكهم وتفكيرهم خاطئ وأكثر سلبية.

ولكن كيف تنظر النظرية العقلية الانفعالية الاضطرابات الانفعالية؟

- 1- ترى النظرية أننا نتعلم المعتقدات السلبية من الأشخاص الهامين في حياتنا خلال مرحلة الطفولة، وأن تكرارنا لهذه الأفكار يجعلنا نتصرف إزاءها وكأنها مفيدة.
- 2- ترى النظرية أن لوم النفس هو محور الاضطرابات الانفعالية، ومن هنا فإننا إذا أردنا أن نتغلب على العصاب أو اضطرابات الشخصية فإن علينا أن نوقف اللوم لأنفسنا وللآخرين، ومن المهم أن نتعلم كيف نتقبل أنفسنا كما نحن ولا ندعي الكمال.
- 3- يرى إيليس أننا نبالغ في تفضيلاتنا عندما نخاطب أنفسنا بكلمات مثل " يجب علي .." أو " علي

أن أفعل كذا وكذا .."، أو غير ذلك من التعبيرات الشبيهة، لأن هذه الأوامر والطلبات الكبيرة تخلق شعورا بالانزعاج لدى الفرد وكذلك سلوكا غير مقبول.

نظرية الشخصية A-B-C Theory of Personality

تقوم النظرية العقلية الانفعالية على نموذج تعليمي هو نموذج ABC ، فالحرف A (Activating Event)، ويعني الأحداث أو الخبرات المنشطة وهي عادة خبرات مؤلمة وغير سارة مثل خبرة الطلاق أو الفشل أو الموت أو الفصل من العمل. وهذه الخبرات يتم إدراكها في جو غير عقلائي وبذلك تكون خبرة لا عقلانية، وهي في السلوكية أشبه ما تكون بالمثير أو الحدث غير المرغوب فيه والذي يعمل على استثارة الخوف أو القلق لدى الفرد.

أما الحرف B (Beliefs about event) فيعني نسق الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية لدى الفرد، والتي تؤدي إلى إثارة الاضطراب الانفعالي وتدمير وهزيمة الذات، وهي أشبه في السلوكية بالعمليات الوسيطة.

أما الحرف C (Consequences) ، فيقصد به النتيجة الانفعالية أو الاضطرابات الانفعالية لدى الفرد وهي دائما تكون مرتبطة بنسق المعتقدات والأفكار لدى الفرد، فإذا كان نسق المعتقدات غير عقلائي كانت النتيجة هي الاضطراب النفسي كما في حالات القلق والاكتئاب.

وجملة القول أن ليس يرى أن المشاكل الانفعالية والاضطرابات النفسية تنتج عن نسق التفكير لدى الفرد والذي يرمز له بالحرف (B) وأن الحرف (A) وهو المثير أو الخبرة التي يمر بها الفرد ليست هي السبب الرئيس للاضطرابات الانفعالية لديه، فلو افترضنا كما يرى ليس أن حادثة معينة مؤلمة كوفاة أو طلاق أو فشل في الامتحان أو إهانة من شخص (A) قد أثارت استجابات انفعالية كالخوف والقلق (C) ، فإن حدوث الحادثة (A) ليست هي السبب الحقيقي في حدوث الاستجابة الانفعالية (C) ، إنما السبب يكمن في نسق المعتقدات لدى الفرد (B) ، وهذا يعني أن كل استجابة انفعالية سواء كانت سارة وإيجابية أو مؤلمة وسلبية وراءها بناء معرفي ومعتقدات لدى الفرد سابقة لظهور الانفعالات.

وبعد أن وضع إليس هذا النموذج قام باستكماله وطوره حتى أصبح نموذجا جديدا هو (ABCDEF) وتمثل الحروف الثلاثة الجديدة الأسلوب الإرشادي العلاجي الذي ينتهجه إليس مع عملائه.

فالحرف (D) Disputaion يتضمن مفهوم المجادلة والاحتجاج على المعتقدات غير العقلانية والأفكار الخاطئة مما يجعل العميل يتحدى نفسه ويتحدى أفكاره ومعتقداته ويجادلها ويحتج على عدم منطقيتها ثم يغيرها.

وبعبارة موجزة يقوم المرشد بفحص ومهاجمة الأفكار اللاعقلانية والتي هي السبب في الاضطراب النفسي لدى الفرد وتعديلها.

أما الحرف (E) Final new effect تضمن التأثير النهائي الجديد الذي يحققه الفرد نتيجة لتغيير أفكاره واعتقاداته غير العقلانية إلى أفكار صحيحة واعتقادات عقلانية، وبعبارة موجزة أن يقوم المرشد بتغيير الأفكار التي تم مهاجمتها بأفكار عقلانية من خلال تعديل نسق التفكير لدى الفرد وتبنيه فلسفة جديدة.

أما الحرف (F) Feelings فهو يتضمن المشاعر الجديدة التي يشعر بها الفرد بعد أن يصل إلى حالة من الارتياح العام والاستقرار النفسي، وهي الخطوة الأخيرة والتي من خلالها تتغير انفعالات الفرد السلبية إلى انفعالات موجبة، وهو الهدف الرئيس للإرشاد العقلاني الانفعالي.

الأفكار اللاعقلانية التي تؤدي إلى الاضطراب الانفعالي:

هنالك أفكار لاعقلانية تؤدي إلى اضطرابات انفعالية حسبما يرى إليس صاحب النظرية وهي:

- 1- الإلحاح في الاستحسان بأن يعتقد الشخص أنه يجب أن يكون محبوبا ومقبولا من قبل الأشخاص الهامين في حياته.
- 2- التوقعات الذاتية العالية، فيعتقد الشخص أنه يتعين عليه أن يكون كفؤا ومنافسا ومكتملا وقادرا على الإنجاز في كل الميادين الممكنة إذا أراد أن تكون له منزلة اجتماعية، كأن يردد الفرد عبارات مثل: " يجب أن أنجح وأنافس الآخرين لأن الأداء الضعيف يضعني في صف الفاشلين."
- 3- الاعتمادية، فيعتقد الفرد مثلا أن عليه أن يعتمد على الآخرين، وأنه يحتاج إلى شخص أقوى منه في هذا الاعتماد.. كأن يقول لنفسه: "إنني أحتاج إلى آخر أقوى مني وأستطيع الاعتماد عليه في حل مشكلاتي اليومية حيث إنني لا أتمكن من التعامل معها بمفردي.."
- 4- عدم القدرة على التغيير، فيعتقد الشخص أن تاريخ الفرد وقصته السابقة هما اللذان يحددان

- سلوك الفرد الحالي، ذلك لأن ما كان له تأثير كبير في السابق على سلوك الفرد يجب أن يكون له تأثير مماثل، فمثلا يقول الفرد لنفسه: " إن الماضي هو سبب مشكلاتي الحالية، ولذا فإن من الصعوبة بمكان أن أتغير، ولذا فأنا عاجز عن أن أعمل شيئا حيالها."
- 5- السيطرة الانفعالية، فيعتقد الفرد أن شفاء الإنسان ينبع من خارج ذاته، أي من المحيط، لذا فإن الفرد لا يملك إلا القدرة الضئيلة في السيطرة على أحزانه ومتاعبه النفسية، فيقول الشخص مثلا: " إن مشاعري هي نتيجة الأحداث التي أواجهها وكذلك تتسبب من الناس الآخرين، ولكي أكون سعيدا لا بد أن أسيطر على هذه الانفعالات أو أغيرها واضعا حدا للمشكلات التي أواجهها."
- 6- لوم الأشخاص المستهدفين، فيعتقد الفرد أن بعض الناس سفلة وسيئون وحقيرون وعليه يتوجب عقابهم ونبذهم بسبب حقارتهم، فيقول الشخص لنفسه مثلا: " إن الناس يجب أن لا يعملوا أعمالا خاطئة، ومن يعمل ذلك فهو سيء وفساد ويستحق اللوم والإدانة."
- 7- مثالية الشخصية، فيعتقد أن المعتقدات التي تأخذ بها الوجوه المحترمة في البلد أو يتبناها المجتمع يجب أن تكون صحيحة وأن لا تكون مدعاة للتساؤل والتشكيك بصحتها، فيقول الفرد لنفسه مثلا: " إن الناس والعالم الذي نعيش فيه يجب أن يكون عادلا ونزيها، وهذا العالم الذي أريد وأفضل."
- 8- ردود الفعل تجاه الإحباط، فيعتقد الفرد أن الأمور ستكون بمثابة كارثة وذات إزعاج كبير عندما تسير في اتجاهات معاكسة لرغبات الفرد، فيقول مثلا في نفسه: " لا أستطيع أن أوافق الآخرين عندما تتعارض آراؤهم مع آرائي لأنه يجب أن أحصل على ما أريد بسرعة وبسهولة."
- 9- تجنب المشكلات، فيعتقد الشخص أنه من الأسهل تجنب صعوبات الحياة والمسؤوليات الذاتية من أن يواجهها، فيقول مثلا: " من السهل علي تجنب المشكلات بدلا من مواجهتها لأنني لا أستطيع ذلك ولا ينبغي علي فعل ذلك."
- 10- عدم مسايرة القلق، كأن يقول الفرد: " يجب أن أعيش بانسجام دون أن أتعرض لحالات من الألم مدى الحياة."
- 11- الكمال، فيعتقد الشخص بوجود حل كامل ودقيق وحقيقي لمشكلات الإنسان، وإنها لمصيبة كبرى إذا لم يتم العثور على هذا الحل، فيقول الفرد: "هنالك حل كامل وصحيح لكل مشكلة، وعلي أن أجد مثل هذه الحلول."
- 12- القلق والاهتمام الزائد، فيعتقد أنه إذا كان شيئا ما خطرا أو مخيفا حينئذ يتعين عليه أن يولي اهتمامه به وأن يفكر دوما باحتمال حدوثه، كأن يقول لنفسه: " يجب أن أنزعج عندما أواجه بموضوع

غير متأكد منه أو أي موضوع غير متأكد من خطورته، وعلي أن أبحث عن الحلول الممكنة".

13- العناية الزائدة، فيعتقد الشخص أن الإنسان يجب أن ينتابه الانزعاج إزاء المشكلات التي تصيب الناس، كأن يقول الفرد لنفسه: " علي أن أنزعج للمشكلات التي تواجهني وتواجه الآخرين وإلا فإنني إنسان سيء ولا يتفاعل مع الآخرين بدفء".

14- التوهم النفسي، كأن يقول الفرد لنفسه: " عندما أغضب أخاف أن أصبح مجنوناً ويصعب علي بعد ذلك ضبط نفسي، وهذا أمر لا أستطيع تحمله". كأنه يعد لنفسه لاستجابة معينة في حالة الغضب.

والى جانب هذه الأفكار غير المنطقية يؤكد نيلسون 1982 وعبد الستار إبراهيم 1994 على وجود أساليب أخرى من التفكير الخاطيء تؤدي إلى الاضطرابات الانفعالية لدى الأفراد، وفيما يلي أهم أنواع الأساليب الخاطئة في التفكير:

- 1- الاستنتاج الاعتباطي: ويعني وصول الفرد إلى بناء استنتاجات خاطئة في الموقف لعدم وجود بيانات كافية، فمثلا قد يستنتج المراهق أن معلمه يكرهه لمجرد أنه يلفت انتباهه أمام زملائه.
- 2- التجريد الانتقائي: حيث يركز الأفراد على العناصر السلبية في الموقف مع تجاهل العناصر الإيجابية، فقد يشعر المراهق أنه عديم القيمة إذا تحدثت زميلته مع زميل آخر مثلا.
- 3- التعميم المبالغ فيه: حيث يعمم الأفراد أحكامهم من خلال موقف واحد على جميع المواقف والأحداث الأخرى، فإذا فشل الفرد في تحقيق هدف ما لديه قد يعمم ذلك ويقول إنني فاشل. فمثلا ترى الفتاة التي فشلت في خطوبتها مرة واحدة أنها لن تحظى بخطوبة ناجحة بعد اليوم.
- 4- التضخيم والتهويل: وتعني المبالغة في أهمية وتقدير الجوانب والأحداث السلبية والتهويل والتحقير من شأن الأحداث الإيجابية مثل أن يرى الزوج أنه إذا تركته زوجته فإنه سيموت حتما.
- 5- التفكير الأحادي الرؤية: بمعنى التطرف في الأحكام على الأشياء، فالأشياء إما بيضاء أو سوداء، مثل أن يرى الفرد أن الحياة إما أن تكون سعادة كاملة أو تعاسة كاملة ولا يمكن أن تكون من هذا وذاك.

6- التفكير الكوارثي: حيث يفسر الفرد الأمور البسيطة على أنها كارثة ومصيبة مثل أن يقول الفرد لنفسه أنها كارثة إذا رفضت فلانة الزواج مني.

7- التفكير القائم على الحتميات أو الينبغيات Shoulds ، مثل يجب أن أفعل كذا أو ينبغي علي، فالشخص المضطرب انفعاليا يكون غير سعيد لأنه غير قادر على التخلص من أفكاره مثل (يجب،

وينبغي، ويتحتم).

- 8- التفكير القائم على المقارنة: حيث يقارن الأفراد أنفسهم بالآخرين، مثل أن يقول الفرد لنفسه أنا مختلف عنهم أو هم أفضل مستوى علميا مني أو هم أذكى مني.
- 9- التفكير القائم على السلم الزمني: حيث يقصر الفرد تفكيره على فترة زمنية قصيرة من حياته دون مدها إلى فترة أطول وأبعد، مثل أن يقرر التلميذ ترك المدرسة لأن زملائه الذين تركوها مبكرا يكسبون ما لا كثيرا.
- 10- الميل إلى لوم الذات وانتقادها وإدانة الآخرين: فعندما لا تسير الأمور على النحو الذي يريده الفرد يميل إلى التحقير والتقليل من ذاته وإبراز عيوبها ونواقصها، كما يميل إلى اتهام الآخرين ولومهم وإدانتهم، فالطالب الذي يرسب في الامتحان يرجع ذلك إلى قسوة الأستاذ وغير ذلك.

تعريف الإرشاد العقلاني الانفعالي

هو أسلوب أو نظرية من نظريات الإرشاد النفسي تستخدم فنيات معرفية وانفعالية لمساعدة العملاء في التغلب على ما لديهم من أفكار ومعتقدات خاطئة وغير عقلانية والتي يصاحبها اضطراب في سلوك وشخصية الفرد واستبدالها بأفكار ومعتقدات أكثر عقلانية ومنطقية تساعده على التوافق مع المجتمع.

أهداف الإرشاد العقلاني الانفعالي

- 1- الكشف عن الأفكار والمعتقدات الخاطئة وغير المنطقية لدى الأفراد والتي هي المصدر الأساسي لاضطراباته الانفعالية.
- 2- مساعدة العميل في التغلب على الأفكار والمعتقدات الخاطئة التي تسبب له الاضطرابات النفسية واستبدالها بأفكار جديدة أكثر عقلانية ومنطقية، وذلك من خلال مناقشة وتحليل وتفنييد أو دحض الأفكار اللاعقلانية لدى الفرد.
- 3- تزويد الفرد بالمعلومات والأفكار الصحيحة التي تعينه على التوافق في حياته.
- 4- زيادة اهتمام الفرد بنفسه وتقبله لذاته وتقبله للتفكير العلمي والمنطقي.
- 5- مهاجمة الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية لدى الفرد ومساعدته في التوقف عنها.

إجراءات عملية الإرشاد العقلاني الانفعالي:

تتم عملية الإرشاد العقلاني الانفعالي من خلال عدة خطوات هي:

- 1- بناء علاقة إرشادية مهنية بين المرشد والعميل.
- 2- أن يقوم العميل بعرض مشكلته وأعراضه المرضية واستجاباته نحوها وعلى المرشد تحديد ومعرفة الأفكار والمعتقدات غير العقلانية التي توجد لدى العميل، وأن يوضح للعميل العلاقة بين الأفكار غير المنطقية واضطراباته الانفعالية.
- 3- أن يوضح المرشد للعميل أن استمرار الاضطرابات الانفعالية لديه هي بسبب الاستمرار في التفكير الغير عقلاي وليس الأحداث السابقة.
- 4- أن يساعد المرشد العميل على مهاجمة الأفكار اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر عقلانية وذلك من خلال الداعية المضادة والمعارضة المستمرة للمعتقدات والأفكار الخاطئة وكذلك من خلال السخرية والدعابة من هذه الأفكار اللاعقلانية، والإقناع والتشجيع على دحض الأفكار اللاعقلانية واستبدالها بأفكار ومعتقدات أكثر عقلانية.
- 5- مساعدة العميل على تبني فلسفة للحياة أكثر عقلانية بحيث يمكن أن يتحاشى العميل الوقوع ضحية أفكار أخرى غير عقلانية.

استخدامات الإرشاد العقلاني الانفعالي:

يستخدم الإرشاد العقلاني في الحالات العصابية كالقلق والخوف والاكئاب وفي الهستيريا، ويستخدم أيضا مع الجانحين والسيكوباتين، كما يستخدم في حالات وجود خلافات ومشاكل زوجية وأسرية، وكذلك يستخدم مع المشكلات الجنسية وحالات الإدمان.

دور المرشد العقلاني الانفعالي

تتصدر مهمة المرشد العقلاني الانفعالي في الكشف عن الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي يتبناها العميل، ويوضح له أن هذه الأفكار قد أدت به إلى الاضطراب النفسي، ويبين له أن الأفكار والأحاديث التي يقولون بها لأنفسهم والتي تتسم بعدم المنطقية هي التي تساعدهم على الاستمرار في الاضطرابات الانفعالية، ومن ثم يجب على المرشد أن يقوم بمهاجمة هذه الأفكار والمعتقدات المؤذية للذات وتحويلها إلى أفكار أكثر منطقية وعقلانية مستخدما في ذلك العديد من الأساليب والفنيات التي يقوم عليها الإرشاد العقلاني الانفعالي:

أساليب العلاج في النظرية العقلية الانفعالية

يستخدم الإرشاد العقلاني الانفعالي مجموعة من الأساليب المعرفية والانفعالية والسلوكية.

أ- الأساليب المعرفية

وتتضمن الحوار والمناقشة والتحليل للأفكار غير المنطقية واللاعقلانية، ومساعدة العميل على تكوين أفكار منطقية وعقلانية. كما تتضمن الوعي والاستبصار ومراقبة الذات حيث يشجع العميل على التعبير عن نفسه في هدوء وتعليمه بعض الأفكار والعبارات المنطقية فضلا عن تشجيعهم على تغيير سلوكهم وانفعالاتهم ومراقبة سلوكهم واعتراف العميل بأنه يعاني من أفكار خاطئة مما يؤدي ذلك إلى تغيير في الإدراك ورفض الأفكار الخاطئة.

وتتضمن الأساليب المعرفية أيضا وقف الأفكار (Thought Stop) ، وهذا الأسلوب اقترحه باين (

Bain) وروج له وولبي، وفي هذا الأسلوب يطلب من العميل أن يغمض عينيه وأن ينخرط في

أفكاره غير المرغوبة ثم يصرخ المرشد بصوت عال قف ويؤدي ذلك بالعميل إلى وقف الأفكار غير المرغوبة، ويكرر ذلك مرة أخرى، ثم يطلب من العميل أن يقوم بذلك بنفسه بصوت عال وأن يكرر ذلك في المنزل.

ومن الأساليب المعرفية الأخرى التي يستند إليها الإرشاد العقلاني الانفعالي أسلوب التخيلات العقلية

والانفعالية، حيث يطلب من العميل أن يتخيل نفسه في موقف الانفعال المؤلم، فإذا فعل ذلك فإن

المرشد يطلب منه أن يتخيل نفسه وقد غير من هذا الانفعال إلى انفعال أقل في المستوى منه، وفي

كل مرة يسأله المرشد عن شعوره، ثم يعود فيطلب منه أن يحدث نفسه بعبارات تخفف من انفعاله،

وبعد ذلك يطلب منه المرشد أن يكرر ذلك التخيل الانفعالي العقلاني لمدة أسبوع أو أكثر، ويسمى

هذا الأسلوب بالاسترخاء التخيلي الذاتي الموجه Self guided imagery relaxation ويقصد به

مساعدة العميل على تخيل أصعب المواقف التي مر بها مع أصعب الأشخاص الذين تعامل معهم

في حياته وإظهار مشاعره السلبية حول هذه المواقف وهذا الشخص وكأنه يعيش فعلا مع ذلك

الشخص في ذلك الموقف أثناء تخيله هذا معبرا عن كل اضطراباته الانفعالية بسببها ثم يطلب منه أن

يغير هذه المشاعر ويستبدلها بأخرى أقل حدة ليهدأ ثم يسأله عما فعله لتهدئة نفسه حتى وصل إلى

هذه الحالة الأقل توترا مما كان عليه في بداية استرخائه التخيلي.

ب- الأساليب الانفعالية

يستخدم المرشد العقلاني الانفعالي مجموعة من الطرق الانفعالية، وتتمثل في أسلوب التقبل الغير

مشروط للعميل على النحو الذي قرره روجرز في طريقته الإرشادية.

كما يستخدم أيضا أسلوب لعب الدور وقلب الدور، وكذلك أسلوب النمذجة وكذلك يستخدم المرشد أسلوب المرح والدعابة والسخرية من الأفكار اللاعقلانية التي يحملها العميل وبذلك يستطيع المرشد أن يجعل العميل يضحك على أخطائه وتقبل نفسه بكل ما فيها من ضعف.

ج- الأساليب السلوكية

يستخدم المرشد العقلاني الانفعالي مجموعة من الأساليب السلوكية وتتمثل في الواجبات المنزلية، حيث يكلف المرشد العميل ببعض التدريبات المنزلية مثل حصر الأفكار اللاعقلانية التي يؤمن بها العميل ومحاولة تصحيحها وعرض ذلك مرة أخرى على المرشد، أو قراءة بعض الكتب التي تدعو إلى التفكير العلمي. ومن الأساليب السلوكية أيضا التدريب على الاسترخاء وكذلك أسلوب ضبط المثيرات حيث يعلم المرشد في بعض الأحيان العميل على كيفية التحكم في مثيرات معينة مما يجعل احتمالية تصرفاتهم الغير مقبولة قليلة. وبهذا فإن هذا الأسلوب يهدف إلى إعادة بناء الوسط المحيط بالعميل حتى لا يتعرض العميل لأي مثير يحفز على التصرف بشكل غير مقبول، مثل العميل السمين يمكن أن يرشده إلى تجنب أماكن بيع الشوكولاتة. وهناك أسلوب تعزيز المعارف العقلانية بحيث يقوم العميل بمناقشة وتنفيذ أفكاره اللاعقلانية يوميا حتى تصبح العملية شبه آلية، ومن أمثلة هذا التعزيز الإدراكي المعرفي قراءة كتاب معين أو سماع شريط معين أو مشاهدة فيلم حول مبادئ الإرشاد العقلاني الانفعالي وأساليبه.

تقييم طريقة الإرشاد العقلاني الانفعالي

لعل من أهم ما تتميز به هذه النظرية هي كونها مناسبة لمجتمعاتنا حيث تنتشر الأفكار الخرافية واللاعقلانية فضلا عن أنها تسعى للكشف عن الأفكار السلبية التي تسبب الاضطراب النفسي ومهاجمتها فضلا عن أنها تسعى لتغيير الأفكار اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر إيجابية وعقلانية. وعلى الطرف الآخر لقد لقيت هذه النظرية هجوما واعتراضا من بعض علماء النفس حيث يعترض جولد فرايد Gold Fried على أسلوب إليس في مهاجمته الأفكار اللاعقلانية عن طريق الجدل والإقناع، حيث يرى أنه من الأجدى للعميل نفسه أن يقوم بالجدل ليرفض أفكاره، حيث إنه عندما يكون الجدل والإقناع نابعا من الفرد نفسه لهذه الأفكار اللاعقلانية تكون أكثر فاعلية في تغييرها. ويقول باترسون إن طرق الجدل وأساليب المواجهة التي لا تصدر عن العميل نفسه ليست طرق فعالة في تغيير الاتجاهات والأفكار لأنها تلقى مقاومة من جانب العميل، كما أن إليس ليس على وعي أن الجدل والهجوم المباشر على أفكار العميل يمثل تهديدا له ومن شأنه أن يزيد من مقاومة العميل ضد

التغيير ويجعل التغيير صعبا إن لم يكن مستحيلا.

كما يتساءل البعض من العلماء عن المعيار الذي يبني عليه المرشد حكمه على منطقية أو عدم منطقية أفكار العميل، هل هو معيار موضوعي أم غير موضوعي. لا شك أنه معيار شخصي وخاصة أن إليس استبعد جانب الدين من فكره وآرائه حول الشخصية أو الإرشاد.

ومما يؤخذ على هذا النوع من الإرشاد أنه يركز على الجوانب العقلية المعرفية في الشخصية مع إهمال الجوانب الانفعالية، وكأن الأفكار هي التي تولد الانفعالات وتوجهها، في حين هناك آخرون يرون أن الانفعالات هي التي توجه الأفكار.

ومما يؤخذ أيضا على هذه النظرية أنها تركز على الأعراض أكثر مما تركز على جذور المشكلة، فهي لا تتعامل مع اللاشعور وبالتالي تترك المكبوتات.

ويعترض أيضا جيمس بروشاسكا (1984) حيث يقول: لماذا لا تكون الاضطرابات الانفعالية ناتجة عن الأحداث نفسها؟ فهل ضرب الفرد من قبل والديه أو حتى حرمانه من الوالدين أو رفضه من قبل أقرانه أو فشله في المدرسة أقل أهمية في توليد الاضطراب الانفعالي من أفكار الفرد من هذه الأحداث؟! وهل الناس ضحية أفكارهم اللاعقلانية أم ضحية وجودهم في بيئة لاعقلانية تعزز تفكيرهم وانفعالاتهم وسلوكياتهم غير العقلانية. كما أن هذا الإرشاد العقلاني الانفعالي لا يقدم علاجا للعميل بل يقدم له جرعة من المواعظ التي تعيده إلى الطريق المستقيم بعد ضلاله، فهو يمثل نوعا من غسيل المخ.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هذه النظرية لا يصلح استخدامها في علاج المشكلات والاضطرابات العميقة. كما لا تصلح مع ضعاف العقول.

يتبنى أليس إحدى عشرة فكرةً لا عقلانية تنشأ هذه الأفكار دائماً من الحتميات Musts، وهي كالاتي:

التفكير الكلي أو المعلوم	All or non-thinking	إذا لم أتمكن من إنجاز مهمة هامة من المفترض عدم الفشل فيها، فأنا فاشل تماماً.
التركيز على السلبية	Focusing on negative	لا يمكنني تحمل الأشياء الخاطئة التي تحدث معي، ولا أستطيع رؤية العلاج الجيد.
التنبؤ بالحظ	Fortune telling	الناس يسخرون مني بسبب فشلي، وهم يعلمون أنه يجب عليّ النجاح؛ لذلك فسوف يحتقروني للأبد.
عدم تقييم الأفعال الإيجابية	Disqualifying the positive	يوجهون لي المدح على فعل جيد، ويهملون الأفعال الحمقاء التي لا يجب القيام بها.
الكلية والعدمية	Allness and neverness	من المفترض أن تكون شروط العيش جيدة، لكنها سيئة لا يمكن احتمالها، وسنكون على هذا الحال دائماً.
التخفيض والتقليل من الشأن	Minimization	النقاط الجيدة التي حصلت عليها في هذه اللعبة كانت محظوظة، بينما النقاط السلبية غير مغفورة.
التفكير الانفعالي	Emotional reasoning	إنجازي ضعيف للغاية، أنا أشعر أنني مغفل وساذج.
التصنيف والمبالغة في التعميم	Labeling & overgeneralization	كان يجب عليّ ألا أفسل في عمل هام، وقد فشلت فيه، فأنا خاسر وفاشل كبير.
التشخيص	Personalizing	إنني أقوم بأعمال سيئة لا يجب عليّ القيام بها، فهم يسخرون مني بالتأكيد.
التخفيف والكذب	Phonysim	عندما لا أقوم بفعل ما موكل لي فعله، وهم لا يزالون يمدحونني بإطراء، فأنا مزيف.
الكمالية	Perfection	أظن بأنني قمت بالفعل بشكل جيد، لكن أغفلت بعض بعض الأمور، أنا شخص غير كفاء.

الفصل الخامس

النظرية الإنسانية

أولاً: نظرية الذات لكارل روجرز

أساس الشخصية عنده يتمثل في رغبة الإنسان في تحقيق إمكاناته، إنه في الواقع يمتلك شخصية قادرة على التحكم في الذات، أضف إلى ذلك فالفرد يصبح كائناً اجتماعياً بفضل رغباته، وبكيفية لا يتصورها المرء. فلا يوجد وحش في أعماق الإنسان، بل داخل الإنسان يوجد الإنسان. يجعلنا هذا الأمر نفهم بأن طريق العلم والمعرفة لا يقتصر على ما هو فصلي، وإنما الغرض الأساس هو كيف يدمج المتعلم ما تعلمه في المدرسة في وضعيات عدة لمعالجتها والتكيف معها، إن المدرسة بهذا المعنى مجتمع صغير يتعلم فيه الفرد الانسجام وأيضاً التميز والإبداع.

ترجع شهرة روجرز (1902 – 1987) إلى الأسلوب العلاجي غير المباشر الذي أسماه "العلاج المتمركز على العميل Client-centered therapy"، ومن المعلومات التي حصلها روجرز خلال علاجاته تلك، توصله إلى نظرية في الشخصية مفادها أن الإنسان له دافع واحد مهيم، وهذا الدافع هو تحقيق إمكانات وقدرات الإنسان. ومن أبرز الدلائل على أهمية روجرز في علم النفس المعاصر أنه انتخب عام 1946 رئيساً لجمعية علم النفس الأمريكية (APA)، ومن أهم كتبه "العلاج المتمركز على العميل" الصادر سنة 1951، ثم "تكون الشخص" الذي أصدره سنة 1961.

ينتمي روجرز إلى ما يسمى بعلم النفس الإنساني كقوة ثالثة إلى جانب التحليل النفسي والسلوكية؛ يحاول الاهتمام بتنمية القوى والإمكانات الموجودة عند الإنسان، ومن أبرز رواده ماسلو وروجرز. نشأت هذه المدرسة في الخمسينيات من القرن الماضي كرد فعل ضد نظريات السلوكية والطاقة النفسية لأنها خفضتا من قيمة إنسانية الإنسان، فالفرويدية يتم نقدها، لاعتقادها بأن السلوك محكوم بدوافع فطرية حيوانية، ويتم نقد السلوكية لانشغالها بالبحث في عالم الحيوان وبوجهات نظرها الميكانيكية في الشخصية.

ومعلوم أن القائلين بنظرية تحقيق الذات كثر، يستلهمون آراء روسو في خيرية الطبيعة الإنسانية ونبهها، ولهذا راحوا يركزون أبحاثهم على الطرق التي تسهل تحقيق الذات وتوفر الحرية

للمنمو والتعبير عن القوى الذاتية، ورأوا أن عدم الاستواء النفسي يحدث عندما تقف العوائق والمشكلات أمام السعي والتقدم للتعبير عن المنازع الطبيعية، وقد اتجه ماسلو Maslow إلى التركيز على قوانا الداخلية الفريدة، أما روجرز فاهتم بالعوائق التي تعترض سبيل تحقيق الذات.

المفاهيم الأساسية لهذه النظرية:

تحقيق الذات وبناء الشخصية:

اشتق روجرز نظريته "تحقيق الذات" من خلال دراساته على الأسوياء وعلى المرضى (علاجاته الممركزة على العميل)، وهذه التسمية تمثل جزءا من رأيه في الشخصية الإنسانية، حيث يضع مسؤولية التغيير على عاتق العميل (المسترشد) أكثر من وضعها على عاتق المعالج (كما تفعل مدرسة التحليل النفسي)، ويفترض روجرز أن الإنسان يستطيع شعوريا وعقلانيا أن يتحكم في نفسه، وأن يتحول من الأساليب غير المرغوبة في الفكر والسلوك إلى الأساليب المرغوبة، وهو لا يعتقد أن الناس محكومون بالقوى اللاشعورية، أو بخبرات الطفولة المبكرة، ذلك أن الشخصية في نظره تتشكل بأحداث الحاضر وبرؤيتنا لهذه الأحداث.

بالنسبة للعلاج المعقود على العميل، فهو نظام للعلاج النفسي يقوم على أساس الافتراض القائل بأن الفرد أو العميل هو الأقدر على حل مشكلاته، وأن على المعالج أن يخلق جوا علاجيا يتسم بالدفء والتسامح، بحيث يشعر المريض بالحرية في مناقشة مشكلاته، مما يمكنه من الاستبصار بها، وفي العلاج الممركز على العميل يقوم المعالج بدور غير مباشر، ولا يتدخل إلا بالتشجيع والتعليقات البسيطة على ما يرويه العميل. جدير بالإشارة أن روجرز طور نظريته في الشخصية من خلال عمله العلاجي مع المرضى النفسيين، وأكد أنه بإمكاننا أن نتعرف ونختار اتجاهاتنا الصحيحة في الحياة من خلال تجاربنا، وقد سمى مدخله العلاجي في بداية الأمر بالعلاج الممركز حول العميل، ولكنه وسع في نظريته لاحقا ليؤكد جوانب غير إكلينيكية للمريض من حيث إشراكه لوالديه والتربية والعلاقات الشخصية في تشكيل شخصية الفرد، لذا غير اتجاهه نحو مسمى أكثر اتساعا، وهو العلاج الممركز حول الشخص. (person-centered therapy).

تدور أبحاث روجرز حول تنمية شخصية الإنسان، والشخصية هي تكامل جميع المميزات الفردية في منظومة فريدة تحدد محاولات الفرد للتكيف مع محيط متغير باستمرار وتحدد بها، والكلمة المفتاح الأولى في مفهوم الشخصية هي تفرد الفرد، أما الثانية فهي ثبات أو ديمومة سمات

الشخصية ومميزاتها عبر الزمان والأحوال. تتلخص نظرية روجرز في الشخصية بما دعاه بمفهوم الذات، وعرفه بأنه مجموعة معتقدات الشخص عن طبيعته وصفاته الفريدة وسلوكه النمطي، وتتضمن الذات إجابة عن سؤالين: من أنا؟ ما الذي أقدر عليه؟ إن الذات "تكوين معرفي منظم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً، حيث يتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المحددة لكيونته الداخلية والخارجية.

يعتقد روجرز أن القوة الدافعة الأساسية عند الإنسان هي تحقيق الذات، ورغم أن الدافع نحو تحقيق الذات فطري، إلا أن التعلم والخبرات التي يتعرض لها الفرد تؤثر على هذا الدافع، وعلاقة الطفل بأمه علاقة مهمة، لأن من شأنها أن تؤثر على الشعور بالذات، وعندما ترضي الأم حاجة الطفل إلى الحب والتي يسميها روجرز بالاهتمام الإيجابي، فإن الطفل ينشأ غالباً على شخصية سوية. بتعبير آخر إن ميل الفرد لتحقيق الذات تعمل بانسجام لإشباع قدراته الفطرية، إذ يتطلب ذلك دعماً بشكل إيجابي من المربين واهتماماً بالطفل خلال مراحل نموه المختلفة، من خلال تقديم طرق توجيهه من الآخرين (الوالدين، المربين) الذين يستطيعون إشباع هذه الحاجات الملحة.

تؤكد نظرية الذات عند روجرز على أن أساس الشخصية يتمثل في رغبة الإنسان في تحقيق إمكاناته، يقول: " يتضح بأن الفرد يفصح عن حقيقته بإخضاعه للعلاج. فهو في المقام الأول جسم بشري بكل ما يعنيه ذلك من مظاهر الغنى المرتبطة بهذا الوضع. إنه في الواقع يمتلك شخصية قادرة على التحكم في الذات، أضف إلى ذلك فالفرد يصبح كائن اجتماعياً بفضل رغباته، وبكيفية لا يتصورها المرء. فلا يوجد وحش في أعماق الإنسان، بل عوض ذلك نقول: يوجد الإنسان داخل الإنسان وهذا ما استطعنا أن نتوصل إليه وثبتت صحته، وغير بعيد عن ذلك يقول: "رغم وجود اتجاهات مختلفة في الثقافة الغربية، إلا أنها تؤكد على أهمية الأفراد. وما يؤكد ذلك، هو أن فلسفة التربية على حقوق الإنسان والحق في أن يقرر الإنسان مصيره بنفسه هي العناصر التي يتم التنصيص على التقيد به.

يعني التحقيق الكامل للشخصية أن يعيش الأفراد في توافق تام مع أنفسهم ومع الآخرين، لكن التحقيق الكامل لهذه الإمكانيات يعتمد على الجو الذي يعيش الفرد في ظله، ويأمل روجرز أن يعكس هذا الجو تقبلاً إيجابياً غير مشروط، يحظى فيه الأفراد بالقيمة والاحترام والحب لما هم عليه بالفعل، وليس لشيء آخر. وقد وجد روجرز لسوء الحظ أن معظم الناس يربون فيما يبدو في جو قوامه التقبل الإيجابي المشروط، حيث يعطى القبول من أجل أنواع معينة من السلوك وليس من

أجلها جميعا؛ فعندما تجعل الأم بذل الحب لطفلها مشروطا بما ينتهجه من سلوك لائق، فإن الطفل سوف يتدخل اتجاه الأم، ويكون ما اسماه روجرز "إشراطات الجدارة" condition of worth، وفي هذا الموقف يشعر الطفل بذاته في ظل شروط معينة، ويحاول أن يتجنب تلك التصرفات التي تؤدي إلى غضب الأم أو عدم رضاها، ونتيجة لهذا كله فيما يرى روجرز، فإن الذات لا يسمح لها بالنمو الكامل، لأنه لا يتاح لها بالتعبير عن كل مظاهر جوانبه.

فحنان الوالدين ومحبتهم لا تكون إلا إذا تصرف الطفل ضمن شروط معينة، وهذا ما يجعله يقوم بمراجعة مشاعره الحقيقية لكي يكون كما يريد له الآخرون أن يكون، فتتكون له مشاعر زائفة تحل محل مشاعره الأصلية، وعندما يضطر الطفل إلى المزيد من المراجعات بقيم توحى من الآخرين، يتزايد الصراع وخداع الذات، فيصبح الفرد عنيفا قلقا مهددا وغير آمن، ولهذا يقترح روجرز في أسلوبه العلاجي النفسي مساعدة الشخص على إعادة تنظيم خبراته بعد فحصها وحذف ما لا ينسجم مع مفهومه لذاته في أجواء آمنة تيسر هذه المراجعة لمفهوم الذات وهضم الخبرات المتصارعة معها.

يمكن القول إذن، أن الذين يعيشون الذات بدقة بما فيها من تفصيلات وقدرات وتخيلات ونواقص يكونون في طريقهم الصحيح إلى تحقيق الذات، أما الذين تنتشوه خبراتهم عن أنفسهم فإن نموهم يعاق . هدف تحقيق الذات في نظر روجرز هو الوصول إلى أعلى مستوى للصحة النفسية، وهي حالة يسميها "كمال الوظيفة"، والفرد كامل الوظيفة يتميز بالانفتاح على كل الخبرات والتجارب، ويميل إلى أن يعيش في كل لحظة من وجوده، كما يتميز بإحساس بالحرية في الفكر والعمل، هذا إلى جانب قدر كبير من الابتكارية في هذا الصدد يقول: "أنا متيقن بأن الشخص قادر على اكتشاف مدى ثقته في اعتقاداته وأفكاره الخاصة، فضلا عن ردود أفعاله، وفي نفس الوقت يكتشف بأن دوافعه الأساسية والعميقة ليست هدامة أو كارثية. إلى جانب ذلك، فهو في حاجة إلى مواجهة الحياة بناء على قدراته الذاتية وعلى أساس قاعدة متينة. فبقدر ما يتعلم الثقة في نفسه بشكل أصيل، يغدو أكثر قدرة على الثقة في الآخرين: زوجته وابنه. علاوة على قبول المعتقدات والقيم الخاصة والفريدة التي يؤمن بها أولئك الأشخاص.

بنى روجرز نظريته "تحقيق الذات" من خلال عدة مفاهيمية قوية نذكر منها:

- مفهوم الكائن العضوي الذي هو الفرد ككل.
- مفهوم المجال الظاهري الذي هو مجموع الخبرات الفردية أو الخبرة في كلياتها وليس في جزئياتها.
- مفهوم الذات، وهي ذلك الجزء من المجال الظاهري الذي يتكون من مركب من الإدراكات والقيم المتعلقة بالذات أو الأنا أو الفرد كمصدر للخبرة والتصرف.

ويتميز الكائن العضوي في رأي هذه النظرية بالخصائص التالية:

- أنه يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري لإشباع حاجاته المختلفة.
- إن الدافع الأساسي لهذا الكائن العضوي هو تحقيق ذاته وصيانتها والرقى بها.
- إما أن يتمثل خبرته تمثلاً رمزياً فتصبح شعورية، وإما أن ينكر على نفسه هذا التمثل فتبقى الخبرة لاشعورية، أو أن يتجاهل هذه الخبرة.

وتشمل مدركات الفرد ما يلي:

- المدركات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائياً وسلوكياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو، ويطلق على هذا مفهوم الذات المدركة (الواقعية).
- المدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد بأن الآخرين في المجتمع يتصورونها، ويتمثلها الفرد خلال تفاعله الاجتماعي وعلاقاته مع الآخرين، ويطلق على هذا مفهوم الذات الاجتماعية.
- المدركات والتصورات التي تحدد المثالية للشخص أي ما يرغب أن يكون عليه، وهذا هو مفهوم الذات المثالية.

ثانياً: الصحة النفسية في نظرية روجرز:

يرى روجرز أن تحقيق الفرد للصحة النفسية يعتمد على مدى تطابق ذاته الواقعية مع ذاته المثالية، وعلى مدى تطابق خبراته الذاتية مع الواقع الخارجي، فكلما أحدث الفرد انسجاماً (قدرة على التعامل مع الواقع) بين ذاته وبين المحيط الخارجي، كلما أصبح أكثر تكيفاً وارتزاناً في سلوكه. تبعا لذلك، من الممكن تغيير شخصية الفرد عن طريق تغيير مدركاته أي مفهومه لذاته. في هذا الصدد، من المفيد الإشارة إلى أن الخبرة بصفتها كل ما يقع في نطاق الوعي والشعور هي الركيزة التي تبنى عليها الشخصية، حيث بالخبرة التي يكتسبها الإنسان في مسيرة الحياة، وبالقوى الفطرية التي ولد مزودا بها، يبدأ في تكوين مفهوم عن ذاته، ويظل يناضل ليحافظ على هذا المفهوم.

إذا كان الفرد يظن في نفسه أنه ذكي فسيسعى لأن يكون باستمرار في مستوى هذه الصورة، وإذا كان يعتقد أنه رياضي فسيظل يجد لتحقيق هذه الصورة، إنه الاجتهاد من أجل تحقيق الذات، وعندما يتناغم مفهوم الفرد لذاته مع قابلياته الموروثة، فإنه يغتني ويقرر لنفسه ما الذي يتمنى أن يفعله، وما الذي يتمنى أن يكونه بالرغم من أنه قد لا يتطابق في ذلك مع من يحيطون به. بيد أن الفرد يصبح أكثر اكتمالا إذا ما نشأ في جو إيجابي غير مشروط، أي أن يعامل بشفقة واحترام وقبول ومحبة بصرف النظر عن مشاعره واتجاهاته ومسالكه الخاصة.

أسباب نمو السلوك المضطرب هي:

- عدم التطابق بين العالم الشخصي (العالم كما يدركه الفرد) والعالم الخارجي (العالم كما هو).
- عدم التطابق بين الذات المدركة (الواقعية) والذات المثالية.
- الصراع بين الذات والكائن العضوي، فيشعر الفرد بأنه مهدد وقلق، ويصف روجرز الشخصية الإنسانية بأثنين وعشرين قضية نورد بعضها منها:
- يوجد كل فرد في عالم دائم التغير من الخبرة، وهو مركز هذا العالم.
- للشخص نزعة واحدة وهي أن يكافح لتحقيق الكائن الحي الذي يحيا الخبرة ليحافظ على نفسه ويزيد من قيمتها.
- أفضل موقع لفهم التصرف هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه.
- يعبر الفرد عن خبراته رمزيا أو يتجاهلها أو يشوهها عندما لا تتفق مع بنية ذاته.

- تتكون بنية الذات نتيجة للتفاعل مع البيئة وخاصة التفاعل اليومي مع الآخرين.
- يراجع الفرد نظامه القيمي بشكل دوري في ضوء إدراكه للمزيد من الخبرات ومدى تقبله لها في بنية الذات لديه.
- نمو الذات يساعد الفرد على مواجهة مواقف الحياة اليومية الصعبة.

يتأسس الإرشاد النفسي عند روجرز على خطوات، يقول: ” دعوني أشرح ما أقصده بقولي إن الهدف الذي يستهدفه الفرد، ويعتبره أجدر من غيره، وكذا الغاية التي يسعى إليها عن علم أو لاشعوريا، هي أن يصبح هو نفسه، بمعنى يتطابق مع ذاته. فعندما يقصدني شخص مضطرب بفعل تظافر مجموعة من الصعوبات، أجد بأنه من المفيد جدا أن أحاول بناء علاقة معه، والتي من خلالها يشعر بالأمان والحرية. إن هدفي من ذلك هو فهم الطريقة التي يفكر بها داخل عالمه الخاص الداخلي، كما أنني أعمل على تقبله كما هو، وأن أخلق مناخا مناسباً للحرية، والذي يستطيع عبره أن يصل بتفكيره وشعوره ووجوده في جميع الاتجاهات. نلخص ذلك فيما يلي:

- **الاستكشاف والاستطلاع:** أي تعرف مصادر قلق المسترشد وتوتره، وتحديد الجوانب السلبية والإيجابية في شخصيته لتوظيفها في تحقيق أهدافه.
 - **توضيح وتحقيق القيم:** يساعد المرشد المسترشد في زيادة فهمه وإدراكه لقيمه الحقيقية بهدف تعرف التناقض فيما بينها، والكشف عن أسباب التوتر الناجم عن اختلاف قيمه عن الواقع.
 - **المكافأة وتعزيز الاستجابات:** يوضح المرشد مدى التقدم أو التغير الإيجابي ويقويه لدى المسترشد كخطوة أولية للتغلب على مشكلاته الانفعالية.
- وكل نظرية، فأطروحة روجرز في بناء الشخصية لها إيجابيات، وتعثرها سلبيات:

إيجابيات تصور روجرز ونظريته:

- تحترم الإنسان وإرادته وتنتظر إليه نظرة إيجابية، وأنه مدفوع بدافع داخلي للمحافظة على نفسه وتطويرها على العكس من النظرة السلبية لفرويد.
- تتناسب مع الأسلوب الديمقراطي في الحياة.
- علاجها سريع إذا ما قورن بالمدرسة التحليلية كما أنها سهلة وبالإمكان تعلم

- طريقته العلاجية.
- تعمل على توفير مناخ نفسي آمن يساعد العميل على البوح بمكنوناته. يقول روجرز: " في حالة علاقة آمنة وسليمة مع العميل الذي يكون العلاج معقودا عليه، وفي حالة غياب أي تهديد فعلي أو ضمني للذات، فبمقدوره الإفصاح عن المظاهر المختلفة لتجربته كما يشعر ويحس بها في الواقع، وكما يفهمها عبر أجهزته الحسية والباطنية وذلك دون تشويهاها أو المساس بها، بشكل يجعلها متلائمة مع مفهوم الذات الحالية.
- تؤكد على ضرورة معرفة توجهات العميل الإنسانية والفكرية والعامة قبل العمل معه على مستوى المشاعر والخبرات.

سلبيات النظرية:

- تهمل عملية التشخيص، رغم إجماع معظم طرق الإرشاد على أهميتها.
 - تراعي الإنسان على حساب العلم والحقيقة، إذ إن الفرد هو مصدر المعلومات الوحيد، والمهم هنا هو كيف يرى العميل المشكلة لا كما هي حقيقة.
 - تترك العنان للمسترشد، مما قد يدفعه إلى الغوص في دوامات ومتاهات ولا يصل إلى حل محدد.
- لا أحد يجادل في كون تصور روجرز المعروف بتحقيق الذات ينتمي إلى ما يسمى بعلم النفس الإنساني كقوة ثالثة تهتم بتنمية القوى والإمكانات الموجودة عند الإنسان بعد التحليل النفسي والسلوكية؛ وكرد فعل ضدهما لأنهما خفضتا من قيمة إنسانية الإنسان؛ فالتحليل النفسي الفرويدي انتقد لاعتقاده بأن السلوك محكوم بدوافع فطرية حيوانية، وتنتقد السلوكية لانشغالها بالبحث في عالم الحيوان وبوجهات نظرها الميكانيكية في الشخصية، في حين تركز نظرية روجرز حول الشخصية على الطرق التي تسهل تحقيق الذات وتوفير الحرية للنمو والتعبير عن القوى الذاتية، نحن إذن أمام تفكير يحاول إعادة الاعتبار للإنسان بعدما تم تجريده من خصائصه مع الفرودية والسلوكية. بجانب ذلك تكمن قيمة تصور روجرز في كونه باشر تحليلا لشخصية الإنسان بطريقة علمية والدليل على ذلك هو اعتماده على العلاج المتمركز حول العميل، ولكنه وسع في نظريته لاحقا ليؤكد جوانب غير إكلينيكية للمريض من حيث إشراكه لوالديه والتربية والعلاقات الشخصية في تشكيل شخصية الفرد، لذا غير اتجاهه نحو مسمى أكثر اتساعا، وهو العلاج المتمركز حول الشخص. ونتيجة لذلك باتت نظريته تعتمد في الطب النفسي لفعاليتها على مستوى الصحة النفسية والحد من أسباب السلوك

المضطرب؛ فالفرد يصبح أكثر اكتمالا إذا ما نشأ في جو إيجابي غير مشروط، أي أن يعامل بدفء واحترام وصقوبول ومحبة بصرف النظر عن مشاعره واتجاهاته ومسالكه الخاصة...

مميزات نظرية روجرز:

- تحترم الإنسان وإرادته وتتنظر إليه نظرة إيجابية، وأنه مدفوع بدافع داخلي للمحافظة على نفسه وتطويرها على العكس من النظرة السلبية لفرويد. بالنسبة للعلاج المعقود على العميل، فهو نظام للعلاج النفسي يقوم على أساس الافتراض القائل بأن الفرد أو العميل هو الأقدر على حل مشكلاته، وأن على المعالج أن يخلق جوا علاجيا يتسم بالدفء والتسامح، بحيث يشعر المريض بالحرية في مناقشة مشكلاته، ويقوم المعالج بدور غير مباشر، ولا يتدخل إلا بالتشجيع والتعليقات البسيطة على ما يرويه العميل، هذه المسألة تسهم في فهم لم تركز التربية الحديثة على محوريتة المتعلم في بناء معارفه بنفسه على غرار العميل والمسترشد الذي يستطيع تحمل مسؤولية في حل مشكلاته.
- تتناسب مع الأسلوب الديمقراطي في الحياة، وبالتالي تتعامل مع خصوصية كل حالة على حدة، ومن ثم تفيد في الاهتمام بمسألة الفروق الفردية بين المتعلمين تربويا وكذا الذكاءات المتعددة.
- تؤكد على ضرورة معرفة توجهات العميل الإنسانية والفكرية والعامة قبل العمل معه على مستوى المشاعر والخبرات. في هذا المستوى تفيدنا نظرية روجرز في الاهتمام بتمثلات المتعلمين لا لمحاربتهم ولكن للاشتغال عليها من أجل بناء معرفة جديدة من مكتسباته، فالقطيعة لا تمارس مع الفراغ ولكن مع ما يعرفه التلميذ، ومنه تكون المعارف الجديدة على صلة حية بمعيشة التلميذ. إن ميول الفرد لتحقيق الذات تعمل بانسجام لإشباع قدراته الفطرية، إذ يتطلب ذلك دعما بشكل إيجابي من المربين واهتماما بالطفل خلال مراحل نموه المختلفة، من خلال تقديم طرق توجيهه من الآخرين (الوالدين، المربين) الذين يستطيعون إشباع هذه الحاجات الملحة.
- تتكون بنية الذات عند روجرز نتيجة للتفاعل مع البيئة وخاصة التفاعل اليومي مع الآخرين. وبالتالي يراجع الفرد نظامه القيمي بشكل دوري في ضوء إدراكه للمزيد من الخبرات ومدى تقبله لها في بنية الذات لديه. فينتج عن ذلك أن الفرد يستطيع مواجهة مواقف الحياة اليومية الصعبة. تربويا هذه المسألة تجعلنا نفهم بأن طريق العلم والمعرفة لا

يقتصر على ما هو فصلي، وإنما الغرض الأساس هو كيف يدمج المتعلم ما تعلمه في المدرسة في وضعيات عدة لمعالجتها والتكيف معها، إن المدرسة بهذا المعنى مجتمع صغير يتعلم فيه الفرد الانسجام وأيضا التميز والإبداع. يفترض أن تلعب القيم في المدرسة دور المحفز المسرع للتعلّيمات، لأنها تعطي معنى للمدرسة وللتعلّيمات ذاتها، ناهيك عن وظيفتها المجتمعية، بحيث تتيح قيم المواطنة وحقوق الإنسان الرفع من قدرات المتعلم، وخصوصا منها السوسيو-وجدانية، إعداده ليتقبل التعايش مع الآخرين ويتسامح إزاء الاختلاف وينخرط في العمل الاجتماعي التضامني الهادف.

ثانياً: نظرية الشخصية لابراهيم ماسلو

(احتياجات الإنسان)

طوال تاريخ علم النفس، صاغ العديد من علماء النفس نظريات الشخصية. أحد هؤلاء المعروفين هو أبراهام ماسلو، إلى جانب كارل روجرز، لكونهما أكبر دعاة لما يُعرف بالقوة الثالثة في علم النفس، الإنسانية. نشأ هذا التيار في مواجهة التحليل النفسي والسلوكية، على عكس هذه المدارس، ترى الإنسانية الشخص من رؤية شاملة وإيجابية، حيث ينصب التركيز على التجربة الذاتية للموضوع. أي أن الناس كائنات نشطة ولديهم القدرة على التطور، وتكمن غريزتهم الأساسية وكرامتهم في ثقتهم بأنفسهم.

من هو ابراهام ماسلو

كان أبراهام ماسلو عالمًا نفسيًا أمريكيًا ولد في بروكلين (نيويورك) في 1 أبريل 1908. ان والديه يهودًا غير أرثوذكس من روسيا جاءوا إلى أرض الفرص على أمل مستقبل أفضل لأطفالهم. لم يكن أبراهام ماسلو أبدًا رجلاً اجتماعيًا جدًا، وعندما كان طفلاً، لجأ إلى الكتب.

قبل أن يصبح مهتمًا بعلم النفس، درس القانون لأول مرة في كلية مدينة نيويورك (CCNY). بعد الزواج من بيرتا جودمان، ابنة عمه الأكبر، انتقل إلى ويسكونسن لحضور كلية ويسكونسن. هنا بدأ دراسة علم النفس. عمل مع هاري هارلو المشهور بتجاربه على صغار القرود وسلوك التعلق. بعد تخرجه وحصوله على الدكتوراه في هذا التخصص، عاد إلى نيويورك للعمل مع E.L. Thorndike في جامعة كولومبيا، حيث أصبح مهتمًا بأبحاث الجنس البشري. في هذه الفترة من حياته، بدأ التدريس في كلية بروكلين وتواصل مع العديد من علماء النفس الأوروبيين الذين قدموا إلى الولايات المتحدة، على سبيل المثال، Adler أو Fromm.

يضيف ماسلو إلى نظرية روجرز مفهومه للاحتياجات. تدور نظرية عالم النفس هذا حول جانبين أساسيين: احتياجاتنا وخبراتنا. بعبارة أخرى، ما الذي يحفزنا وما نسعى إليه طوال الحياة وما يحدث لنا على هذا الطريق، ما الذي نعيشه. هذا هو المكان الذي تتشكل فيه شخصيتنا.

نظرية الشخصية لماسلو لها مستويين. أحدهما بيولوجي، الاحتياجات التي لدينا جميعاً والآخر أكثر شخصية، وهي تلك الاحتياجات التي لديهم والتي هي نتيجة لرغباتنا والتجارب التي نعيشها. قطعاً، يرتبط ماسلو بمفهوم تحقيق الذات، لأنه يتحدث في نظريته عن الاحتياجات التي يتعين على الناس تطويرها من أجل السعي وراء أقصى إمكاناتنا. ووفقاً لذلك، فإن لدى الناس رغبة فطرية في تحقيق الذات، وأن يكونوا كما يريدون، ولديهم القدرة على متابعة أهدافهم باستقلالية وحرية. بطريقة ما، فإن الطريقة التي يتعامل بها الفرد مع إدراكه الذاتي سوف تتوافق مع نوع الشخصية التي يتجلى في حياته اليومية. هذا يعني أن الشخصية عند ماسلو ترتبط بالجوانب التحفيزية التي لها علاقة بالأهداف والمواقف التي يمر بها كل إنسان؛ إنه ليس شيئاً ثابتاً يبقى داخل رؤوس الناس ويتجلى بشكل أحادي الاتجاه، من الداخل إلى الخارج، كما يمكن أن تنتقده بعض المفاهيم الاختزالية والحتمية لهذه الظاهرة النفسي، لذلك نجد أن الشخصية المحققة ذاتياً تلبى احتياجات تحقيق الذات، لكن القليل من الناس يفعل ذلك. فالأشخاص الذين يلبون احتياجات تحقيق الذات هم أشخاص محققون لأنفسهم. ويؤكد ماسلو أن أقل من 1% من السكان ينتمون إلى هذه الفئة من الأفراد.

يتميز الأشخاص المحققون لذواتهم بما يلي:

- يظهرون درجة عالية من القبول لأنفسهم
- إنهم يرون الواقع بشكل أكثر وضوحاً وموضوعية
- هم أكثر عفوية
- يعتقدون أن أسباب المشاكل خارجية
- يستمتعون بالعزلة
- لديهم عقلية فضولية وخلاقة
- يستمتعون بتجارب الذروة
- يولدون أفكاراً حقيقية
- لديهم روح الدعابة

• لديهم روح نقدية عظيمة وتحكمهم القيم الأخلاقية

• هم محترمون ومتواضعون

• إنهم متسامحون ولا يصدرون أحكامًا ويتمتعون بحضور الآخرين

اشتهر ماسلو بنظرية هرم الاحتياجات لأنه ، حسب قوله، تتبع الاحتياجات تسلسلاً هرمياً ، من الأساسي إلى الأكثر تعقيداً ، وهرمها مبني على خمسة مستويات.

ويجب تلبية الاحتياجات من أجل التطلع إلى المستوى الأعلى. على سبيل المثال، إذا لم تكن لدينا الاحتياجات الفسيولوجية مغطاة، فلا يمكننا أن نطمح إلى احتياجات الانتماء. في المستوى الأعلى توجد احتياجات تحقيق الذات. هذا التسلسل الهرمي هو الذي حدد وفقاً لماسلو الطريقة التي تتكيف بها الشخصية مع الظروف، اعتماداً على كل موقف مرتبط به. أي أن مفهوم الشخصية يشمل جوانب نفسية واسعة النطاق ويتجاوز المقاربة السيكومترية التي سادت في وقتها.



نظرية التدرج الهرمي لماسلو

إن نظرية الحاجات لماسلو تهدف لتحقيق هدفين ، فهي تصنف الحاجات الأساسية في سلسلة من ناحية وتربط هذه الحاجات بالسلوك العام للفرد من ناحية ثانية .

المستويات الخمسة للحاجات هي:

- **الحاجات الفسيولوجية:** وهي الحاجات التي ترتبط ارتباطا مباشرا ببقاء الفرد مثل الطعام والشراب والتزواج. وكيف لنا أن نرضى هذه الدوافع دون مال نكسبه من عمل نؤديه. هنا ترتبط الدوافع الفسيولوجية بدافعية
- **حاجات الأمن:** وهي الحاجة إلى الاستقرار والمادية والتحرر من الخوف والقلق وعندما ترضى هذه الحاجات يشعر الفرد أنه يعيش آمنا مطمئنا في سكونية في بيئة متحررة من أسباب الخوف والخطر وكيف لنا أن نرضى هذه الدافع الأمني إن لم يكن لنا عمل نتعيش منه.
- **حاجات الحب والانتماء:** وهي حاجة الإنسان إلى حب الآخرين والانتماء إلى جماعة ينضوي تحت لوائها وإلا يشعر بالوحدة والخواء النفسي وانه يعيش في صحراء جرداء أو جزيرة منعزلة ولا شك أن لعمل يشبع كذلك هذه الحاجة من انتماء إلى جماعة عمل أو مؤسسة صناعية ويشعر الإنسان حيالها بالحب والانتماء.
- **حاجات التقدير:** إنه ل ذو حظ عظيم ذلك أوتى المستويات الثلاثة السابقة من سلم الحاجات لقد ارضي الأصعدة الثلاثة الفسيولوجية والأمنية والعاطفية فهل من مزيد؟ نعم تلح عليه الحاجة إلى التقدير سواء تقديره لنفسه أو تقدير الآخرين له ولا شك أن أداء العمل بهمة وكفاءة وإتقان فيه إشعار للمرء بهذه الحاجة إلى التقدير.
- **حاجات تحقيق الذات:** هي قمة الإرضاءات الإنسانية حيث يحقق الفرد ذاته ويؤكد هويته وهل هناك أقوى من العمل كمجال لتحقيق الذات وإثبات وجودها. ويمكن توضيح هذه الحاجات من خلال التنظيم الهرمي للحاجات:

الفصل السادس

النظرية الإجتماعية

نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا

إن نظرية التعلم الاجتماعي عند باندورا ما هي إلا نوع من المزج والتأليف بين نظرية التعزيز السلوكية وعلم النفس المعرفي الغرضي. ونظرية باندورا تستند إلى بحوث مكثفة أجريت على السلوك الإنساني. تسمى نظرية باندورا بنظرية التعلم الاجتماعي حيث ركز باندورا في هذه النظرية على التقليد وهو : ملاحظة نموذج معين ثم تقليد سلوكه ويصعب حصر هذا النموذج في شخص معين. وتستخدم نظرية التعلم الاجتماعي المصطلحات السلوكية والإنسانية لكي تشرح الوظائف السيكلوجية على أساس من التفاعل المتبادل المستمر بين المحددات الشخصية والمحددات البيئية وتؤثر البيئة في السلوك لكن سلوك الفرد بدوره يحدد جزئياً بيئته، فالناس لا يستجيبون ببساطة للمثيرات كما هي وذلك لأنهم يستجيبون لها كما يفسرونها.

ويرى باندورا ان عملية التعلم الاجتماعي تتكون من جزأين هما:

- 1- وجود قذوة وملاحظتها وتقليد سلوكها.
 - 2- النظام النفسي للفرد (مفهوم الفرد عن قدراته).
- ومن هنا نجد أن نظرية باندورا تركز أساساً على التقليد والتعلم بالملاحظة لنموذج معين وكذلك إحساس الفرد وقدرته على الإنجاز .

تحدث باندورا عن النظام النفسي للفرد وهو مفهوم الفرد عن قدرته على الإنجاز أو عدم الإنجاز . والمفهوم الإيجابي في نظر باندورا هو معرفة الفرد بأنه قادر على شيء معين وبالتالي هذا المفهوم يعمل كمعزز ذاتي. ويرى باندورا أن هناك ما يسميه المعزز التلقائي وهو الإثابة التي يراها الفرد تعطى للقذوة التي أمامه نتيجة قيامه بسلوك معين وإنجازه لهذا السلوك وهذا التعزيز إيجابي. ويتحدث باندورا في نظريته عن السلوك الإنساني فيعتقد انه إلى الحتمية التبادلية التي تتضمن عوامل (بيئية ومعرفية وسلوكية).

ونظرية التعلم الاجتماعي لا تناول مجموعة من مبادئ التعلم المعروفة فحسب ولكنها تضيف إليها عدة مبادئ جديدة .

إن نظرية التعلم الاجتماعي تقبل وصايا السلوكيين المألوفة برفض العوامل اللاشعورية والأسباب الداخلية للسلوك المضطرب إلا أنها تخفف من هذا الاتجاه بتأكيداها على دور الجوانب المعرفية والرمزية في اكتساب الأنماط السلوكية الجديدة وفي تنظيم توقيت ظهورها وتوافرها. ويرفض باندورا في نظريته فكرة المثير والاستجابة كفكرة أساسية ويقول أن الإنسان أكبر من ذلك حيث يحس ويشعر ويتألم قبل الاستجابة ثم يركز على التفاعل الذي بين المثير والاستجابة والنظام النفسي. ولقد أكدت نظريات التعلم التقليدية على التعلم بالخبرة المباشرة، وعلى تعزيز الاستجابات الممارسة، وظهر هذا في مفاهيم كالتعلم بالعمل، والتمايز بين الاستجابات وتشكيل السلوك المعقد بالتقاربات المتتالية

ونظرية التعلم الاجتماعي تأخذ بهذه المبادئ هذا على الرغم من أنها تميل إلى اعتبار المكافأة أداة إبانة لمعلومات عن الاستجابات المثلى في الموقف، وأنها تحفز وتدفع إلى فعل معين يؤدي إلى مكافأة متوقعة. وهذه النظرية ترى أن قدراً كبيراً من التعلم الإنساني يتم بالخبرة البديلة أي عن طريق ملاحظة شخص يصدر الاستجابات الماهرة أو بالقراءة عنها أو بمتابعة صور لها ، ثم بمحاولة تقليد استجابات مثال يحتذى. وهذا يختلف تماماً عن التعلم بالخبرة المباشرة والتعلم بالعمل. ومعنى هذا أن الملاحظ يستطيع أن يتعلم في حالات كثيرة ، وأن يؤدي استجابات جديدة مع أنه لم يسبق له أداءها ولم يسبق أن تعرضت للتعزيز. وواضح أن كثيراً من المهارات الإنسانية (نطق الكلمات الأجنبية) لا يمكن اكتسابها بدون التعلم بالملاحظة.

طبيعة الإنسان:

يؤكد باندورا أن صورة الإنسان التي تتضح من خلال التنظيم السيكلوجي ومن خلال البحث العلمي تعتمد إلى حد كبير على كيفية توظيف نسق التأثير والتأثر بين الفرد والعالم أو الكون الذي يعيش فيه. فدعاة البيئة يشرحون لنا كيف تغير المؤثرات البيئية السلوك. وعلى العكس من ذلك يوضح لنا دعاة الشخصية والإنسانيون كيف يحدد سلوك الفرد ببيئته. أما دعاة التعلم الاجتماعي فيفسحون للجانب الشخصي والجانب البيئي وزناً متساوياً في علاقة أحدهما بالآخر.

ويرفض باندورا موقف السلوكيين المتطرفين الذين يبذلون جهداً هائلاً للتمسك بالحتمية البيئية، وبالتالي يتجنبون تصديق ما يعتبرونه أسباباً داخلية زائفة لأنهم أهملوا محددات هامة للسلوك وهي تلك التي تتبع خلال العمليات المعرفية.

وبينما يؤكد السلوكيون بصفة عامة على المصادر البيئية في عملية ضبط السلوك، يميل الإنسانون إلى قصر اهتمامهم على الضبط النابع من الذات. غير أن نظرية التعلم الاجتماعي تجمع بين المصدرين وذلك في نمط تبادلي. وترى نظرية التعلم الاجتماعي أن على الأشخاص أولاً أن يكتسبوا أنماطاً سلوكية معينة ثم يطبقوا هذه الأنماط في المواقف المستقبلية.

وتحدث باندورا عن الذات فيرى أنها مجموعة من العمليات والتركيبات المعرفية والتي بواسطتها يرتبط الناس ببيئتهم مما يساعد في عملية تشكيل سلوكهم حيث يرى أنواع من التفاعل:

-التفاعل الأحادي الاتجاه:

المقصود بالتفاعل ذي الاتجاه الواحد، اعتبار الأشخاص والمواقف البيئية كيانين مستقلين يرتبطان لإحداث السلوك، وأن السلوك يحدث نتيجة لموقف منفصل يؤثر على كائن حي منفصل. وأن المثيرات تمضي من البيئة إلى الشخص المنغمس فيها، وحينئذ يستجيب الكائن الحي.

-التفاعل الثنائي الاتجاه:

المقصود بالتفاعل ذي اتجاهين، اعتبار الأشخاص والظروف البيئية عاملين مستقلين للسلوك، غير أن كل واحد منهما يحتفظ بخاصية أحادية الاتجاه. ويعتبر السلوك في ضوء هذا الموقف نتيجة للاعتماد المتبادل بين البيئة والشخص، يؤثر أحدهما في الآخر بالدور، فالشخص يؤثر في البيئة، كما تؤثر البيئة في الشخص، ويستجيب كل منهما.

-التفاعل التبادلي: Reciprocal interaction

يقصد بالتفاعل التبادلي عند باندورا أن الأنماط السلوكية يعتمد بعضها على البعض الآخر، وأن العوامل الشخصية الأخرى والعوامل البيئية تعمل معاً في تفاعل متبادل باعتبارها محددات متشابكة، يحدد كل منها الآخر غير أن التأثيرات النسبية التي يحدثها كل عامل من هذه العوامل

الثلاثة التي يعتمد بعضها على البعض الآخر تختلف باختلاف المواقف، وبتنوع السلوك وهذه النظرة ليست أحادية البعد إنها تعني أن الإنجازات الإنسانية تنتج عن التفاعل المتبادل بين الظروف الخارجية مع مجموعة من المحددات الشخصية بما في ذلك الشخصيات بإمكانياتها الفطرية ومهاراتها أو كفاءاتها المكتسبة وتفكيرها التأملي ومستوى عال من المبادرة الذاتية.

مراحل التعلم الاجتماعي:

- 1- الانتباه للنموذج المراد تقليده وسمات الفرد الشخصية وقدرته أو عدم وقدرته.
- 2- عمليات الحفظ والنمو المعرفي والعقلي والاستراتيجيات التي يتبناها الشخص ومنها تنظيم المعلومات بطريقة منظمة وربطها بما لدى الفرد من خبرات ومن ترجمة إلى سلوكيات.
- 3- ثم بعد ذلك تبدأ عمليات التعزيز الذاتي والتعزيز الخارجي والتقرير التلقائي.

طبيعة التعزيز وشروطه:

يسلم السلوكيون بأن السلوك يتشكل آلياً ويضبط بنتائجه أي بالمثيرات التي تتبعه غير أن باندورا يلاحظ ان الشواهد التي تدعم القول بأن نواتج السلوك التي تعمل كمنظمات آلية للسلوك الإنساني قليلة ويرى بدلاً من ذلك أن النتائج أو النواتج التي تحدد السلوك إلى حد كبير وتعززه وتقويه من خلال قيمتها الإعلامية والحافزة وأنها تؤثر في سلوك الفرد المستقبلي من خلال ما تخلقه من توقعات مستبصرة.

طبيعة التعزيز:

على الرغم من أن تعزيز السلوك الإنساني يمكن أن يكون مجرد عملية تشكيل للسلوك وتقوية له على نحو آلي إلا أنه في معظم الحالات عملي إعلامية ودافعة أي أن ما نطلق عليه ردود أفعال مشروطة هو إلى حد كبير نتيجة تنشيط الذات على أساس ما تعلمته من توقعات أكثر من كونه مستشاراً على نحو آلي.

شروط التعزيز:

هناك عوامل تحدد شروط التعزيز ولكن هذه العوامل لا يمكن أن تكون راجعة للبيئة وحدها أو للشخص بمفرده وعندما لا يتوافر الوعي بما يلقي التعزيز يؤدي بصفة عامة إلى تغير ضئيل في

السلوك أي أن سلوك الفرد لا يتأثر كثيراً بنتائجه ما لم يتوافر لديه وعي بالموضوع الذي يتعرض للتعزيز.

دور المعرفة في التعزيز:

يلعب الوعي أو المعرفة دوراً بارزاً في اكتساب السلوك وفي الاحتفاظ به وفي التعبير عنه، ذلك أن الخبرات اليومية تشفر وتخزن في شكل رمزي ولها آثارها الباقية في الذاكرة ويمكن للأفكار المختلفة التي يتوصل إليها الفرد من خلال العمليات المعرفية أن تقوي أثر التعزيز وتشوّهه أو تلغيه. ولكن هذه الأفكار بدورها محكومة بالمشيريات الخارجية وهكذا فإن العوامل المعرفية الشخصية والعوامل البيئية يعتمد بعضها على البعض الآخر. والإنسان ليس عبداً للظروف الخارجية كما أن الوقائع المعرفية لا تحدث على نحو تلقائي كأسباب مستقلة للسلوك. إن طبيعة الوقائع المعرفية وحدوثها وجاذبيتها محكومة بالمشيريات الخارجية وبشروط التعزيز. غير أنه ما يزال التعلم عن طريق التعزيز عملية معرفية بدرجة أكبر من كونها عملية آلية.

ومعظم المصادر الخارجية للتعزيز تؤثر في السلوك من خلال المؤثرات المعرفية الوسيطة. أي أن السلوك يتأثر بنتائجه وعواقبه من خلال وعي الأشخاص بما يعزز أي أن ثمة انغماس وإع في عملية التعلم. وأن الأشخاص يلتفتون إلى المعلومات ذات العلاقة والأهمية ويجرون العمليات المعرفية عليها ويتوصلون إلى الحلول الممكنة.

ولقد اتضح من البحوث في الاشتراط الكلاسيكي والاشتراط الإجرائي أن الأشخاص الذين يدركون الشروط التي تحكم الإثابة والعقاب يظهرون تحسناً في الأداء أو التعلم بينما الأشخاص الذين لا يدركون هذه الشروط لا يتحسن أداؤهم تحسناً ملحوظاً أي أن آثار الاشتراط محدودة وقليلة.

دور الثواب والعقاب في التقليد:

لقد أوضحت التجارب أنه إذا ما قلّد طفل شخصاً ما وأنه كان يثاب على ذلك بانتظام فإن الطفل سوف يقلّد سلوك الآخرين بسرعة كبيرة وبالعكس فعندما يقوم الطفل بعمل مخالف لما يقوم به شخص آخر ويكافأ على ذلك باستمرار فإن ميلاً لعدم التقليد يتولد عنده. إن التلقي وعدمه يعتمدان على طريقة التعزيز المصاحب لهما.

ولقد أورد باندورا 1960م العديد من الدراسات التي تحت عنوان (التعلم الاجتماعي من خلال التقليد) وفي هذه الدراسات أوضح باندورا أن الأطفال يظهرون اهتماما متزايدا لتقليد شخص في أعقاب التفاعل السار معه، والنموذج الممثل في الصور المتحركة لها نفس التأثير في إحداث التقليد. إن الأطفال الذين يشاهدون نموذجا يكافأ على سلوكه العدوانى يقلدون هذا السلوك أكثر مما لو كان لم يكافأ أو انه قد عوقب.

طبيعة عملية التعلم:

يتمركز التعلم في هذه النظرية في عملية التعزيز. وهذه العملية ليست تعزيراً متمركزاً في بيئة تضبط الكائن الحي ولا هي عملية تحقيق ذات لدى أشخاص يستخدمون إمكانياتهم لتوجيه ذواتهم ولكن التعزيز في التعلم معناه أن أناساً ينمون ويحددون توقعاتهم النابعة من الذات والمبنية على المعرفة من خلال إدراك نتائج الخبرة المباشرة والخبرة الناجمة عن الملاحظة. ويدرك باندورا وجود ثلاثة مستويات للتعزيز هي : التعزيز الخارجي المباشر، والتعزيز البديل، والتعزيز الذاتي أي الذي يقدمه الفرد لنفسه.

التعزيز المباشر الخارجي:

هذه هي العملية التي ينظم الناس من خلالها سلوكهم على أساس النتائج التي يخبرونها على نحو مباشر. وفي هذه العملية يمكن للأنماط السلوكية أن تنمو أو تبقى على ما هي عليه أو تحذف وذلك بتعديل وتغيير آثار التعزيز الناتجة عنها.

التعزيز البديل:

يحدث التعزيز البديل حين يكتسب السلوك عن طريق الملاحظة، أي لا يكتسب بطريقة مباشرة ، إنها العملية التي بها ينظم الناس أنماطهم السلوكية ويغيرونها على أساس ما تعرض له الآخرون كنماذج تحتذى من جزاءات حين أصدرها هذه الأنماط السلوكية نفسها وحين غيروها. أي أن الناس يلاحظون أفعال الآخرين وما تلقاه هذه الأفعال من ثواب أو عقاب أي ما يترتب عليها من نتائج إيجابية أو سلبية.

النمذجة في التعلم بالملاحظة:

إن التعلم بالنمذجة أو التعلم بالملاحظة هو العملية التي من خلالها يلاحظ الشخص أنماط سلوك الآخرين ويكون فكرة عن الأداء ونتائج الأنماط السلوكية الملاحظة وتستخدم الفكرة كمعلومة مرمزة لتوجيه أنماط الفرد السلوكية المستقبلية ولقد تعلم الناس معظم العناصر السلوكية التي يظهرونها إما عن قصد وإرادة أو بغير قصد ولا إرادة عن طريق النمذجة. والنمذجة تقلل عبء المحاولة والخطأ ومزالقها، وذلك لأنها تمكن الفرد من التعلم من المثل المحتذى ما ينبغي أن يعمله حتى قبل أن يحاول فعله. وسهولة النمذجة تتزايد باكتساب الفرد للمهارات في الملاحظة الانتقائية والتميز التذكيري، والتأزر بين الأجهزة الحسية الحركية، والفكرية الحركية وبالحكم على نتيجة السلوك الملاحظ الذي يصدر عن الآخرين ويقلد السلوك الذي يصدر عن النموذج ويكافأ أكثر مما يقلد السلوك الذي يصدر عنه ويعاقب ومتغير الثواب والعقاب يؤثر فبأداء الشخص للاستجابات المقلدة ولا يؤثر بنفس القدر في تعلمها بغير تقليد.

التعزيز الذاتي:

إن التعزيز الذي يقدمه الفرد لنفسه هو العملية التي يقوم بها لتنظيم سلوكه على أساس النتائج والعواقب التي يحققها لنفسه وفي هذه العملية يتبنى الناس من خلال التصور والمثال معايير معينة للسلوك ويستجيبون لسلوكهم بطرق يثيرون بها ذاتهم أو يعاقبونهم. إن تنمية الوظائف الاستجابية الذاتية أو ردود الأفعال الذاتية تزود الناس بالقدرة على توجيه الذات وتجاهل الدور المؤثر لتعزيز الذات الضمني في تنظيم السلوك معناه إنكار قدرة الإنسان الفريدة.

ويقترح باندورا ثلاثة عناصر على الأقل للتعلم بالملاحظة وهي:

- 1- تعلم سلوكيات جديدة: وهي أن الملاحظ يستطيع أن يتعلم سلوكيات جديدة من النموذج فعندما يقوم النموذج بأداء استجابة جديدة ليست في حصيلته الملاحظة السلوكية يحاول الملاحظ تقليدها.
- 2- الكف والتحرر: قد تؤدي عملية ملاحظة سلوك الآخرين إلى كف بعض الاستجابات و تجنب أداء بعض أنماط السلوك.
- 3- التسهيل قد تؤدي عملية ملاحظة سلوك النموذج إلى تسهيل ظهور الاستجابات التي تقع في حصيلته الملاحظة السلوكية التي تعلمها على نحو مسبق غير انه لا يستخدمها.

المقارنة بين فكر باندورا والتوجه العام للسلوكية الراديكالية:

- بالنسبة للسلوك الإنساني يرى باندورا أن السلوك الإنساني يعود إلى الحتمية المتبادلة التي تتضمن عوامل بيئة وسلوكية ومعرفية. أما سكنر فيرى أن السلوك الإنساني ينظم في الأساس من خلال عناصر موجودة في البيئة بالإضافة إلى انه يعتقد انه ليس ضرورياً افتراض قوى داخلية أو حالات دفاعية داخل الشخص كعوامل مسببة للسلوك و سكنر لا ينكر أن مثل هذه الحالات تظهر لكنه ببساطة لا يرى داعياً للحديث عنها لأنه لا يمكن تعريفها إجرائياً.
- و سكنر يركز على العوامل الخارجية في توجيه السلوك ويرى أن سلوك الفرد يمكن فهمه بالكامل من خلال استجابات معينة للقوى والعوامل البيئة المختلفة (يركز على البيئة فقط) بينما باندورا لا يرى داعي لهذا التركيز ويقول انه (سكنر) يقدم وجهة نظر مبتورة عن الطبيعة الإنسانية.
- يولي سكنر أهمية كبرى إلى العمليات الاشتراكية الكلاسيكية أو الإجرائية في تعلم السلوك الإنساني أما باندورا فيرفض هذا الاهتمام ويؤكد على عملية التعلم عن طريق الملاحظة حيث أن التعلم عن طريق الملاحظة يجنبنا عمل أخطاء فادحة.
- برغم من أن باندورا لم يناقش بوضوح افتراضاته الفلسفية باستثناء الحتمية التبادلية فهو أكثر تطوراً من سكنر في اعترافه بان المحاولات العلمية تعتمد على الافتراضات الفلسفية.
- التوجه العام للسلوكية الراديكالية لا يهتم إلا بعبادات وسلوكيات بسيطة متعلمة للكائنات البشرية بعيدا عن شرح وتفسير تلك السلوكيات الإنسانية المعقدة مثل عملية الإبداع - واتخاذ القرارات، أما نظرية باندورا فتحسب حساب تلك الأنواع المعقدة من الأنشطة متيحة المجال للمزيد من السلوكيات الإنسانية لتصبح أكثر قابلية للتحليل العلمي.

تطبيق نظرية التعلم الاجتماعي:

على الرغم من أن نظرية التعلم الاجتماعي تهتم بوظائف الناس بصفة عامة في علاقاتهم الاجتماعية المتنوعة إلا أن لها مضامين محددة بالنسبة لطرق التدريس وأساليبه ذلك لأن التدريس في معظمه نوع من النمذجة والقوة هذا فضلاً عن أن الضبط عن طريق المعلومات الذي يستند إلى العمليات المعرفية أكثر قوة وإقناعاً عن الاشراف عن طريق تجاوز الوقائع والأحداث.

إن الآثار النهائية التي تترتب على تقديم المعززات عقب إصدار الاستجابات المطلوبة تدل على أن عملية تشكيل السلوك الناتجة عن هذا التعزيز هي في أحسن الحالات متواضعة ومنتدنية، ومشكوك فيها من الناحية الأخلاقية وهكذا يمكن القول أن نظرية التعلم الاجتماعي تعتبر شكلاً سلوكياً اجتماعياً معرفياً تصف لنا كيف يمكن لمجموعة من الكفاءات الشخصية والاجتماعية، أن تتطور لدى الفرد وسط الظروف الاجتماعية السائدة. والناس مهما كانت توجهاتهم يضربون النموذج والمثل ويعملون كقدوة للآخرين ويعززون ما يقدمونه ويعلون من قيمته ويدافعون عنه بالدليل و الحجة. والسلوك الذي يصدر عن هدف والتزام سلوك حقيقي وصادق ولا يقل عن السلوك التلقائي المرتجل من حيث صدقه وأصالته.

ويرى باندورا أن هناك كماً هائلاً من البحوث العلمية يظهر إمكانية تنشيط الجوانب المعرفية في الشخصية عن طريق التعليم بحيث يحقق من خلال ذلك نتائج مرموقة فالناس يتعلمون ويحفظون باستخدام المعينات المعرفية التي يولدونها على نحو أفضل مما يتعلمون عن طريق الأداء المتكرر المعزز. وهكذا نجد أن باندورا ينتقد النظريات السلوكية التي تؤكد على أهمية الأداء والتي تقلل من أهمية محددات الوعي الداخلية ومع ذلك فإنه لا يهاجم مفهوم التعزيز ولكنه يصقله ويعيد تعريفه وهو يرى أن التفسير الكامل للسلوك الإنساني يقتضي أن ترتبط العمليات الداخلية في النهاية بالفعل والعمل. وهكذا فإن الحرية المعرفة والمحددة تحديداً اجتماعياً والعلاقات الشخصية الاجتماعية المتبادلة ينبغي أن تسود وأن يؤخذ بها أكثر من القول بالاحتمية البيئية أو الاحتمية الشخصية.

والناس لا يستوعبون المؤثرات التي تؤثر فيهم وتقع عليهم دون تمييز ولكنهم أيضاً في نفس الوقت لا يمارسون حرية مطلقة. وإنما تعرف الحرية على أساس عدد البدائل المتاحة للناس وحققهم في ممارستها.

التطبيقات التربوية:

يعتبر اتجاه التعلم الاجتماعي من الأسس النفسية السائدة للنماذج التدريسية ويتم التعلم وفق هذا النموذج عن طريق نموذج يتصف بخصائص مميزة يعرض نماذج سلوك يحتاج إليها الملاحظ ويستطيع تأديتها ويحصل على الثواب أو المكافأة جراء ذلك.

ومن ابرز الملامح التي يقوم عليها هذا الاتجاه ما يلي:

- 1- يتعلم الطلاب جزءاً كبيراً من تعلمهم باستخدام النمذجة.
- 2- يسهم التعليم الاجتماعي في زيادة خبرات غير المباشرة عن طريق التعامل مع النماذج المختلفة.
- 3- يمكن أن يسهم التعلم بالملاحظة في نقل ثقافة المجتمع إلى الناشئة.
- 4- يمكن أن يتم التعلم الاجتماعي عن طريق الملاحظة.
- 5- تتضمن عملية النمذجة تبني الدور والاتجاه والمشاعر.
- 6- يؤدي التعلم بالملاحظة إلى اكتساب سلوكيات جديدة نتيجة لملاحظة النموذج ليلقى المكافأة.
- 7- يلعب التعزيز بالنيابة دوراً هاماً في تبني سلوك تتم ملاحظته.
- 8- تساعد عمليات التميز والتدريب في عملية الاحتفاظ المعرفية بسلوك النموذج.
- 9- قد يكون التعلم بالملاحظة والنمذجة الطريقة الأولى في تعلم اللغة والأفكار والعادات الاجتماعية.

الفصل السابع

النظرية السلوكية

أولاً: جون واطسون

تأسست النظرية السلوكية على يد العالم جون برودوس واطسون John Broadus Watson الذي ولد عام 1878 واهتم في البداية بالدراسة الفلسفة، ثم قام بدراسة علم النفس التجريبي، وقد حصل على رسالة دكتوراه تحت عنوان "تعليم الحيوان" من جامعة شيكاغو، فكان واطسون يري أن السلوك الظاهري هو مصدر المعلومات التي يمكننا اعتمادها والوثوق بها، فكانت وجهة نظر السلوكيون تقوم على أساس أن العوامل البيئية للفرد هي التي تكون سلوكه، فالسلوك الظاهري هو سلوك ناتج عن المثيرات البيئية.

فكان واطسون يري أن السلوك الإنساني يمكن تدريبه والتحكم فيه وأنه يستطيع خلق الاستجابة التي يريدتها عن طريق التدريب، وسنتعرف في سطور التالية سمات النظرية السلوكية والنقد الذي وجه لسلوكيون.

أهمية النظرية السلوكية

تعتبر النظرية السلوكية من أهم الأسس التي تقوم عليها قواعد التعلم، فهي تعتمد على أساليب تستطيع من خلالها أحدث تعديل أو تغيير في السلوك الإنساني، لذا شغلت النظرية السلوكية مكانة هامة في مطلع الستينات، ومن أشهر روادها " جون واطسون، بافلوف، ثورنديك، سكنر، جاثري، باندورا"، حيث تري النظرية السلوكية إن الإنسان لا يتصف بالخير أو الشر إنما يولد بفطرته الطبيعية ومن ثم يبدأ في احتكاكه بالبيئة المحيطة به فيتعلم السلوكيات من خلالها.

فالتعلم في علم النفس السلوكي هو عملية اشراطية، لا تعتمد علي الحفظ والتذكر، فنحن نتعلم من خلال التفاعل مع المثيرات الخارجية، فعلى سبيل المثال نتعلم تذوق الطعام عن طريق التجربة الأطعمة المختلفة حتى يصبح الطعام ذاته مثيراً للجوع بينما هناك أنواع أخر من الطعام تشعرك بالغثيان وعدم الراحة فور رؤيتها فنحن لم نولد بهذه الغريزة إنما تعلمناها من خلال التجربة والاختبار، فالطفل الصغير قد يضع أي شيء في فمه دون أن يكون طعاماً.

تطبيق الإشراف الكلاسيكي على البشر:

كان أول من طبق نظرية الإشراف الكلاسيكي هو بافلوف على الحيوانات، ومن ثم طبقها واطسون على البشر والتي سميت بـ"الصغير ألبرت" والتي تعتبر أول تجربة نفسية مسجلة تم تطبيقها على البشر. ونفذ واطسون التجربة على طفل في تسعة عشر من عمره يسمي ألبرت:

المرحلة الأولى: قام واطسون بإحضار فأراً ثم قربه من ألبرت الذي بدأ بلعب معه دون أن يخاف منه، ثم جاء بكلبٍ وقرداً ولم يشعر ألبرت بالخوف منهم أيضاً.

المرحلة الثانية: قام واطسون بوضع الفأر أمام ألبرت ولكن هذه المرة كان كلما لمس ألبرت كان يطرُق واطسون على شيء من الحديد ففزع ألبرت وبدأ في البكاء الشديد.

المرحلة الثالثة: وهكذا أصبح ألبرت يفزع عند رؤيته للفأر حتى دون أن يسمع صوتاً، فعندما كان واطسون يقرب إليه الفأر كان يرتعب ويبتعد عنه، فقد أصبح بالنسبة لألبرت الفأر مثيراً اشتراطياً. ولم ينتهي ذلك هنا فقام الصغير بتعميم هذا المثير، فأصبح يرتعب من الحيوانات الأخرى أيضاً، بالإضافة إلي خوفه حتى من فراء أمه.

فقد قدم واطسون عن طريقها مفهوم الفوبيا التي يري أنها تحدث نتيجة تكوين رابط بين الموقف الغير المخيف والمخيف، فألبرت خاف بالفعل من صوت المصاحب للفأر (المثير الطبيعي الغير إشرافي) وليس من الفأر ذاته، ولكنه ربط بين الصوت والفأر فأصبح الفأر هو المسبب للخوف، وهنا تعلم ألبرت أن الفأر مخيف على طريقة علم النفس السلوكي للتعلم.

مميزات السلوكية عند واطسون

كان واطسون يعرف علم النفس على أنه فرع من فروع علم الطبيعي الذي يتناول السلوك الحيواني أو السلوك الإنساني.

- فالإنسان لا يولد بالقدرات العقلية إنما يكتسبها عن طريق التعلم
- رفض واطسون مصطلح الوعي العقلي والشعور فهو أهتم بالأفعال السلوكية في دراسته، فهو يري أن الوعي مفهوم غامض لا يستطيع فهمه، وأن هدف علم النفس هو معرفة السلوك أو الاستجابات على المثيرات.
- يري واطسون أنه لا يوجد فرق بين السلوك المرضي والسلوك العادي وذلك لأن ما يتحكم في هذه العمليات هو التعلم الذي يعمل على تكوين الروابط بين الاستجابات والمثيرات.
- واطسون يري أن السلوك المرضي تم اكتسابه وبالتالي يمكن التخلص منه.

الاستجابات الانفعالية

طبقاً لواطسون فإننا ننشئ بثلاث انفعالات أساسية وهم "الحب، الخوف، الغضب، ومن خلال تلك الانفعالات تتفرع الأخرى، فالطفل الصغير إذا لعبته فسيظهر لك المشاعر الحب ولكن إذا تركته سيشعر بالخوف، وإذا أزعجته فقد يظهر عليه الغضب، لذا فإن الباقي من الانفعالات يتم تعلمها مع مرور الوقت، فشعور بالغيرة هو شعور يمزج بين الخوف والحب، فعلي سبيل المثال الطفل الذي يغار من أخوه بسبب اهتمام الأم بالطفل الجديد، مما يشعره بالغيرة على أمه، التي هي مصدر الحب والعطاء بالنسبة له، وهكذا تتفرع الانفعالات من خلال خلق ترابط مع الانفعالات الجديدة.

نقد النظرية السلوكية

- 1- يأخذ على السلوكيون اعتمادهم على السلوك الظاهري فقط من الناحية العلمية.
- 2- إهمال السلوكيون النظر للفرد ككل فنحن بشر وليسوا آلات قائمين على الفعل ورد الفعل.
- 3- أهملت النظرية السلوكية الطرق الأخرى في العلاج، معتمدة على العلاج السلوكي القائم على التعلم.
- 4- يركز العلاج السلوكي على التخلص من الأعراض وليس التعرف على المسببات وهذا لا يتناغم مع الاضطرابات النفسية التي إذا لم يتم اكتشاف مسبباتها سوف تؤدي إلى تفاقم الاضطراب النفسي. وبالرغم عدة الانتقادات التي وجهت للنظرية السلوكية إلا أننا لا يمكننا إغفال نجاحها في مجال التعليم.

ثانياً: نظرية ثورانديك (التعلم بالمحاولة والخطأ)

اختلاف الاتجاهات حول تفسير التعلم: على الرغم من أن أغلب علماء النفس يعتبرون علم النفس عملية ارتباطية فليس هناك اتفاق كامل بينهم على طبيعة هذه العملية. وهناك اتجاهين رئيسيين هما:

الاتجاه الأول: الاتجاه السلوكي: Behaviourist Approach

ويمثل : اتجاه الارتباط بين المثير والاستجابة ،ويرمز له (م-س)(S-R) وطبقاً لهذا الاتجاه :فإن ارتباط المتعلم يكون بين المثير والاستجابة ،وأن التعلم يمثل ميلاً مكتسباً لدى الكائن الحي للاستجابة بطريقة معينة عندما يواجه بمثير معين في موقف ما. فسائق السيارة يتعلم أن يقف في الطريق عندما يواجه أمامه الضوء الأحمر . والطالب عندما تسلم له ورقة الاختبار فإنه يستجيب للأسئلة الموجة له، عندما يسمع الصائم أذان المغرب فإنه يستجيب بالإفطار ، هذه كلها تمثل استجابات حركية وعقلية وانفعالية يتعلم الفرد إصدارها في حالة وجود مثيرات خارجية معينة. إن إجابة عالم النفس السلوكي على سؤال ماذا نتعلم؟ هي : نحن نتعلم الارتباطات السابقة.

الاتجاه الثاني: الاتجاه المعرفي: Cognitive Approach

أو اتجاه الارتباط بين المثيرات والذي يرمز له بالرمز (م-م) أو (S-S) STIMULUS وطبقاً لهذا الاتجاه، فإن: الاتجاه يكون ارتباط المعلم بين المثيرات . وإن التعلم يمثل ميلاً مكتسباً لدى الكائن الحي لتوقع أحداث متتالية عندما يظهر مثير معين في موقف معين من وجهة نظر هذا الاتجاه. كما في مثال وقوف سائق عند ظهور الإشارة الحمراء فإن السائق لا يتعلم بطريقة آلية أن يستجيب للضوء الأحمر بالوقوف، بقدر ما يتعلم معنى ظهور الضوء الأحمر ،الذي يجعله يتعلم توقع وقوع حادثة أو متابعة رجل الشرطة له في حالة عدم الاستجابة بالوقوف وبالتالي فإنه يستفيد من هذه المعرفة في تقرير ما يفعله. إن إجابة الاتجاه المعرفي على السؤال : ماذا نتعلم ؟ هي: نحن نتعلم هذه المعرفة. "نواتج هذه الارتباطات"

أهم القوانين التي توصل إليها ثورندايك:

1- قانون الأثر

2- قانون الاستعداد

3- قانون التدريب والتكرار

قانون الأثر: Law of Effect

هو القانون الأساسي عند ثورندايك ويعتبر إسهام عظيم في نظرية ثورندايك تنص القاعدة على أن: أي ارتباط بين مثير واستجابة يزداد ويقوى إذا صاحبه الإشباع أو الارتياح أو الأثر الطيب. ويضعف هذا الارتباط إذا صاحبه الضيق أو عدم الإشباع أو عدم الارتياح. بمعنى آخر: أن الأفعال السلوكية التي يؤديها الفرد ويعقبها ارتياح أو أثر طيب يميل إلى تكرارها في مرات تالية أو إذا وضع في الموقف المرة الثانية فإنه يميل إلى تكرارها. أما الأفعال السلوكية أو الاستجابات التي يعقبها ضيق وعدم إشباع يميل الفرد إلى عدم تكرارها في مرات تالية أو إذا تكرار المواقف مرة أخرى. إذا أدرك تماما الكائن الحي الفعل المؤدي إلى الارتياح فإنه يحذف كل الأخطاء التي حدثت في المرات السابقة. **والميل هنا هو:** أن هناك تغيرات فسيولوجية تؤدي إلى الارتياح. أي يقوى الفعل بالأثر الطيب، كما تميل الأفعال الصحيحة للظهور أكثر من ظهور الأفعال الخاطئة. إذا ينظر إلى قانون الأثر إلى زاويتين:

الأثر الطيب ← يقوى الرابط ← احتمال تكرار قوي

الأثر السلبي "الضيق" ← يضعف الرابط ← احتمالية تكرار الفعل ضعيفة

ظهرت عدد من الانتقادات على قانون الأثر السلبي وهذا الانتقاد هو:

أن حالة عدم الارتياح الناشئة من العقاب ليس من الضروري أن تضعف من هذه الارتباطات بشكل مباشر، ولكن لا تقويها فإذا كان العقاب يؤثر بشكل عام في إضعاف الميل نحو عمل شيء معين فإنما يكون بسبب أنه ينشئ سلوك جديد في الموقف يعطي فرصة المكافأة للاستجابة الجديدة. "مثل الطفل الذي عوقب لأنه كسر شيئاً ما لا يكرر السلوك "اللعب بالكرة" عند أمه لكن في حالة غياب الأم بالإمكان أن يكرر السلوك وهو اللعب بالكرة. بالتالي وبعد فترة تالية من الدراسة عدل ثورندايك قانون الأثر في عام 1930 م واقتصر على الأثر الطيب فقط.

والتعديلات التي أجراها بنفسه هي أنه أقر مبدأ الأثر الحسن ولم يقر بنفس الدرجة مبدأ الأثر السلبي أي أقر مبدأ الثواب ولم يقر بمبدأ العقاب.

قانون الاستعداد: Law of Readiness :

يحدد هذا القانون الأسس الفسيولوجية لقانون الأثر وهو أن تعلم الكائن الحي يتأثر بجهازه العصبي كما يوضح الظروف التي يكون فيها الكائن الحي في حالة ارتياح أو في حالة ضيق ويحدد ثلاثة ظروف أساسية يمكن أن يعمل الكائن الحي تحت تأثيرها في مواقف التعلم:

1- إذا كان الكائن الحي مستعداً ومهيأً عصبياً وفسيولوجياً "نتيجة حافز قوي مثل الطعام" لأداء

فعل ما وأتيحت له الفرصة لأدائها فإن ذلك يؤدي إلى أداءها بارتياح ويسير التعلم أكثر تقدماً وأكثر ميلاً للتعلم ونجدها في الفاعلية واختصار الأخطاء .

2- إذا كان الكائن الحي مستعداً فسيولوجياً وعصبياً ومهيأً لأداء فعل ولم يؤديها أو لم تتح له

الفرصة لأدائها فهذا يبعث على الضيق وعدم الارتياح ويصعب تحقيق التعلم.

3- إذا لم يكن الكائن الحي مستعداً فسيولوجياً وعصبياً ومهيأً لأداء أفعال ما وأجبر على أداءها

يبعث على الضيق ويصعب على الكائن التعلم.

بالإضافة إلى: إذا لم يكن الكائن الحي مستعداً فسيولوجياً وعصبياً وغير مهياً لأداء أفعال ما ولم يؤديها فإنه يشعر بارتياح.

وجهة الارتباط بين قانون الاستعداد والأثر:

يصف قانون الاستعداد الظروف التي تجعل المتعلم راضياً أو غير راضٍ عن نتيجة التعلم.

وتعلم الكائن الحي يتأثر بدرجة استعداده وتهيئته عصبياً وفسيولوجياً.

مثلاً: عندما يتعلم طفل ما مهارة معينة يجب أن نكون متأكدين أنه مستعد فسيولوجياً وعصبياً لتعلم

هذه المهارة، مثل تعليم الطفل الجمباز مبكراً دون أن يكون لديه استعداد فسيولوجي بالتالي يكون

الطفل غير قادر على تعلمها ولا نستطيع إجباره.

قانون المرن أو التكرار أو التدريب Law of Exercise

تنص القاعدة على: أن الارتباط بين منبه ما أو مثير ما واستجابة أو فعل سلوكي يقوى بالتدريب أو

كثرة الاستعمال أو الممارسة ويضعف هذا الارتباط بالإهمال أو عدم التدريب أو عدم الممارسة أو

عدم الاستعمال.

الممارسة ← تقوي الرابطة بين م و س

وهي شرط أساسي لحدوث التعلم "الممارسة" ودور الممارسة قوي في إحداث التعلم.

مثلا : تكرر الممارسة والتدريب لمادة تعليمية يؤدي إلى تقوية المادة المتعلمة كما أن إهمال المادة وعدم الممارسة يضعفها.

أهم القواعد "القوانين" الثانوية عند ثورندايك:

1- الاستجابات المتنوعة المتعددة

2- الاتجاه أو الموقف

3- العناصر السائدة

4- التماثل أو الاستيعاب

5- قاعدة نقل الارتباط

6- قاعدة الانتماء أو التباين

التطبيقات التربوية:

1- تفعيل مواقف التدريب في تعلم المهارات ، تقوى الرابطة للمادة المتعلمة من خلال الاستعمال

:المهارة المتعلمة يجب المداومة على استعمالها وذلك يجعلها أقل عرضة للنسيان.

2- استخدام معززات إيجابية بعد حدوث الاستجابة مثلا عند الإجابة الصحيحة ينال الطفل

جائزة أى: حافظ ← ارتياح ← يبسر الاستعداد للتعلم مرات قادمة، تفعيل الأثر الإيجابي.

الفصل الثامن

السلوكيين الجدد

أولاً: نظرية جاثري التعلم بالاقتران

يتجنب جاثري في نظريته ذكر الدوافع أو التكرار أو المكافآت أو العقاب، ويشير إلى المحفزات والحركة مجتمعة، وهناك نوع واحد من التعلم، ونفس المبدأ الذي ينطبق على التعلم في حالة واحدة ينطبق أيضاً على التعلم في جميع الحالات، ولا ينشأ الاختلاف الملحوظ في التعلم عن وجود أنواع مختلفة من التعلم بل عن أنواع مختلفة من المواقف، وتحدد نظرية تواصل جاثري أن "مجموعة من المحفزات التي رافقت حركة ما ستتم متابعتها عند تكرارها"، ووفقاً لجاثري كان كل التعلم نتيجة للارتباط بين حافز معين والاستجابة، وعلاوة على ذلك، وبالتالي فإن المحفزات والاستجابات تؤثر على أنماط معينة من الحواس الحركية، وما تعلمته هو الحركات، وليس السلوكيات.

في نظرية التعلم بالاقتران لا تلعب المكافآت أو العقوبة دوراً مهماً في التعلم لأنها تحدث بعد حدوث ارتباط بين التحفيز والاستجابة، ويحدث التعلم في تجربة واحدة (كل شيء أو لا شيء)، ومع ذلك نظراً لأن كل نمط من أشكال التحفيز مختلف قليلاً، فقد يكون من الضروري إجراء العديد من التجارب لإنتاج استجابة عامة، وأحد المبادئ المثيرة للاهتمام التي تنشأ من هذا الموقف يسمى "postremity" والذي يحدد أننا نتعلم دائماً آخر شيء نقوم به استجابةً لحالة تحفيز محددة، وتقترب نظرية التعلم بالاقتران أن النسيان يرجع إلى التداخل وليس بمرور الوقت، والمحفزات تصبح مرتبطة مع ردود جديدة، ويمكن أيضاً تغيير الشرط السابق من خلال الارتباط بتثبيت الاستجابات مثل الخوف أو التعب، ودور الدافع هو خلق حالة من الإثارة والنشاط الذي ينتج استجابات يمكن تكيفها.

وتهدف نظرية التعلم بالاقتران إلى أن تكون نظرية عامة للتعلم، على الرغم من أن معظم الأبحاث الداعمة للنظرية أجريت مع الحيوانات، وقام جاثري بتطبيق إطاره على اضطرابات الشخصية.

ثانياً: نظرية هل

في التعلم "نظرية الحافز"

تعرف هذه النظرية بأسماء أخرى مثل نظرية الدافع أو ترابطية هل السلوكية "hull's systematic behavior theory" وتصنف هذه النظرية ضمن النظريات السلوكية التي تؤكد على مبدأ الارتباط بين مثير و استجابة و مثير تعريزي، مثير - استجابة - تعزيز.

وهي أيضاً من النظريات الوظيفية التي ترى أن السلوك وظيفة معينة. وهي تنظر إلى التعلم على أنه العملية التي من خلالها ترتبط استجابات بمثيرات معينة وأن مثل هذا التعلم يحدث على نحو تدريجي بحيث تزداد الارتباطات قوة بالمران والتدريب مع وجود التعزيز أو المكافأة. و طور هذه النظرية عالم النفس الأمريكي كلارك هل 1952.

نظرية هل سلوكية وميكانيكية بالوقت نفسه، يتمحور اهتمامها حول مفهوم العادة. والمضمون النظري لنظريته يعتمد على الفكرة القائلة بأن التعزيز (التدعيم) يتطلب تخفيض للدافع. وكان هل يرى أن العادة تمثل تغير سلوكي دائم عند الكائن الحي. أما أشهر تطبيقات نظرية هل التعليمية ما قام به جون دولارد ونيل ميلر اللذان حللا العلاج النفسي كموقف تعليمي خاص بالمكافأة الوسيطة وتوقعاً الكثير من جوانب العلاج السلوكي الحديث. وتعتبر محاولة كلارك هل محاولة أخرى للخروج من الدائرة الضيقة للاشتراط الكلاسيكي المبني على الارتباط المباشر بين المثيرات والاستجابات. إلا أنها أيضاً لم تخرج السلوكية من هذه الدائرة ولم يصل من خلال تطبيقاته الرياضية والاجرائية لبعض العمليات الداخلية إلى مستوى التنظير العلمي. في محاولة منه لتفادي إهمال السلوكيين للعمليات الداخلية، وكنتيجة لتوجهه السلوكي المؤكد لدراسة الظاهرة علمياً. صاغ نظريته السلوكية التي تقوم على تأكيد وجود عوامل أخرى أو دخيلة بين المتغير المستقل المثير، والمتغير التابع الاستجابة، وعليه فقد توصل إلى نظريته في (Drive Reduction . خفض الدافع أو الحاجة).

الافتراضات الرئيسية في نظرية هل: توصل هل إلى هذه الافتراضات من خلال منهجيته الصارمة في البحث التجريبي وطريقته التي تعتمد على القياس المنطقي الاستنباطي. وتتمثل هذه الافتراضات بالآتي :

1- ينطوي التعلم على تشكيل عادات يمثل مفهوم العادة رابطة مستقرة بين مثير واستجابة، بوجود التعزيز أو المكافأة. ويفترض أنها تزداد قوة بعدد مرات التدعيم أو التعزيز.

- 2- تأخير التعزيز يضعف قوة العادة أى إذا تشكلت عادة أو رابطة بين مثير واستجابة) بوجود تعزيز معين، فإن قوة مثل هذه العادة تضعف اذا تم تنفيذ الاستجابة وتأخر ظهور التعزيز
- 3- تضعف قوة العادة بازدياد الفاصل الزمني بين تقديم المثير الشرطي والمثير غير الشرطي حيث يرى هل ان قوة العادة في حالة الاشرط الكلاسيكي تتناقص بسبب وجود فاصل زمني بين ظهور المثير الشرطي والمثير غير الشرطي وقد اطلق على هذا الانحراف الزمني اسم اللاتزامن بين المثير والاستجابة وحتى تكون العادة مرتبطة ارتباطا وثيقا بخفض الحاجة يفترض ان لا يكون الفاصل الزمني طويلاً.
- 4- ينعكس أثر حجم التعزيز في دافعية الباعث. افترض هل ان حجم التعزيز هو مظهر من مظاهر التعزيز بحيث كلما كان حجمه اكبر كان تخفيف الدافع اكبر مما يتسبب في ذلك زيادة اكبر في قوة العادة.
- 5- عدد مرات التعزيز يقوي العادة على نحو متناقص أي أن أثر التعزيز في قوة العادة يتناقص على نحو تدريجي مع عدد مرات التعزيز.
- 6- تتمثل آثار التعزيز في خفض الحافز الباعث خلافا لما افترضه العديد من علماء النفس من حيث ان التعزيز بحد ذاته يشكل دافعا للقيام بسلوك ما فهو يرى ان المعززات ترتبط دائما بدوافع نوعية عند الحيوان و الانسان.
- 7- من خلال الإشرط الكلاسيكي يمكن للمثيرات المحايدة أن تصبح مثيرات تعزيرية من خلال اقترانها بالمثيرات التعزيرية الاولية ومثل هذه المثيرات يمكن ان تؤثر في السلوك في المواقف المختلفة وهذا يتضمن ضرورة ان تقترن هذه المثيرات بمثيرات اولية لها القدرة على خفض الحافز أو الباعث.
- 8- يمكن تعميم العادات إلى مثيرات جديدة غير تلك المتضمنة في الإشرط الأصلي اذا تعلم فرد ما سلوكا معيناً في موقف معين فإنه من الممكن لهذا الفرد استخدام مثل هذا السلوك في مواقف اخرى مشابهة وهذا بالطبع يشير الى مفهوم تعميم التعلم.
- 9- تنتشط السلوكيات المتعددة بفعل الدوافع حيث يرى هل ان الدوافع تعمل على اثاره السلوك وتنشيطه لان الدافع يعكس الحاجة الكلية لدى الفرد.
- يمكن تصنيف نظرية هل ضمن النظريات الوظيفية التي تؤكد على الآلية التي تمكن الفرد من البقاء والاستمرار؛ فهي ترى أن السلوك يعمل على إرضاء الحاجات والدوافع، ولذلك تعمل على تعلم السلوك الذي ينجح في خفض المثير الحافز بحيث يصبح جزءاً من حصيلتها السلوكية. وبذلك

فإن نظرية هل تقوم على الدوافع والدافعية أكثر من كونها نظرية ارتباطية. ولا تكمن أهمية هذه النظرية في تأكيدها على المتغيرات أو العوامل المتدخلة فحسب، ولكن في دقتها الكمية من حيث قدرتها على ربط المسلمات على نحو يؤدي إلى معادلات وصيغ رياضية يمكن من خلالها التنبؤ بالسلوك على نحو دقيق وفقا لعدد مرات التعزيز المتتالية.

يعود الفضل في التقدم الكبير الذي شهدته نظريات التعلم خلال القرن العشرين إلى نظرية هل. إلا أن الأبحاث الأخيرة وضعت دور الباعث كحافز عام موضع الشك، مع أن هل كان يفترض أن الباعث شأنه شأن الدافع مصدر دافعية تعمل على تنشيط الميول الاستجابية إلا أن وجهة النظر هذه قد جرى مراجعتها في السنوات الأخيرة. واتجه التفكير نحو تفسير ارتباطي أكثر.

ثالثا: فريدريك سكنر

عالم نفس سلوكي مرموق، صنفته الجمعية الأمريكية لعلم النفس على رأس قائمة أشهر علماء القرن العشرين متفوقا على فرويد، ويعود الفضل في شهرته لكم المؤلفات الهائل التي ألفها طوال حياته ولتجاربه المبتكرة العديدة التي جعلت إسهاماته مرجعا أساسيا لعلم النفس. يعد سكنر مؤسس المدرسة السلوكية المتطرفة Radical Behaviorism بمعنى أنه مثل واطسون يرفض أن يعتمد علم النفس على دراسة أي شيء آخر غير السلوك لأنه وحده الذي يمكن دراسته، لكنه ليس بتطرف واطسون الذي رأى أنه ليس للإنسان ذهن وأنا مجرد آلات نولد صفحة بيضاء تماما، فسكنر يؤمن أن للإنسان عقلا لكنه معقد بشكل يصعب دراسته بالإمكانيات المتاحة.

الإشراط الإجرائي:

استلهم سكنر من تجارب من سبقه من سلوكيين خصوصا ثورانديك لاختراع تجارب مشابهة واستخراج قوانين جديدة. رأى أن الإشراط الكلاسيكي جد مبسط ولا يفسر السلوك بشكله المعقد لذا اخترع تجارب أكثر تعقيدا لمراقبة أسباب السلوك ونتائجه وهذا ما أسماه بالإشراط الإجرائي. لهذه الغاية اخترع علبة بها قضبان حديدية يمر عبرها تيار كهربائي خفيف وبها مكبس ومصباح وفتحة للطعام ثم وضع جرذا جائعا بداخلها ليختبر عدة المحاولات.

1- التعزيز الإيجابي: يبدأ الجرذ يحوم بالعلبة باحثا عن الطعام فيضغط على المكبس صدفة لينزل الطعام بالفتحة فيأكله ويكرر الجرذ العملية فيتعلم ضغط المكبس كل حين طلبا للطعام، وهذا ما يسمى التعزيز الإيجابي أي أن الجرذ يقوم بعمل وينال عنه مكافأة. وكمثال بالنسبة للبشر فإن الطفل أو الشخص بشكل عام إن قام بعمل نال عنه مكافأة فإنه سيكرره، والطالب بالمدرسة الذي ينال إشادة من أستاذه بالفصل لإنجازه تمارينه فإنه سيكرر العمل مستقبلا وينجز التمارين.

2- التعزيز السلبي: هذه المرة مرر سكر تيارا كهربائيا بالقضبان أزعج الجرذ فأخذ يحوم بالعلبة باحثا عن ما يبعد عنه هذا التيار الكهربائي وعند لمسه المكبس صدفة يزول التيار الكهربائي، فيتعلم الجرذ إزالة التيار الكهربائي كلما شعر به بالضغط على المكبس وقد أضاف سكر ضوء المصباح ليعلم الجرذ أن التيار الكهربائي قادم إذ ينير المصباح أولا ثم بعد ذلك يطلق التيار الكهربائي ثانيا فالجرذ كلما يرى المصباح يستتير يسرع بالضغط على المكبس قبل قدوم التيار الكهربائي لتجنبه قبل حدوثه.

بالنسبة للبشر يمكن أخذ مثال الطالب دائما أو الموظف أو أي شخص وأي حالة تتمثل في القيام بالعمل لتجنب السوء كأن ينجز الطالب فروضه ليتجنب عقاب الأستاذ أو الموظف ينجز مهامه ليتجنب إهانة المدير وهكذا..

3- العقاب: العقاب عكس التعزيز ولا يجب خلطه مع التعزيز السلبي، إذ أن التعزيز السلبي هدفه تعزيز العمل وحثك على القيام بسلوك ما، في حين أن العقاب يحثك على عدم القيام بسلوك ما، وذلك كأن يصعق الجرذ بالكهرباء كلما لمس المكبس فيتوقف عن لمسه نهائيا. **الهدف من العقاب إذن هو إضعاف السلوك وعدم تكراره.**

العقاب يمارس بشدة على الأطفال سواء بالمدرسة أو البيت ويعتمد أشكالا متنوعة كالضرب أو الإهانة أو غيره ويمارس على الكبار أيضا كالدخول للسجن مثلا وغيره...
إلا أن العقاب يختلف عن التعزيز من ناحية التأثير فهو لا يزيل السلوك نهائيا وإنما يكتبه فترة من الزمن ويعاود الشخص أو الحيوان القيام بنفس السلوك لاحقا عندما يغيب العقاب.
فالطفل الذي تضربه لأنه أكل الحلوى فوق الطاولة سيكرر نفس العمل خلصة في غيابك والحيوان الذي تضربه كي يبتعد عن المكان سيعود مجددا في غيابك.

أحيانا يسبب العقاب تعميما كما حدث للصغير ألبرت -إن كنت تذكره- الذي صار يخاف من كل شيء به فرو فالطفل الذي يتعرض للعقاب بالمدرسة من طرف أستاذه سيكره المدرسة ككل ولن يرغب الذهاب حتى لو غادر ذلك الأستاذ المدرسة بصفة نهائية. قد ينمي العقاب أيضا صفات سلبية كالغضب والعنف لدى الطفل أو الحيوان، فالحيوان الذي يتعرض للعقاب قد يصير عنيفا.

وفي حين كان التعزيز مرتبطا بالسلوك بشكل مباشر فيكرر الشخص العمل لنيل المكافأة فإن العقاب ليس له نفس المتانة في الربط بينه وبين السلوك, لأن التعزيز يخبرك ماذا يجب أن تفعل في حين أن العقاب يخبرك ما الذي يجب ألا تفعله وهنا ممكن الضعف. كما وأنه في كثير من الأحيان يكون من الصعب التمييز بين التعزيز السلبي والعقاب في الحياة العملية كالطفل الذي يُضرب بسبب إهماله لتمارينه كتعزيز سلبي يعمل عمل العقاب فتكون نتائجه كنتائج العقاب. لذا وجب التقليل من استخدام العقاب لأقصى حد ممكن مع الأطفال واستبداله بالتعزيز السلبي.

أنواع التعزيز:

للتعزيز أنواع وقد حدد سكينر مدى قابلية الكائن للاستمرار في السلوك ومدى قوة ارتباط السلوك بالمشير. حيث اختبر سلوك الجرذ وذلك بحساب عدد مرات ضغطه للمكبس (قوة السلوك) ومتى يتوقف الجرذ عن الضغط على المكبس عندما لا يجد طعاما (التوقف عن السلوك).

1- التعزيز المستمر: يعني أن الطعام يُقدّم للجرذ كل مرة يضغط فيها على المكبس بشكل مستمر, في هذه الحالة التوقف عن تقديم الطعام عند ضغط المكبس سيجعل الجرذ يتوقف أيضا بعد مدة عن الضغط على المكبس. في هذه الحالة قوة السلوك ضعيفة والتوقف سريع. فالشخص الذي يقوم بعمل يتلقى عنه أجرا سيتوقف عنه فورا إن لم يتلقى عليه أجرا بالتأكيد. والطفل الذي تقدم له مكافأة كلما راجع دروسه فإنه سيتوقف فورا إذا لم تقدم له مكافأة، أي أن قوة سلوكه ضعيفة.

2- التعزيز المحدد: هو أن يتم مد الطعام للجرذ بعد دقائق محددة عند ضغطه المكبس مثلا كل عشر دقائق, أو أن يعطى له الطعام بعد ضغطه المكبس عددا محددا مثلا خمس مرات. في هذه الحالة الاستجابة متوسطة والتوقف متوسط. كالموظف الذي يأخذ مرتبه آخر الشهر، أو الطفل الذي تحدد له عددا من الدروس التي يراجعها لنيل المكافأة.

3- التعزيز النسبي: وهو أن يعطى الطعام للجرذ بعد ضغط المكبس عددا من المرات غير محدد, فبيدأ الجرذ بالضغط دون توقف إلى أن ينزل له الطعام. السلوك في هذه الحالة قوي والتوقف بطيء. فالجرذ لا يتوقف عن الضغط على المكبس لأنه لا يعلم متى سينزل الطعام.

وهذا أخطر أنواع التعزيز وهو أصل الإدمان على القمار ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من السلوكيات التي يُدمن عليها الإنسان, فالمقامر لا يدري متى ينال المكافأة وهذا ما يجعله يستمر في القمار واستجابته تكون سريعة وسلوكه صعب التوقف, وكذا مدمن المواقع التواصلية فهو ينال المكافأة على شكل (إعجابات, تعليقات, مشاركات....) بشكل غير متوقع إذ أنه لا يدري كم ومتى سيحصل على الاعجابات والتعليقات لذا سينتقد حساباته كل دقيقة.

لذا كانت مكافأة الطفل من حين لآخر كلما قام بسلوك جيد تريده أن يستمر عليه كترتيب غرفته مثلا أو مراجعة دروسه أفضل من مكافأته كل مرة يقوم فيها بالعمل, لأنه لن يتوقع متى ستعطيه المكافأة وسيستمر على السلوك عكس التعزيز المستمر الذي قد يجعل الطفل يتوقف بسرعة إن لم تعطه مكافأة عودته عليها بشكل دائم كلما قام بذلك السلوك.

رابعا: تولمان 1886-1959 (Edward Tolman)

عالم نفس أمريكي وهو من السلوكيين الجدد وتعد السلوكية الجديدة امتداداً طبيعياً لسلوكية واطسون، ابتداءً مسيرته العلمية كأحد أعلام المدرسة السلوكية، إلا أنه أخذ بالابتعاد عنها، من حيث أنه اعترض على اعتبار أن عملية التعلم مجرد تكوين ارتباطات بين مثيرات واستجابات على نحو آلي ميكانيكي تقوى أو تضعف وفقاً لآليات العقاب والتعزيز وفرص التدريب، وذلك كما تفترض معظم نظريات الارتباط السلوكية؛ فهو يرى أن لعملية التعلم مظاهر ترتبط بالتوقعات والاعتقادات والإدراكات. ففي الوقت الذي يحترم فيه تولمان الموضوعية السلوكية، إلا أنه في الوقت نفسه لم يغفل المظاهر المعرفية السلوكية، لأنه اتجه إلى تفسير عمليات التعلم بدلالة العمليات المعرفية مثل المعرفة والتفكير والتخطيط والاستدلال والقصد والنية والتوقع والدوافع. وعليه فإن نظرية تولمان تصنف ضمن النظريات السلوكية المعرفية، وهي ما تسمى بالسلوكية الغرضية أو القصدية.

الافتراضات الأساسية: تستند السلوكية القصدية إلى عدد من الافتراضات والتي تمثل في حد ذاتها سمات أو مميزات لهذه النظرية تتمثل بالآتي:

أولاً: هي إحدى النظريات السلوكية التي تعنى بالسلوك الموضوعي وليس بالخبرة الشعورية.

ثانياً: تعنى بالطريقة التي يتغير فيها السلوك تبعاً لتغير الخبرة عن العالم الخارجي.

ثالثاً: تعنى بالأهداف والغايات التي تفرض سلوكاً ما وتوجهه.

قصدية السلوك: سميت نظرية تولمان بالسلوكية القصدية لأنها تدرس السلوك المنظم حول الهدف.

كيف تختلف نظرية تولمان عن نظريات الارتباط السلوكية: تسعى كل من النظريات الارتباطية ونظرية تولمان إلى التنبؤ بالسلوك استناداً إلى المثيرات والشروط القبلية التي تسبقه، فلأخذ على سبيل التوضيح المثال التالي: هناك شخص يقوم باستجابة ما حيال مثيرات معينة لتحقيق مكافأة. فما الذي ينتج عن هذه الخبرة؟ أو ما هو التعلم الناتج؟ نجد أن كل من هل وجثري وسكنر وميلر وغيرهم يرون بأن هذه الخبرة تنتج ميلاً لتلك المثيرات بأن تستتبع بمثل تلك الاستجابة، ولكن تولمان يرى

بأنها تنتج إدراكاً أو توقعاً. إن هذه الاستجابة سوف تؤدي إلى المكافأة، ويتوقف تنفيذ مثل هذه الاستجابة على وجود حاجة لمثل هذه المكافأة من قبل الفرد.

التعزيز والتوقع: لقد عارض تولمان بشدة قانون الأثر عند ثورنديك، من حيث أن الأثر البعدي ليس العامل الحازم في تكوين الارتباط بين المثير والاستجابة، وتقوية مثل هذا الارتباط؛ فهو يرى أن مجرد حدوث أو اقتران الأحداث معاً كافٍ لتشكيل الارتباط فيما بينها، بحيث لا يكون التعزيز أو العقاب لازماً أو ضرورياً لذلك. ويرى تولمان أن للتعزيز أثراً غير مباشر في عملية التعلم. ويتمثل هذا الأثر في جذب انتباه الكائن الحي إلى مثيرات أو توقعات محددة.

يعد تولمان أول من أدخل فكرة المتغيرات بين المثير والاستجابة. كما أنه أثار مسألة التمييز بين التعلم والأداء وأدخل فكرة التعلم الكامن. من جهة أخرى نرى أن معظم نظريات الارتباط السلوكية ترى أن الوحدات الأساسية التي يتم تشكيل الارتباط بينها هي المثير والاستجابة، في حين نجد تولمان يرى أن الارتباطات تتشكل بين الإحساسات.

أساسيات النظرية:

- 1- يرى أن السلوك موجهها بدافع وموجه نحو تحقيق هدف معين، ويتم تعلم الوسائل من أجل تحقيق الغايات.
- 2- تعامل مع استجابات الكائن الحي وأن مقاييسه في حدود تغير الاستجابة السلوكية نتيجة التعلم.
- 3- قدم مفهوم العوامل المتداخلة حيث اعتقد أن الأسباب المؤدية إلى السلوك، والسلوك الناتج عن هذه الأسباب، يمكن أن تكون محل ملاحظة موضوعية وتعريف إجرائي.
- 4- قال في بيان ذلك: إن أسباب السلوك تتكون من خمسة متغيرات مستقلة هي: (المثيرات البيئية، الحوافز الفسيولوجية، الوراثة، التدريب السابق، السن).
- 5- سلم بوجود عدد من العوامل المتداخلة بين المتغيرات المستقلة والسلوك النهائي غير ملحوظة مع المحددات الفعلية للسلوك، وهي أيضاً العمليات الداخلية التي تربط بين المثيرات السابقة، والاستجابة التي يتم ملاحظتها. هذه العوامل المتداخلة لا يمكن ملاحظتها فهي ليست بذات فائدة للعلم إلا إذا ربطت بصورة واضحة بكل من المتغيرات المستقلة وبالمثير التابع أي السلوك.

- 6- قدم مفهوم المتغير المتداخل حتى يكون لدى علم النفس أسلوب لعمل تقارير موضوعية دقيقة عن الحالات الداخلية والعمليات التي يمكن ملاحظتها.
- 7- اعتقد أن سلوك الإنسان والحيوان (ما عدا الانتحاءات والأفعال المنعكسة البسيطة) يمكن تعديلها من خلال الخبرة.
- 8- رفض قانون الأثر عند ثورنديك وقال إن الثواب والعقاب ليس لهما دور في التعلم، وإن وجد فهو دور ضئيل.
- 9- قال بنظرية معرفية في التعلم والتي يؤدي فيها الأداء المتصل إلى تكوين صيغة علامة وصيغ العلامة هي علامات متعلمة بين المفاتيح الموجودة في البيئة وبين، Gestalt (الجشطلت) توقعات الكائن الحي.
- 10- يرى أن الحيوان يعرف جزءا من بيئته. وهذا معناه أن الفأر يكون معرفة بالمتاهة أو بأي بيئة أخرى يوضع فيها. ويتكون في مخه شيء أشبه بخريطة الموقع، وهذه الخريطة تمكنه من المضي من أي نقطة من البيئة الموضوع فيها، إلى نقطة أخرى دون أن يكون محكوما بسلسلة من الحركات البدنية الثابتة.

قائمة المراجع

- نظريات الشخصية د / محمد السيد عبد الرحمن
- علم نفس الأنا إيريك إريكسون
- نظريات الشخصية تأليف كالفين هول - جاردينر ليندزي الطبعة الثانية 1978
- ترجمة د . فرج أحمد فرج د . قدرى حفنى د . لطفى فطيم
- مراجعة د . لويس كامل ميليكه
- قطامي ، يوسف ، قطامي ، نايفة . سيكولوجية التعلم الصفي . دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن 2004.
- الزغول ، عماد . مبادئ علم النفس التربوي. دار الكتاب الجامعي ، العين - الإمارات العربية المتحدة. (2002)
- الزغول ، عماد. نظريات التعلم . دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن 2003.
- ملحم ، سامي محمد. سيكولوجية التعلم والتعليم . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الأردن 2001.
- ربيع محمد شحاتة، 2004، تاريخ علم النفس ومداركه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- رحو جنان سعيد، 2005، أساسيات في علم النفس، الدار العربية للعلوم، بيروت.
- زغلول عبد الرحيم وآخرون، 2012، مدخل إلى علم النفس، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.
- وقفي راضي، 2014، مقدمة في علم النفس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن - [1].
- ربيع محمد شحاتة، 2004، تاريخ علم النفس ومداركه، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 372.
- زغلول عبد الرحيم وآخرون، 2012، مدخل إلى علم النفس، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة. ص. 411.

- وقفي راضي، 2014، مقدمة في علم النفس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ص.568.
- زغلول عبد الرحيم وآخرون، مدخل إلى علم النفس، مرجع سابق، ص.411.
- ربيع محمد شحاتة، ، تاريخ علم النفس ومداركه، مرجع سابق، ص.373.
- [7]-Rogers, C. (1980). A way of being, Boston. Houghton Mifflin company, p. 105.
- وقفي راضي، مقدمة في علم النفس،مرجع سابق، ص.602.
- ربيع محمد شحاتة،تاريخ علم النفس ومداركه، مرجع سابق، ص.373.
- رحو جنان سعيد،2005، أساسيات في علم النفس، الدار العربية للعلوم، بيروت،ص.323.
- زغلول عبد الرحيم وآخرون،مدخل إلى علم النفس، مرجع سابق، ص. 412.
- وقفي راضي، مقدمة في علم النفس،مرجع سابق، ص. 602.
- زغلول عبد الرحيم وآخرون، مدخل إلى علم النفس، مرجع سابق، ص.412-413.
- Rogers, C. (1961). on becoming a person: a therapist's view psychotherapy. California, Western behavioral sciences institutes, pp.108-109. -Ibid, p. 76.
- Rogers (C.), 1980, A way of being. Houghton Mifflin company, oston.
- Rogers (C.), 1961, on becoming a person: a therapist's view psychotherapy. Western behavioral sciences institutes, California.
- Rogers, C, A way of being, Boston. Houghton Mifflin company,op. cit p. 325.